

مصطفى أمين

سنة ثانية بحن



الكتب العربية الحديثة

إهداء 2005

الأستاذ الدكتور / أحمد حمدي محمود
القاهرة

الطبعة الاولى أكتوبر ١٩٧٥

الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٥.

الناشر : المكتب العربي الحديث للطبع والنشر

٧ شارع نوبل ت ٢٦٦٠ :الاسكندرية

ط ٥٢١٢٧ شارع شريف ت :الغمامة

مصطفى أمين

سنة ثانية

هذه الرسائل الحقة بالزنايات

هذه سنة ثالثة سجن !

انها مجموعة من الرسائل كتبتها في الزناينة في السنة الثانية من سجنى . رسائل مهريه ، غافلت قبضة السجان وهربت من جو الزناينة الخالق الى الهواء الطلق ، خذعت الحراس ، واقتحمت الأسوار ، وضالت الاجهزة التى كانت تراقب المسجونين السياسيين بالليل والنهار .

الرسائل مذعورة تنلفت حولها في رعب . الكلمات ثقيلة نجر وراءها السلاسل . المعانى مسجونة في حروف . الهول الاكبر أن تحاول وانت مسجون أن تكتب كلمة حرة ! الاغلال التى في يديك تمنع الكتابة . القضبان امام عينيك تمنع الرؤية . الباب الحديدى الذى يقف بينك وبين الحياة يمنع التفكير . عالم المنوع لا يبيع اى شيء . القلم ممنوع . الورق ممنوع . الحبر ممنوع . الاحتجاج ممنوع ..

المسجون السياسى أسير في حرب لم يدخلها . لا يعرف لماذا جاء الى الأسر ، ولا يعرف متى يخرج من الأسر . لا يستطيع أن يشكو الظلم لأن الظالم هو الحاكم . ولا يستطيع أن يستنجد بالعدالة لأنها مسجونة في زناينة مجاورة . ولا يستطيع أن يستصرخ القانون لانه مشنوق تحته في غرفة الأعدام !

ومع ذلك استطاع المسجونون السياسيون ان يقاوموا القيود المفروضة . وان يحضروا بلبس صغير فى الصخر الأصم نقوبا يدخل منها الهواء والنور والحرية ! وتخرج من هذه الثقوب صرخات المظلومين واتين المصلوبين ودعوات المعتبين !

كثت التعليمات مشددة بالا يكون في زنايتى قلم ولا ورق ولا حبر . . واذا كتبت فتكون الكتابة في غرفة الضابط ، وفي حضوره ،

والا يزيد ما اكتبه على خطابين في كل الشهر والا تريد مساحة
الخطاب على نصف ورقة ..

ولم استطع ان اخضع لهذا القرار الظالم . احنيت راسي ،
ولعنته !

وبدانا نقاوم على طريقنا ..

واخفيت القلم والورق عند مسجون غير سياسى في زنزانة تبعد
١٣ زنزانة عن زنزانتى ..

وعند المغرب يتم اغلاق الطابق الرابع كله الذى كنت فيه ..
وتمتد يد محمد الى خارج القضبان تحمل الورق والقلم من نافذة
الزنزانة رقم ١٤

وتمتد يد المسجون في الزنزانة رقم ١٣ خارج القضبان ، وتلقط
الورق والقلم .. وتسلمهما الى المسجون في زنزانة رقم ١٢ .

وهكذا ينتقل الورق والقلم من نافذة زنزانة الى نافذة زنزانة
اخرى حتى يصل الى الزنزانة رقم واحد التى كنت فيها ..
وابدا في الكتابة ..

حيناً في ضوء كهرباء خافت ، وحياناً في ضوء شمعة ..

وتستمر الكتابة الى ان تجيء حملة التفتيش ، وما يكاد يشعر
بها زميلنا الناضورجى في الطابق الاول في عنبر واحد حتى يصرخ
« احمد عبد الرحمن » !

وهى كلمة سر معناها ان هناك حملة تفتيش ..

ويصرخ بها الناضورجى في الطابق الثانى .. ثم الثالث .. واسرع
في زنزانتى اخرج نراعى من بين قضبان النافذة ، بالقلم والورق ،
فيلتقطهما زميلى المسجون في الزنزانة رقم ٢ ، الى الزنزانة رقم ٣ ،
الى ان يصل الى محمد في الزنزانة رقم ١٤ .

ويقتحم الضابط والحراس زنزانتى ، ويفتشون كل ركن فيها
فلا يجدون شيئاً ..

ويفتشون زنازين المسجونين السياسيين فلا يجدون شيئا !
ولا يخطر ببالهم ان يفتشوا الزناينة رقم ١٤ لان المسجون بها
مسجون عادى .. ولا يقرأ ولا يكتب !!
وهكذا استطعت في خلال هذه السنوات التسع ان اكتب عشرة
آلاف رسالة ، وست قصص ، وكتابين سياسيين ثم يبقى سؤال ..
كيف كانت هذه الرسائل تنسل الى خارج السجن .. ؟
ان كل رسالة كانت تخرج من بوابة عليها حارس : وتمر في
طريق طويل مليء بكردونات التفتيش ..
ثم تنطلق من بوابة حديدية ضخمة وقف عليها عدد من الحراس
يفتشون كل شيء !
ومع ذلك استطاعت عشرة آلاف رسالة ان تفتح الاسوار ..
وكان فريق من اصدقائي يتولى عملية التهريب ، فتصل الرسائل
اولا الى سعيد فريحة في بيروت ثم الى على امين في لندن ..
وقد كانت سيده مصريه هي التي تتزعم هذا الفريق من الاصدقاء
الذي كان يقوم بهذه المهمة الخطرة ، التي كانت تعرض القائمين
بها للسجن او الاعتقال والوضع تحت الحراسة ..
ولا استطيع ان اذكر في الوقت الحاضر للاسف اسماء هؤلاء
الابطال الذين عاونوني ..
فقد ادخل السجن مرة ثانية !

مصطفى امين

رسالة من كمال الدين حسين الى السيد جمال عبد الناصر

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت من بعض تلاميذى وأنا فى سجن الاستئناف أن كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة ثائر وغاضب على جرائم التعذيب التى ارتكبت ضد المسجونين السياسيين .. وأنه لم يصدق فى أول الامر ما سمعه ، وعندما تأكد من حوادث التعذيب كتب الخطاب التالى الى الرئيس جمال عبد الناصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا خير فى اذا لم اقلها لك .

اتق الله .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا « قرآن كريم » .

اتق الله .

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » .

اتق الله . ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعالى .. « واذا

قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم » .

ابق الله . امر الله بها الرسول والمؤمنين .
وامر بها الرسول اصحابه والمؤمنين .
وقالها الخلفاء والائمة لبعضهم ، ولولايتهم ، وللمسلمين .
وقالها المسلمون للخلفاء ، والائمة ، والولاة ، وللبعضهم بعضا .
قالها تلك الامة التي اعزها الله بقوله :
« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تآمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر ومؤمنون بالله » .
صدق الله العظيم .
والسلام على من اتبع الهدى .

كمال الدين حسين
١٢ اكتوبر سنة ١٩٦٥
وقد تلقيت صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمال الدين
حسين .

بسم الله الرحمن الرحيم
 ١٥ اية مجال عبد القادر رضى الله عنه
 ١٦ كلاك الذي حبيب
 ١٧ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 ١٨ قد غبت في اذا لم اقل
 ١٩ احب الله:

٢٠ "رسيد الله يجعل له خراجا"
 ٢١ "رسيد الله يجعل له امره ليبرا"
 ٢٢ "رسيد الله يفرغه سبحانه يعظم له اجلا"

احب الله

قالب الله سبحانه وتعالى ليه الكريم
 "يا ابي النبي الله قد طلع الكافري والماتقير"
 "رسيد الله" لا كنهه قد نضم الله سبحانه وتعالى
 "و اذا قيل له انه الله اخذته لهنه بلينم تحبه بولهم"
 (احب الله) امر الله بى الرسك والماتقير

و اربط الرسك - اصحابه والماتقير
 وقالوا اخفاء لانه ليعظم له لاسم
 وقالوا المستزيد للعلماء والائمة والاولياء ليعظم له
 قالوا على لانه ان اخذها الله فبذله
 "كنتم في امة اضرمت للناس تارود المعروف وتزود
 هذه البكرة وتزود بالله" هذه الله ليعظم

و رسيد الله من انبج ليه
 ٢٣ كلاك الذي حبيب
 ٢٤ ٦٥/١٧٤

رسالة كمال الدين حسين الى عبد الحليم عامر

سجن الاستئناف . . .

عزيزتى .

ما كاد الرئيس يتلقى خطاب « اتق الله » من كمال الدين حسين ،
الذى يحتج فيه على تعذيب المسجونين السياسيين ، حتى احاط
تلاميذ مدرسة التعذيب بالرئيس ، واوغروا صدره على كمال الدين
حسين ، فامر في يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٦٥ باعتقاله فى استراحة
بالمهرم ، وذلك بعد يومين فقط من وصول رسالة « اتق الله » !

وكتب كمال الدين حسين فى معتقله رسالة الى المشير فهد الحكيم
عالم نقيب رئيس الجمهورية والقائد العام .

وقد استطاع تلاميذى ان يهربوا لى داخل السجن نص هذه
الرسالة الخطيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كلمة مريخة واخيرة ، لن نزعج بعدها يا عبد الحكيم ، لم اجد بدا من ان اتولها لك بعد كل ما حدث ، وان كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة لك ، فأننى حين نويت ، لم اتردد قط في ان اكون صريحا .

اليوم يا عبد الحكيم أصبحت اعتقد انه لا حياة لى في بلدى ، الذى أصبحت أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو انا ما فيه وما فيه اهلى .

عندما قلت لكم اتقوا الله ، تصدت لن تتقوا الله في هذا الشعب ، الذى قمنا سويا لخلاصه واسترداد حريته . قلت لكم (اتقوا الله) بعد ان الجحيم جميع الامواه ، الا امواه المنافقين ، والمتزلفين ، والطبالين ، والزمارين . قلت لكم اتقوا الله في الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها ، وكنا نأمل ان تفتح لها براعم نامية ، نطمئن — حين نقضى من هذه الدنيا — ان قد اقمنا امانتنا ، ففتنرك بعدنا هذه البراعم قد نضجت وأصبحت سوقا قوية قاهرة على الصمود .

قلت لكم « اتقوا الله » لآنكم أردتم « استنعاज » هذا الشعب ، وانا لم وان أرضى بذلك .

ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة في هذا الجو الخائق ، وأرجو ان يتيسر لك معرفة درجة الاطمئنان في هذا الجو . اذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون اعظم . فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من اخوة كانت بيننا في يوم من الأيام . فأننى لا اطلب سوى أن أخرج أنا ومن يريد من أسرتي ، التى نالها أيضا نصيب واغر من اجراءات ، أخرج لأبقى الى جوار رسول الله حيث اقضى ما بقى من حياتى ، مستخلصا روحى لنفسى ودين الله .

فاليوم يمكننى أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن ، بعد ما كان جزائى — وأنا الفسد — على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم انكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحى وان اعتقدتم انكم كبلتم جسمى .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم انكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى ، الا حق الديكتاتورية والطغيان . اذا جاز أن يكون لهما حق .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنه اذا لم تتقيدوا بشرع تجاهى ، فالناس يعلمون (ومن زمن) انكم غير مقيدين بشرع تجاههم . وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سوف يعرفون معناه جيدا الآن .

أنتى آسف أن تتحول ثورة الحرية الى ثورة ارهاب ، يعلم فيها كل انسان مصيره لو قال كلمة حرة ، يرمى بها ربه وضهره ووطنه .

واذا قيل لى وللناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهذا هو التفصيل . وحكم الهوى ، الذى يضل به الشيطان أوليائه ، لينسوا قانون الله وشرع الله ، شرع الاسلام الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد . حرية يتساوى فيها أبناء آدم جميعا أمام الله ، أمام الشرع أمام الحكم الالهى ، الذى لا يقبل القاييل والالف والدوران .

يا عبد الحكيم ! مهما كانت التعابير الجديدة والشعارات ، فالحرية هى الحرية ، التى عبر عنها عمر حين قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » وحين قيل له (اتق الله) قال « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها » . وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنتى لن استعطف أحدا ، ولن يؤدبنى أحدا لا والخق معنى ، ولقد جلبتكم جميعا بذلك فى مناسبة سابقة . لأنى لا أخاف الا الله .

وانا حين اكتب اليك الآن فأتنى لا اطلب شيئا غير الرحيل من هذه الأرض الى يثست ان تقال فيها كلمة حق ، فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل — وان ابيتكم على ذلك فان ولى الله ، عليه اتوكل ، واليه انيب ، وانا لله وانا اليه راجعون .

يا عبد الحكيم ! ان اجراء انكم هذه التى اصابتنى ، وان كنت قد تحملتها فى صبر ، فان الصدع الذى اصطب مشاعرى نجاه من امر بها ، سدع يصعب ريقه ، ويقائى هنا متعبة لى ولكم .

وانت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس عام ١٩٦٥ وقلت لك : ائنى مستعد للاعتقال ، والقتل ، واى شيء آخر .

قلت لى عن نفسك « اعتقال ايه يا شيخ ، والله انا اللى ييجى يمتقلنى انا اضربه بالرصاص » .

انا فكرت فى هذا ، ولكنى لم استصويه ، لان هذا ينافى ايمائى . وجاء يحدثنى هلال كرجل ، وعلى لسان رجل او رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فئتوا منزلى ، وحجرة مكتبى ورقة ورقه ، وحجره نوى ، وعائلتى ، وحصى ملايىسى ، ومنعلقات السيدات .

واعتقلوا اهلى ، وضيوفى الذين تصالف وجودهم فى منزلى حينئذ ، وانا لا اعرف مصيرهم حتى الآن تماما ، كى لا يعلم احد من افراد الشعب سبب او مكان ، ولا مصر اى شخص يعقل منهم ، واذا مات احدهم (لاي سبب !!!) يكتفى بأن يخطر اهله انه قد هرب او انه قد دفن فى مكان كذا تحت رقم كذا ، مجرد رقم . كان انسانا حيا واصبح مدفونا !

يا عبد الحكيم ! ان ما قمتم به ضدى جريمة ، تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه آلاف المواطنين (طبعا مع تغيير فى الشكل) . كانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم (واحد منا) لاعلم منه ماذا جرى ، ولماذا انطبقت السماء على الأرض من كامة حق تصيح فيكم (ان اتقوا الله) ؟

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم ، فابنتم هذه المواجهة ، واستخدمتم
سلاحاً لا يقنع عقلاً حراً ، ولا يكبل ضميراً حياً ، ولا يندأ إيماناً
وتقوى . ولكن يورث النفس مرارة وأسفاً .

وإذا لم يواجهني واحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة علنية
أو شرعية . على الأقل لأعرف ما هي التهمة الموجهة لى ما دام قد
أصبح أمراً طبيعياً فى (زمن الحرية) أن يعتقل الناس ، وتصادر
حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة . اننى اتحدى أى اتهام . واتحدى
أن يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر ما حدث (طبعاً أنا أخرج من حسابى
عمليات التلغيق لأننى ما زلت أترك عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك) .

يا عبد الحكيم ! ألم أقل لك فى مارس الماضى « ما هى ضمانات
الحرية » ؟ فقلت « نحن ضمانات الحرية » !

وقلت لك : اننى لا اثق فى ذلك .

وهذه الأيام تأتبنى بالبرهان ، بأن للحرية ضمانات ، « وأنتم
الضمانات » .. كل شىء جليز ...

الم أقل لك يومئذ أنه إذا لم يتنازل عن تألهه ، وفرديته ، فلا فائدة
من العمل معه ؟

نهل يا ترى هذا الذى جرى لى لمواجهة الكلمة (اثق الله)
هو دليل هذا التنازل ؟

كلمة صريحة أقولها لك يا عبد الحكيم ! اننى أرى لهذه الحال .
ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله ..

لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم . راجع نفسك . ولا يغلبك
الهوى والغرض . راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مدى
سنتين من هذه الثورة ، ثم أنظر أين ينتهى بكم الطريق ، طريق
الحرية .. اتقدس ما منح الله للإنسان !!

يجنب إن تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم ، وما يحسونه
نحوكم .. لقد أصبحتم وياً للأسف فى نظر الشعب جلاذيه . نتيجة

تدعو للرثاء ، وحصاد مر لثورة ٢٣ يوليو « النحريرة الكبرى »
تنجرعه الملايين المستقلة ، بعد ما وضعت في تلك الثورة وقادتها ،
آمالها . واعطتها الكثير ، واستأمنتها على الكثير « على الحربة » .

ولكن أين الأمانة الآن ! ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها واذا حکمتم بين الناس ان تحکموا بالعدل ، لقد بددت الامانة ،
لقد وئدت الحربة ونعيش في هذه الايام مآبها في ليل لا يبدو له فجر .

يا عبد الحکيم ! لا تنصور انى مبيتس لما جرى ، ولكنى حقيقة
اشعر بالاسف . اتول « يا حسرة على الرجال » « يا خسارة على
الثورة » .

واشعر بذنب واحد ، هو ان ثقتى الغير محدودة فيکم مكنة
للطفیان ان يسلب هذا الشعب حريته ، وكرامته وانسانيته . مهما
كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات الكاذبة التى تقال .
والناس جميعا يعرفون حقيقتها .

والسلام ..

كمال الدين حسين
٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٥ .

وقد تلقيت في السجن صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط
كمال الدين حسين .

[illegible]

(٤)

ادعية وتغريد هذه الخيام ما تروى من ليل لا يبدو

له تغريد

يا حبيب الطين لا تقدر اني بمشيتي لاجدك ولا
يا حبيب الماء بالأسف اقول " يا حبيب الماء
يا حبيب الماء على الدرة "

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء يا حبيب الماء

٦٠/١/٤٠

لن يقول أحدا

سجن الاستثنائي ..

عزيزي ..

تسألني رأيي في خطاب كمال الدين حسين إلى الرئيس عبد الناصر وخطابه إلى عبد الحكيم عامر . أن رأيي أن الخطابين موجهان إلى الرئيس عبد الناصر . وما يشكو منه كمال الدين حسين سبق أن شكاه منه عبد الحكيم عامر في أحاديثه معي وفي استقالته الخطيرة التي قدمها عام ١٩٦٢ وأعطاني صورة منها . وتحذرت بشأنها مع الرئيس عبد الناصر . ولا أوافقك على رأيك بأن صرخة كمال حسين سوف تغرز الفراغة الصفار الذين حول الرئيس ، وستجعلهم يعدلون عن غلوائهم واستبدادهم وجرائهم . على العكس أننى أتوقع أن يحدث أن يشتد الضغط والارهاب . ولن يقال للرئيس بأن كمال الدين حسين يعبر عن رأى عام يستنكر تطبيق القضايا ، والمحكمات الصورية ، واحكام محاكم التفتيش ، وجو الكبت ، والتعذيب والمعتلات . بل سيقولون له أن كمال الدين حسين يريد أن يتزعم المعارضة .

ولست هذه أول مرة يوضع رجل في مكانة كمال الدين حسين ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الثورة ، في المعتقل .. فنقد أصبح السجن الآن أشبه بكلوب محمد على الذى كان يضم رؤساء الوزارات والوزراء والكبراء في العهد الماضى .

أنك لو أحصيت الذين دخلوا السجن أو المعتقل لوجدت بينهم رئيس جمهورية هو اللواء محمد نجيب ووصيا على العرش هو القائم مقام رشاد مهنسا ورؤساء وزارة أمثال ابراهيم عبد الهادى ونجيب الهلالى وغؤاد سراج الدين وزير الداخلية وعثمان محرم

وزير الأشغال ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية ومرضى المرافى
وزير الداخلية وزكى عبد المتعال وزير المالية وعبد المجيد ابراهيم
صالح وزير المواصلات والدكتور حافظ عفيفى وزير الخارجية
السابق ورئيس الديوان الملكى وعبد الفتاح حسن وزير الشئون
الاجتماعية وحسن الهضيبى مرشد الاخوان المسلمين والمستشار
بمحكمة النقض والابرار واحمد عبد الغفار وزير الزراعة وحامد
جودة رئيس مجلس النواب .

واهمية القبض على كمال الدين حسين انه كان من اقرب اعضاء
مجلس الثورة الى قلب الرئيس ، ووقف معه بحماس فى كل معاركه .
وعندما اختلف معه اعتكف فى بيته ولم يقل لأحد أى شىء عن سبب
الخلاص مع انه كان سببا هاما جدا ، وهو على ما اتذكر أن الرئيس
عرض عليه هو وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم خطة جديدة
فى تطبيق الاشتراكية فى مصر تجعلها اقرب الى الشيوعية فاعترض
عليها الثلاثة وعندما قال الرئيس انه سيؤمّم محلات البقالة الصغيرة
قال له كمال الدين حسين « فى المشمش » وأرسل الثلاثة استقالتهم .

فلذا اعترض كمال الدين حسين على ما جرى للمسجونين
السياسيين من تلفيق وتعذيب وأرسل للرئيس يقول له اتق الله كما
فعل المسلمون مع عمر بن الخطاب خليفة المسلمين . . فاذا بالابر
يصدر بالقبض على كمال الدين وكل الذين كانوا يزورونه فى بيته
لمعنى ذلك أن الحرية فى بلادنا تصانف محنة كبرى .

وسيكون من نتيجة ما حدث لنا ، وما حدث لكمال الدين حسين ،
أن أحدا لن يجرؤ ويقول الحقيقة للرئيس . . ولن يسمع بعد ذلك
سوى المدح والثناء ، والتأييد والتأليه . . وهذا هو اكبر خطر يتعرض
له عبد الناصر .

ان ميزة عبد الناصر الكبرى انه كان يسمح لنا بأن نقول له آراءنا
بصراحة تامة ، ولم يكن يغضب عندما كنا نعرض على بعض
التصرّفات . ولم يحدث الا بعد مرضه انه كان يضيق بكلمة
الاعتراض على رأى له . وقد أرسل لى عبد الحكيم عامر وأنا فى
السجن يقول ان سبب « مصيبتى » اتنى كتبت مقالا فى الموقف

السياسى فى اخبار اليوم من الكونغرس نعم عن الكونغرس .. وان الرئيس منهم من المبالأ أننى اتصد الحالة فى مصر ، وأننى أريد أن أقول أنه نشر الارهاب ، وأنه كهم الأتواء ، وأن هذا هو السبب فى القرار الذى صدر بلبطش بى « حتى أعرف الارهاب بيقى أيه » وأذكر أنه فى أوائل ديسمبر ١٩٦٢ ، استدعانى عبد الحكيم الى بيته فى الطمية ، وأعطانى نص استقالة أرسلها الى الرئيس عبد الناصر ، وشعرت يومها أن شرخا حدث فى العلاقة بين الصديقين العزيزين أو بين (التوأمين) كما كان يقول عبد الحكيم .

كان عبد الناصر يشكو لى أن عبد الحكيم سيقى الاختيار فى اختيار مديرى مكتبه .. كل مدير مكتب أختاره حاول أن يقوم بانقلاب ضد عبد الناصر ...

وكان عبد الناصر يشك أن السبب فى ذلك أن الجو الذى حول عبد الحكيم يكره الرئيس عبد الناصر ، وهذا هو سر أن جميع الانقلابات تجيء من داخل مكتب عبد الحكيم ، أما عبد الحكيم فهو يقول أن على صبرى وسامى شرف وباقى حاشية عبد الناصر هى التى أسست العلاقة .

وإن عبد الناصر أصبح ديكتاتورا ، وهو يرى أن لا حل إلا بالديموقراطية وبمنح الصحافة حرية ..

وغضب عبد الناصر من صيغة استقالة عبد الحكيم ، ثم هذا بعد ذلك ووعد عبد الحكيم بتنفيذ كل ما فيها من طلبات ..

ثم عدل بعد ذلك ولم ينفذ منها أى طلب ..

وهذا هو نص استقالة عبد الحكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب القائد العام ..

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرى أن الواجب .. وأيضاً الوفاء .. يقتضى أن أكتب اليك معبراً
عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة .

فبعد عشر سنوات من الثورة وبعد عشرين سنة صلة بينى وبينك
لا يمكننى أن أتركك وأعزل الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى
نفسى كما كنت دائماً .

أنى أعتقد أن الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى
الحكم أمر ضرورى وأوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين أفراد هذه
المجموعة وقد وجدت فى الفترة الأخيرة أن الأسلوب الغالب هو
المساورات السياسية ونوع من التكتيك الحزبى . فضلاً على
ما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى ، الذى قد أكون مخطئاً فى
تصوره ولو أن الحوادث كلها والمنطق يدل على ذلك .. والنتيجة
التي وصلنا إليها خير دليل على هذا التصور فقد استطاع هذا
الأسلوب أن يتغلب على ما كنت أعتقد مستحيلاً .. وهو تحطيم
صدائقتنا وما نتج عن ذلك من أحداث لا داعى لسردها فكلها لا تتفق
مع المصلحة العامة فى شيء ..

المهم فى الموضوع أنى لا أستطيع بأى حال أن أجارى هذا الأسلوب
السياسى لآنى لو فعلت لثنازلت عن أخلاقى وأنا غير مستعد لذلك
بعد أن انتهت نصف عمرى .

الذى أريد أن ألفتك اليه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل
فأنى أعتقد أن التنظيم السياسى القائم ليكون مستمراً وناجحاً يجب
أن يبنى على الانتخابات من القاعدة إلى القمة بما فى ذلك اللجنة
العليا للاتحاد وبما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا وأن تمت اللجان
العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف كبرى فى
التنظيم الديمقراطى للاتحاد .

وأن ما يجب أن نسعى إليه الآن هو تدعيم الروح الديمقراطية ،
وخصوصاً بعد عشر سنوات من الثورة وأنى لا أتصور بعد كل هذه
الفترة وبعد أن صفى الإقطاع ورأس المال المستغل وبعد أن منحك
الجماهر ثقتهما دون تحفظ أن هناك ما تخشاه من ممارسة الديمقراطية
بالروح التى كتب بها الميثاق .

وخصوصا بأن الملكيات الفردية الباقية والقطاع الخاص لا يشكلان
أى خطر على نظام الدولة كما أنه ليس هناك ما يمنع إطلاقا من أن
تتسجم هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى .

كذلك الامر بالنسبة للصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن
الناس من كتابة آرائهم وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحربين من
الكتابة دون خوف أو تحفظ . وقد تكون هذه الضمانات عن طريق
اللجنة التنفيذية العليا مثلا أو أى نظام آخر يكفل عدم الخوف من
الكتابة وتوهم الكاتب أنه سيطارد أو يقطع رزقه وخصوصا أن
الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية
وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى وفى هذا فائدة كبيرة لأنه
سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد بعض المواطنين .

دعنى وأنا أودعك أن احثك أيضا عن الحكومة وراى فيها .
قبل كل شيء لا يمكن أن تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى
وهو الحكم السليم إذا كان نظام الحكم فى حد ذاته ممسوخا مشوها
فيجب أولا أن نستفيد بتجارب العالم وحكوماته التى عاشت مئات
السنين مستقرة منتظمة دون حاجة لتغيرات شاملة كل فترة قصيرة
من الزمن .

ففى رأى أن النظام الطبيعى للحكم يكون كالاتى :

أما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ويكون
مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه . وبدون الدخول
فى التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس ويجب أن تكون أنت
رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة .

أو حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية ويكون رئيس الاتحاد
الاشتراكى هو رئيس الوزراء أو ربما يكون رئيس الوزراء ليس
رئيسا للاتحاد الاشتراكى ولا أريد أن أخجل أيضا فى التفاصيل ولكن
تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان كما ورد فى
الميثاق .

على كل حال أى من هذه الحلول ، وجودك فى النظام أو الأصح
على رأسه ضرورة وطنية وأنا لا أقول ذلك مجاملة فهناك كثيرون

مستعدين للمجاملة أو الموافقة على رأيكم بمجرد إبدائه ولكي أعتقد
أن أي تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها .

دعني أيضا قبل أن أودعك أن أقول لك أن اختلاطك الشخصي
بالناس ضروري فانه يعطى الثقة المتبادلة ويعطى احساسات متبادلة
ويعطى افكارا ابنسا متبادلة وهذا هو الطريق الطبيعي للارتباط
بأفراد شعبنا القيادين في المستقبل أما انمزالك انعام فانه سيجعل
صور البشر عندك أسطرا على ورق أو أسماء مجردة لا معنى لها
وهو في رأيي لا يمثل الواقع فاعقل والعاطفة من مكونات الانسان
ولا تستطيع أن تفصل كلية بينهما ولكن يجب الجمع بينهما في الطريق
الصحيح وهذا لا يكون الا عن الاتصال الشخصي وهذا أيضا هو
الطريق الوحيد لظهور شخصيات قيادية تعتز برأيها وتقوله دون خوف
ولكنها في نفس الوقت تنق في قيادتها وتحترمها .

وهذا النوع من الناس انت في اشد الحاجة اليه . . بل وبلدنا كلها
محتاجة اليه . . نوع جديد لم يمكن منه حب المنصب فيسكت عن
الخطأ ولم تأخذ الأنواء نور بصره فيضحي بكل القيم ليعيش فيها .

وأنا أودعك اينسا أرجو من الله الا يحدث مني أو منك ما يجعل
ضميرنا يندم على الإقدام عليه أو يجعلنا صغارا في أعين أنفسنا .

ويكني في رأيي ما حققه أهل السوء الى الآن فقد نجحوا فيما
فهموا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا .

لا أريد أن أطيل عليك لكني أبديت آرائي لك فيما أعتقد أنه
المصلحة العامة .

وليكن فرأقتا بمعروف ، كما كانت مشرتنا بالمعروف ، والله أسأل
أن تتم حيلتنا بشرف وكرامة ، كما بدائناها بشرف وكرامة . .

ورغم كل شيء . . ورغم كل ما أعلم فاني أدعو لك من قلبي
بالتوفيق وأتمنى لك الخير وأدعو ربي أن يوفقك في خدمة هذه
الأمة ولخيرها .

والسلام . .

عبد الحكيم عامر

القاهرة ١٩٦٢/١٢/١ م

في اليوم الاول من ديسمبر سنة ١٩٦٢.

هل الرسالة بتمام عبد الناصر!

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت في السجن نص الخطاب الذي أرسله المشير عامر الى كمال الدين حسين يرد فيه ردا عنيفا على رسالة كمال الدين حسين . الرسالة عنيفة . ليس هذا أسلوب عبد الحكيم في الحوار . اعتقد أن الرئيس عبد الناصر هو الذي أملى عبد الحكيم هذه الرسالة ، أو على الأقل الأجزاء العنيفة منها . فانا أعرف مثلا أن عبد الحكيم هو آخر من يتهم كمال الدين حسين بأنه عندها يحتج على التعذيب والطغيان ومحكمة الدجوى وأمثالها والقانون الذي منح رئيس الجمهورية سلطات الآلهة اننا يفعل ذلك غضبا لما أصاب جماعة الإخوان المسلمين وحدهم ! . فالمظلومون ليسوا أخوانا فقط . أن بين المظلومين أخوانا وثيوعيين ووقديين ومستقلين وسعديين ودستوريين وحزب مصر الفتاة .. كل الأحزاب ممثلة في زنانات السجن الحربى .. منهم مسلمون ومسيحيون . بينهم استاذة جامعة وعمال .

ولقد كنت أرى كمال الدين حسين كثيرا في عام ١٩٥٤ عند جمال عبد الناصر عندما حدثت مذبحة الإخوان الاولى . وكل ما كنت لاحظته أن كمال الدين حسين متدين ، ولكنه يخاف على البلد من حكم الفرد ومن الطغيان ومن الشيوعية . ولا يوجد عاقل يرضى بأن تنسف مواسير المياه ، أو أن تنسف مدينة القاهرة أو تنسف المسارح والملاهى .. ولقد قابلت هنا كثيرا من الإخوان وسألتهم هل حقيقة كانوا ينوون قتل أم كلثوم وجميع المطربات ، وقتل عبد الوهاب وجميع المطربين ؟ فأنسموا لى أن هذا من اختراع « ولاية الأمور » ، وأن المقصود به تبرير القمع والارهاب والمشاقق أمام الراى العام ..

ولو كانت هذه التهم صحيحة ، فلماذا لم يقدموا الى محاكم جنائيات
عادية ؟ ولماذا اخير الجزار الدجوى في محكمة عسكرية مكونة من
ضباط ؟ ولماذا هذا الضرب بالسياط والكلاب المسعورة والنفخ والوان
العذاب والتعذيب ! ؟

كل هذه التصرفات غير القانونية تؤكد انه لا توجد هناك قضية
ولا أدلة قانونية ، والحاكم لا يلجأ الى المحاكم الاستثنائية الا عندما
يكشف ان العدالة لا تقر تصرفاته . ومن الغريب أن عبد الحكيم
يتصور ان التعذيب والمحاكم الاستثنائية (مسائل بسيطة) وسوف
يعيش عبد الحكيم ليكشف ان كل هذه الأشياء سوف تؤدي بهصر
الى التهلكة .. وسيكون هو أول الهالكين !

وهذه هي رسالة عبد الحكيم بنصها :

عزيزى كمال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد تعودت الا تزعجنى الصراحة .. لان الصراحة هي الطريق
الى الفهم الصحيح .. ودعنى ايضا أن اصارك القول ، وقد تعودت
أن أقول ما اعتقد ولا أخشى في ذلك الا الله وضميرى ..

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ،
قد نسفت في نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا دون سابق
مقدمات .. وفي رأى لم يكن هناك ما يبررها على الإطلاق فهى
مرسلة .. وسأعبر عن ذلك مخلصا وصافيا . « من كمال رسول
الله الى عبد الحكيم كسرى أبو شروان » أى من نبي مؤمن الى
قائد ملحد وانت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين .. فنحن
نؤمن بالله واليوم الآخر .. وكنت أنتظر أن تكون رسالتك في مثل
هذا الوقت وهذه المؤامرات الإجرامية التى تدبر ، والتى كان الغرض
منها التحطيم ، والقضاء على نفوس بريئة ، والرجوع بها الى الخلف
سنتين طويلة .. كنت أنتظر على الأقل أن تستكر ذلك وما عهدت
فيك عدم الوفاء وما عهدت فيك أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة
التي لا أعلم ولا يعلم الا الله كيف وصل بك الابر الى ذلك ..
فتشكك في كل شيء وترى صورا قاتمة لا وجود لها .. ماذا لي بك ؟ ..

لا أعلم ! أرجع الى نفسك يا كمال : وتأمل نل شيء بهتوء ، وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر في الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المفرضين وهيباتهم واقتراعاتهم .. الذين لهم هوى ، والذين لا يبيغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا في شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمان وهذه الأهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون الا الباطل .

ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الاخوان المسلمين المنعصبين .. مؤامرة لا يمكن وصفها جريمة ضد شعب بأسره .. بل جرائم قتل باسم الاسلام ، جرائم تدبر باسم الاسلام ، دماء تسيل ، وخراب يعم باسم الاسلام .. هل هذه هى الحرية التى يطلب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالدماء والخراب ؟ .. والله هذا لا يقره دين ، ولا يقره ضمير ، ولا يقره أى شخص عنده انسانية .

اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة .. والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى الآن . أريد سيد قطب ، الذى كانت توزع كتبه ، ان يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحي يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ؟ .. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة ما شاء من العباد ؟ .. لا أعلم كيف لم يحدث في نفسك هذا العمل الآلم كل الآلم .. وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق ان ذكرته لك ؟ .. هل فكرت ماذا كان سيقترتب على نفس محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات وفاة المرضى رجسالا ونساء واطفالا .. القاهرة بلا أضواء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال وقد أصبحوا عاطلين الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه .. مجارى تطفح فى الشوارع وفى المنازل .. أوبئة تقتل الناس بالجيلة .. خراب كامل .. كيف تعوض مثل هذه الخسارة تبيل سنوات طويلة .. لما الأرواح فلن تعوض طيعا .. باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا انفسهم خليفة الله فى الأرض .. اغتيال لشعب ، ولحريته ولحياته ، ولتقدمه ، بل أيضا لمعاشه اليومي .

وماذا يكون شعورك وأولاتك فى منطقة تتفجر فيهم مواد النسف ؟ ماذا يكون شعور كل أب ؟ كل أم ؟ كل أخ .. ؟ فكر تلبلا يا كمال دون تحيز ودون غضب ، لأن هذا هو حكم الطفغان بكل

معانيه .. حكم الغلبة بكل صوره .. هذا هو الإرهاب بكل ما تحمل
هذه الكلمة من معنى مروع ..

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل الشائن او تعنى انه
كان يجب عليك استنكاره ؟

هل المبادئ الاسلامية والانسانية تقرر انك لا تتف تحارب كل هذا
بكل قوتك بدل أن تؤيده في خطابك الاول الذى يدل معناه على ذلك ؟

ان معنى ذلك انك توافق على قتلنا ، وهذا رأى في أبسط الامور
للكل اجل كتاب .. ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تتنح نفسك
بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت في كلامك من الثقة فينا ، وأنا بدورى أقول انك لم تخطئ
بثقتك فينا ، وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر
أو مظهر ، ولا تجعل أى تصرف شخصى أو تصرف بسيط يؤثر على
جوهر المواضع .

اننا ومن جانبى أيضا سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ،
وسنحافظ عليه ضد أى محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ،
وكما ذكرت حقا في خطابك الآخر ان الناس يعرفون الحقيقة ولكن
ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض
الناس الذين تعتبرهم ثقة وان كلامهم لا يقبل المناقشة .

وتقول انك تريد ان تخرج الى السعودية .. لماذا ؟ هل هى بلد
الحرية هل هى بلد الاسلام .. ؟ ما هذا يا كمال .. عجيب والله
هذا التفكير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بشرا ومات كما يموت
البشر .. وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا . لا تخدع نفسك
يا كمال .. جرد نفسك من كل الاعتبارات وفكر مليا وسترى الامور
بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردها لك
ولا تقبل جدلا .

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون .. ويزعجك ان يصدر مثله .. وهذا
ليس موضوعا جوهريا ومهما أخطأت الثورة يا كمال فانها تصحح
دائها أخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية .. وما كانت منتقمة ..

وانت تعلم ذلك وشاركتنا في أفكارنا ، وفي قراراتنا ، وفي جميع الأحداث التي جرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢ .. وتعلم جيدا كيف تفكر وكيف تتصرف .

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله .. ومهما كانت الشعارات التى يحتفى فيها .. ان كان تحت اسم اسلام أو تحت اسم اصلاح أو غيره ..

ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية . الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمة وتجعلنا في قبضته مرة أخرى وربما الى سنين طويلة لا يعلم الا الله عددها ؟

هل هذا مفهوم الحرية ؟ .. وهل هذه هى الحرية .. التى أعلنها الاسلام ؟ أنا أقول كلا والف كلا .. بل ان هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والانسانية بأكملها .

أتوافق يا كمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعّت من قلوبها الرحمة ؟ .. تعصب أعبى لا يرى الا في القتل والنهيد وسيلة لكل شيء .. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد تطب .. ؟ ! وهل هذا هو حكم الله ؟ ان الله برىء من القتل والسفاكين .

لماذا انت عاتب اذن ؟ .. اليس عتبى عليك أكثر واعظم ؟ .. اليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى اننى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. اليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد .. وهذا ما يقره ضميرك ، وهذا ما تراه حقا ..

اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى ، ولولا سفرى السريع لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق ، مع ضعف أملى أنك ستستمع لما أقول وتقتنع بالحقائق الملموسة .. أننا لم نمنع الناس منك الا خوفا عليك وخوفا على الناس أيضا حتى تنتهى هذه المأساة البشرية التى كانت تهدد بل تعمل على نفسى

مهل ثلاثة عشر عاما .. قد نختلف في الراى .. لكن أرجو أن تصفو الى نفسك وتفكر في هذه الآراء .. وتطرح المسائل الصغيرة جانباً .. وطبعاً أنت حر في أن تأخذ بها أو تلقيها في عرض البحر ولكن لى الحق أن اكتب اليك ناصحاً بأمانة وصدق كما كتبت الى لائها وناصحاً .. ربما تذكر أنك كنت في الحكم ، وجميع السلطات في يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة . وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضاً .. ولم يحدث طوال هذه الفترة ان اختلفت على المبادئ التي نسير عليها بل كنت متحمساً لها ، وكنت أشد تطرفاً .. هذه حقيقة أيضاً .. ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة ٦١ والآراء التي لبديتها أنت شخصياً في الاجتماع بالاسكندرية ؟ .. وكنت يا كمال متطرفاً لحد كبير ، ومتحمساً للقوانين اشد التحمس .. حقيقة أيضاً .. ماذا تغير اذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجيء المتطرف ايضاً ؟ .. ومجأة يصبح كل شيء خطأ .. وتصبح الحريات مثتالة على حد تعبيرك ، الذي لم أهضمه مطلقاً .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذي غير افكارك بهذه السرعة الكبيرة .. ما الذي اخل بتوازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب افكارك فجأة ؟

لقد تناقشت معك اكثر من مرة في افكارك وتطارحنا الحجج والبراهين .. وصدقني والله ما وجدت في آرائك التي أصر على أنها ظهرت فجأة شيئاً منطقياً أو سليماً .. وجدت لديك اصراراً غريباً وعقلك يرفض أن يناقش بل تصميم فقط على ما أنت فيه .. ان تطبق أى نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعاً لاعادة النظر في خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطئ .. وأظن أنك لا تعتبر معصوماً من الخطأ .. ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك .. فأنك تريد فرض رأيك ، ورأيك أنت فقط ، لأنه في نظرك هو الصحيح . وهذه هي الدكتاتورية في أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات ، وضربها ضربة قاصمة . كل منا قد يرى عيوب غيره حبذا لو فكر في عيوب نفسه .. لماذا لا تحاول أو تجابه نفسك وتعرف عيوبك ، كما تبحث عن عيوب الآخرين ، وتبالغ فيها الى أقصى الحدود ؟ .. ان فعلت وحاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ، ولا تخطئ الأمور في ذهرك هذا الاختلاط الفظيع . لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك .. ولا تجعل لكلام من

حولك قدسية .. وهم في كلامهم معك في قرارة أنفسهم يعملون طلبا
للفنوذ وطلبا للسطوة وطلبا للشهرة .. وعندى على ذلك أمثلة كثيرة
واقعية أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير .

إذا فكرت جيدا وحللت كل شيء لنفسك بصراحة ووضوح ستجد
أننى كنت خير ناصح لك حتى أكثر ممن تظن أنهم أقرب وأخلص
الناس اليك - وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور أن تولد الحرية
في ظل الدماء والخراب ؟ . وأن يكون لفئة من الناس الحق في أن
يتكلموا وينطقوا باسم الله مفوضين منه .. يفعلون ما شاءوا ..
هل هذه هي الحرية ؟ .. هل هذا هو طريق الحرية ؟ .. أو
الديمقراطية ؟ !

أقول بدورى يا كمال اتق الله في نفسك .. اتق الله في شعب
مصر .. اتق الله في حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولا تظلم
الناس معك .. لقد حاولت جهدى أن أشرح لك الحقيقة وأن كانت
مرة .. ولكن دفعتنى الى ذلك دفعا .. وأقول وأنا مرتاح الضمير
اللهم أننى أدبت الأمانة .. ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا
عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن ، وأن حدث
ذلك كان نصرا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله
للجميع .

وقد ترددت أن أكتب اليك خوفا من أن تكون قد سددت أذنك ،
لا تريد أن تسمع أحدا ، إلا اذا حدثك على هواك وعلى ما تحب ..
ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى أثيرتها
ليست صعبة .. فقد ناقشتها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين
ليس لهم غرض بما أقول يا كمال .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

امضاء

عبد الحكيم عامر

في : ١٩٦٥/١١/٤

ملاحظة :

أننى أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال الدين حسين انقلب
على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية
والسلطات التى كان يمارسها .

امضاء

عبد الحكيم عامر

كُتبت اليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التي تذكرون
تأملت عنك ، وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، واني اكتب لك
ما اعتقده وعن صدق ، والحديث طويل ولا يتسع له حتى هذه
الصفحات القليلة ، ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ، ويهدي ، ويرتق
الصدع . انه على كل شيء قدير .

امضاء

عبد الحكيم هاجر

بدد أعم كنيه لم يثبت نفسك هذا هم
العلم كل العلم ركنك أكتبت بإرسال فضابه لي
بالعلم الله بكت انه ذرتك لله ...

هذه كلمات ماذا لانه سيترجمه الله في كل يوم
فقط ؟

فكرته فبثقت وناج الله رجال دناءة أطفال

التأني ... بدد ضحك ... بدد مصنع يعمل
بني آلاء الله لا طم

ان الله الله بدد الله الله ... الله الله بدد الله
الله الله بدد

مبارك من تطفح له التواضع و الله انزل
أدب الله تفتي الناس بالعلم
فكره ...
كلام

كنيه بقوه حتى عنه انما الله في سماءه خدي
انما الله راحي لمن بقوه جيبا
باسم الله ماذا سيترجم كل دن
ما سر من يمدن كل دن
... هذا ...



كأنهم من بعيدا من أنفسهم فليكن الله لهم
إيمان ببقية دينه ولياته ونفقته من
أرضه لمشيهم ... ؟

بأذا كيد منده وادرسك نه شطحة تنفس
ينج صا د نفع ... ما تليد سقا سقا
أب ... لي أم ... لي أخ
نر قلندر بانان دونه سكين درودن قضيه
لله هذا حمد لله الخفي ... بكل صائب ... قاتني
اسما ... بل حمد ... هذا هذا ايدها ... بل ما
تقن هذا الله من نفع مروع ...
هل الله هذا والدماء من نفع تأييده له زنا اهل
السنه ... اودقني انه لاهم عبيد سينا ... ؟

هل البارئ يدبره واليدريه نقر انه لا يفتن
من به هذا بل فتوح بيد من انه تدبره وقطابه
الندول الذي بيد منده به ذلله ...
نور انه تداوي به قلنا وهذا من سايه ابل
اليسر نلج ابل كنه ... وكن كنه يكادك
منه وكين تفنن نلج الماينه لي وفتنل سينا

[illegible]

[illegible]

هل هذا هو طريق الحق؟

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

الضلال

يا ربنا لا تتركنا في هذا

سیرت

اینها اوست نه خلق و نه انسانی است آنچه بگوید
تجربا صبر است قلب را بکلی مینویسد بکار و صبر
تقوا است نه بکار بکار است نه بکار
السلامه بخیر و دایره

کتابت اینک هفت نفر اینست که هر سه به سره است
که توفیق ما است که در دست خیر است که اینست و الحمد لله
و این آیه است ما اعتقد و به صحت و الحقیقت بود
و در جمیع موارد حق الصریح است و در این جمیع
ما تفرق و یوم و برتت الصریح اینست که اینست و قد بر
و

أسرار الاستقالات

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

ما أغرب أن أعيش في زنزانة ، وأرقب منها الحوار العجيب الذى يحدث بين الحكام ! هذا الحوار الذى يجرى في الخفاء ، ولكن بفضل بعض تلاميذى استطعت أن أعيش فيه ، وكاننى ما زلت جالسا في مكتبى في أخبار اليوم . ما أعظم الفرق في الزنزانة في ليمان طره ، والزنزانة في أخبار اليوم . لا فرق بين زنزانة السجن و زنزانة الصحافة ! هناك في الصحافة كانت هناك قضبان وسلاسل وقيود ، وميون متلصصة ورقابة صارمة وخطوات محسوبة .. هنا القضبان منظورة ، وهناك القضبان غير منظورة ! هنا محكوم على المسجون السياسى بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وهناك محكوم على الشعب المصرى بالمعمى المؤبد ، فلا يرى الحقيقة . ومحكوم عليه بالضمم المؤبد فلا يسمع الحقيقة !

في كلتا الزنزانتين أعرف الحقيقة ولا أستطيع أن أنشرها أو أقولها !

ان المناقشة بين كمال الدين حسين وعبد الحكيم تؤيد رأىى في أن الحكام عندما يجلسون فوق مقاعد السلطة لا يرون الحقيقة فإذا نزلوا منها رآوها كلها !

كأن مقعد الحكم هو عصابة توضع على العيون .

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها أن كمال الدين حسين بدأ يرى الحقيقة .. وفى أول الأمر لم يرها كلها ، وفى آخر الأمر لم يصدق هينيه !

لقد عثت الصراع كله بين عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة :
وقد استطاع أن ياكلهم واحدا واحدا ، ولم يبق منهم سوى
عبد الحكيم وقد حاول أن ياكله بعد انفصال سوريا ، ثم وجد أنه
صعب الهضم بسبب موقف الجيش معه ، ولهذا أجل عملية اكله
الى حين . .

وهذا هو نص خطاب كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر :
كما استطاعوا أن يهربوه الى السجن .

وفي هذا الخطاب يشير كمال الدين حسين الى المناقشة منحه
الرئيس جمال عبد الناصر عندها اعترض كمال الدين حسين على
الاشتراكية المتطرفة فسأله عبد الناصر :

— ايها احسن عيود أم ستالين ؟

لقد عثت استقالات أعضاء مجلس الثورة كلها . .

وقد بدأ الصراع بعد خروج محمد نجيب ، وانفراد جمال عبد الناصر
بالسلطة تدريجيا .

وكانت اول استقالة هي استقالة يوسف صديق في فبراير سنة
١٩٥٢ .

وكانت ثانی استقالة هي استقالة صلاح سالم في سنة ١٩٥٤ ،
عندما فشل في مهمته في السودان ، واتهم بأنه المسئول عن ضياع
السودان وفي سنة ١٩٥٤ خرج خالد محيي الدين من مجلس الثورة
بسبب اتهامه بأنه يحرص سلاح الفرسان ضد الثورة .

وفي هذا العام نفسه قرر عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين
الاستقالة احتجاجا على انفراد عبد الناصر بالسلطة ، والانجاء
الى الحكم الديكتاتورى .

وسويت الخلافات . . وانتهت أزمة الاستقالة .

ومرة أخرى في ١٤ أبريل سنة ١٩٥٤ قدم بغدادى استقالته بسبب
خلافه مع عبد الناصر ، فقد كان يعارض في أول الامر في اقالة محمد
نجيب ، وكان يعارض في استئثار عبد الناصر بالسلطة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى من رئاسة مجلس الامة وكمال الدين حسين من عضوية مجلس الامة لان عبد الناصر أرغم المجلس على ان يسحب قراره برئت الاعضاء الذين قبلوا وظائف في مديرية التحرير اثناء التحقيق في التصرفات غير القانونية التى حدثت فيها .

ثم سويت الاستقالة .

واستقال زكريا محيى الدين في ذلك الوقت لانه قال امام بعض الوزراء « لازم نشيل عبد الناصر » وذهب بعضهم وأبلغ هذا الى عبد الناصر .

واستقال كمال الدين حسين من وزارة التربية والتعليم لان عبد الناصر أراد فتح باب الانتساب لكليات الجامعة برغم معارضة اساتذة الجامعة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين لان الرئيس عبد الناصر لاحظ ان الصحف تتحدث عنهما كثيرا فوزع منشورا دوريا على الوزراء يعترض على الوزراء الذين يقومون بدعاية لانفسهم . . وكان الذى يكتب عن بغدادى وكمال الدين حسين في الصحف واحدا من الف مما يكتب عن عبد الناصر وحده !

وبعد الانفصال بين سوريا ومصر ، قرر عبد الناصر التخلص من عبد الحكيم ، واعتبره مسئولا عن الانفصال ، لان مدير مكتبه في سوريا عبد الكريم النحلاوى هو الذى قاد عملية الانفصال .

واتصل يومها عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه ان يتولى منصب القائد العام .

وقبل كمال الدين حسين على ان يتولى بغدادى الطيران !

وعرض عبد الناصر على بغدادى ان يتولى قيادة الطيران وكان يريد التخلص من الفريق صدقى محمود قائد الطيران باى ثمن .

ولكن في كل مرة يقترح نقله من منصبه يهسد عبد الحكيم بالاستقالة .

وهكذا ترين أن الحالة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت سيئة .
ولكن عبد الحكيم طيب القلب ، ولهذا كان يسهل دائمها
مصالحته .

وهو يبدو اليوم متحمسا جدا في موقفه في تأييد انفراد عبد الناصر
بالسلطة .

وسوف يندم غدا .

وهذا نص رد كمال الدين حسين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لم يكن في نيتي بعد خطابي السابق أن أكتب لك ثانية . . فقد وعدتك إلا أزعجك وكنت عند وعدى ولكن هناك نقطة خطيرة في خطابك أشعر أنها تحتاج إلى إيضاح وأنا أحاول في هذه السطور أن أوضح هذه النقطة حتى لا يكون حكمك فيها مبنيًا على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ وأرجو ألا تحمل كلامي هذا أكثر من هذا المعنى .

١ — تقول إن الرسالة التي تلقيتها مني كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت في نظرك جميع القيم والروابط التي تجمعنا ، وطبعًا أنت حر في وجهة نظرك من ناحية الروابط ولكنك لست حراً في أن تبني أحكامك على تصورات خاطئة .

٢ — تقول إن الرسالة التي تلقيتها وكانت من كمال رسول الله (حاشا لله) إلى عبد الحكيم كسرى أتو شروان وهذا خطأ فلم يقصد منها إلا أن تكون لعبد الحكيم علم الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك في صداقات وأخوة . . وأنا لم أخيل

لنفسى أن ادعى هذا الموقف وحاشائى أن ادعى ذلك .. ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى ادعى ذلك .. الفرد فى أمة مفروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم « اتق الله » وقد قالها واحد من المسلمين الى سيدنا عمر فما كان من عمر الا أن قال « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » ولم يتصور الذى قالها فى وقت من الأوقات كرسول الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة .. واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر ولم يجرؤ واحد منهم حتى معاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها .

٣ - أما عن التوقيت فقد أخبرتك فى مناسبة سابقة لى أننى كثيرا ما فكرت فى كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ولكنى كنت أعود وأعدل عنها حتى لا يساء فهمها .. وربما وجدتم فى بعض مذكراتى أو النوت التى كنت اكتب فيها مسودات لهذه الخطابات التى لم ترسل ..

ومن الطبيعى أن يفيض الأمر بنفسى بعد ما علمته عن الاعداد التى تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذى يقذفون فيه والعذاب الذى يقاسونه والموت الذى يحولهم من أكيمين أحياء مفروض أن يكونوا أحرارا الى مجرد أرقام مدفونة فى التراب .. ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة ماذا لم يوجد واحد فى بلد تعدادة ٣٠ مليوناً يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء وقت لحاكميه ألا تفرحوا بأن هذه حال بلدكم .

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله هل هو رمى المخاطب بالزندقة والكفر .. لا اعتقد ذلك أبدا .. نهى عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين ، لم يخطر على بال من قالها أن يدعى أنه كرسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة، وقلت فى نهاية الخطاب أن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقد قلت لك فى أول الخطاب لا خير فى اذا لم أقلها لك (والله يقول أيضا ذلك) « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » صدق الله العظيم .

وتتقوى الله هي مراعاة الله وخشيته ورعاية عدل الله .. ويقول
الله في ذلك « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى
وانتقوا الله ، ان الله خير بما تعملون » أخشى يا عبد الحكيم أن
تكون هناك عقدة نفسية من هذا الموضوع فانت لو قرأت كتاب الله
وعرفت معانيه لما تطرق الى ذهنك هذا التفكير .

٤ — بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقتلت
انه كان من الأجدر أن اسنكرها بدلا من هذا الخطاب وسوف أقول
لك حقيقة مشاعري بلا مواربة في هذا الموضوع :

أولا :

أنا لا أريد الجريمة بطبعي ولا يمكن أن أقرأها ولكن أرى أن يحاكم
المجرم بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع .

ثانيا :

انه وخاصة بعد تجربتنا الغير موفقة في موضوع الحرية لا أؤمن
اطلاقا بأن أي نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدي الى الحرية،
بل سيؤدي الى دكتاتورية أشد قسما ، فإذا ارتكب باسم الدين كان
أدهى وأمر .

ثالثا :

ان جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة اذا وجد فهو احسن
مناخ يمكن أن تتم فيه التريية السياسية ويمكن أن يصلح فيه الحكم
ويزيد الانتاج وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادئ الحق أن تنتصر .

رابعا :

ان المبالغات التي صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التي
تنسف القناطر الخيرية ، تجعل المواطن الذي فقد ثقته غيما يذاع
في وسائل الاعلام المختلفة على لسان كثير من المسؤولين بكثرة
وما فيها من كذب .. تجعله يشك شكاك كبيرا في حقيقة هذا الموضوع
ومداه .

خامسا :

ان تسوة الاجراءات التى اتبعت مع الآلاف التى قبض عليها ظلما وعدوانا ولا يعرف مصيرها ، تجعل الناس فى جو الديكتاتورية الموجود يعتقدون أنها فرصة للقضاء على كل اثر للمعارضة وزيادة تكيم الأمواه .

سادسا :

ان الشيوعيين الذين أخذوا يتريقون فى الجرائد بالكلام والصور على الاخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفى فى الاسلام نفسه « وأهى فرصة » .

٥ — أما بخصوص الكتب التى أعطيتها لبعض زوارى ، فانا فى مارس ١٩٦٥ أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما أظن كل واحد نسخة من كتاب سيد تطب وطبعا أعطيت لأمثالهم مثل هذه النسخ لأن ما فيها يعبر عن رأى كما قلت ، ولم ولن فى يوم من الايام أتردد من المجابهة بهذا الرأى .

٦ — وأخيرا فيجب ان اتبه أنه يجب التفريق بين الاسلام وبين اذى مخلوق يحاول التعبير عن رأيه .

٧ — جملة ثانية لم أهمها أبدا . . وان كنت تعنيها فلتجابهني بصراحة ولا داعى للى والدوران . . انك تقول هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل اللا انساني أو تعنى أنه يجب عليك استنكاره .

فأما من ناحية الاستنكار فقد أوضحت لك موقفى من ناحية أما عن تأييدى فهذا هو الافتراء بعينه . . من الذى قال ذلك . . من الذى يفهم ذلك . . والله اذا كان هذا اتهاما فانا مستعد لمواجهة هذا الاتهام . . واذا كان خطأ فى الفهم فهو موضوع آخر .

أنت تقول أنت تؤيد فى خطابك الذى يدل على ذلك ، وتستطرد فتقول « أى أن معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وعلى اغتيال

شعوب .. « انت يا عبد الحكيم .. لست انا الذى اوافق على ذلك »
ومع ذلك فأتى كلمة في خطابي من الكلمات اعطتك هذا المعنى هذا
جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات ان نحمل أى معنى آخر
عن الذى عنينه وهما قضية الحرية والعدل .. أما ان تفهم انى أؤيد
النفس والتخريب والقتل .. الخ بهذه الكلمات .. فكلام غريب ..
وغريب جدا ويمكن ان يعرض على ناس غير متوقري الأعصاب
مثلا .. ولكي يقولوا رأيهم فيه أم انك يا عبد الحكيم تدخل معنى في
مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين . ليس معنى انى غير
موافق على ستالين انى اوافق على عبود .. وكذلك ليس معنى
انى أقول لكم انتقوا الله انى موافق على التدمير والتخريب .

٨ — أما الحقيقة التي يعرفها الناس ، فلنا لى رأى واثت لك
رأى ، ولو كان هناك حرية في البلد لا يمكن ان تعرف الرأى الصواب ،
ولكن أنت في موقف الحكم الذى لا يملك أحد الرد عليه ، فلك ان
تعتقد ما شئت ولكن تذكر انى قلت لك في مارس ١٩٦٥ انه يجب
عليك معرفة رأى الناس ما دمت مسئولاً عن الناس .. وكان ذلك
رداً على كلامك بأنك لا تقابل أحداً ولا تتصل بأحد وطبعاً لا يكون
لك من سبيل الى معرفة الحقيقة الا عن طريق التقارير .. بالضبط
كما كان يراد لنا ان نعرف الحقيقة عنك أنت شخصياً عن طريق
التقارير .

٩ — أما عن موضوع رحيلى الى الخارج فأتى كنت أعنى حقيقة
الذهاب الى المدينة المنورة وليس معنى ذلك ان السعودية بلد الحرية
المفقودة أو الاسلام الصحيح ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية
الروحية ومع ذلك فأتى لم أقصد ان أحدد غير هذا المعنى ولكنى
أفضل أى بلد عربى أو اسلامى .

١٠ — ذكرت لى وطلبت منى الا اخذع نفسى وإن أرى الأمور على
حقيقتها والا أتكلم عن القانون وعدم التحدث عن أشياء صغيرة ..
ماذا كنت تعنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فأعلم يا عبد الحكيم
انه ليس موضوعاً قانونياً وصغيراً ولكنه موضوع رئيسى لأنه هو
موضوع الحرية التي تقهر .. أذ أن هذا القانون يسلب الناس أى
معنى من معانى الحرية ويعطى لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة
لم يتمتع بها أى حاكم لهذا البلد منذ قرون .. المادة الرابعة

فيه تنص على أنه لا يجوز الطعن في قرار رئيس الجمهورية بأى شكل من الأشكال أو أمام أى جهة كانت .. أى ليس هناك إلا الله عز وجل هو الذى يطعن أمامه يوم القيامة ان شاء الله .. ان الموضوع ليس مجرد قانون عادى ولكنه ينسف أى كلام عن الدستور المزعوم أو الحرية كل الحرية للشعب أو خلافه من الثماعات .

١١ — وغربت أيضا أن ترجع يا عبد الحكيم متناقش الاعمال التى قيل انهم سبوتكونها .. أنت تتسائل ، هل هذه هى الحرية التى اعلنها الاسلام وتقول « كلا .. والف كلا .. بل هذا هو الكفر » وأنا أقول أيضا من قال أن هذه هى الحرية ؟ ان هى الا عود الى المناقشة على طريقة « عبود احسن والا ستالين » ومع ذلك فهذه فرصة اتوجه بها اليكم راجيا أن تدققوا طعم هذه الحرية التى اعلنها الاسلام ما دتمت مؤمنين بالله واليوم الآخر اظن كلمة اتق الله فى الاسلام لا تواجه بمثل هذا الذى جابهتمونا به .. اسبع .. ان الله يقول :

« الذين ان مكاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ويقول « فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا هزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ويقول « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ويقول « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه ائيب » ويقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل خلا لا مبينا » ويقول « وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون » .

ويقول : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذمنين فى قلوبهم مرض لم يرتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم

ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون .

ويقول : « ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين » .

ويقول : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » .

ويقول : « وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك من بعض ما أنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .. » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما .. » .
طبعاً الحديث وجه إلى الرسول .

ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » .

ويقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهdy به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

ويقول : « ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » وآيات كثيرة في هذا المعنى أن ترجع أمورنا والحكم فيها إلى الله ورسوله ومن أحب من الله حكما لقوم يوقنون .. وأن ما بينى وبينكم احتكم فيه إلى الله وإلى الرسول .

١٢. — واتى لا أمنعك يا عبد الحكيم أن تعتب ولكذك تقول « انك

أصبحت بصدمة حيث وجدت أن هذا أسلوب تفكيرى الجديد وأن هذا ما يقره ضميرى وهذا ما أراه حقا « .. العجب كل العجب أنك تصورنى كيفما تريد ، وتصور أسلوب تفكيرى كما تريد .. هل سألتنى عن شيء من ذلك .. لا أعتقد أنى أوافق على الإرهاب والتدمير والتخريب .. الخ والتى لا يدل عليها أى كلام قلته أو عملت به .. ولكنها تهيؤات .. ولعبة عبود أحسن والا ستالين » .

١٣ — طلبت منى أن أهدأ نفسا وأن أطرح المسائل الصغيرة وأنا لم أناقش مسائل صغيرة وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس أناقشك .. وأنتم لا تنكرون على أنى لم أذكر وسعا للعمل بتفانى فى كل ما أوكل الى من أمر .. أما أن جميع السلطات كانت فى يدى سياسية وتنفيذية فهذا وهم .. إذا لم يكن لرئيس المجلس التنفيذى ولا للمجلس نفسه أى سلطة لدرجة أثارت ترقية توفيق عبد الفتاح فى جلسة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذى أو رئيسه أى سلطة غير أنه ممر تمر عليه المواضيع . ومع ذلك غفى فترة الاتحاد القومى قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من أسوان الى الاسكندرية ليمبروا من آرائهم بمنتهى الحرية والتى كانت لا تعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا أن يكونوا خدما مخلصين لهذا الشعب .. وأنت تعرف المجهود الذى بذل فى هذا السبيل .

١٤ — أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فانا لا أنكر اشتراكى فيها ولا أنكر تحمسى لها ولا يمكن أن أكنب على نفسى فى ذلك .. ولكن الحقيقة أيضا هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت ؟ .. أبدا . وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الانتاج كما قيل فى جلسة مارس ١٩٦٤ حيث قلت لكم دينكم ولى دينى .. ثم أين قرارات اللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية .. وأين التصريحات عن « الحرية كل الحرية للشعب » .. ؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل .. أبدا .. ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب الوطنية أين التصريحات التى قبلت فيه ؟ وأين قراراته .. الميثاق نعم .. ولكن أين تقرير الميثاق ؟ ؟ كلام

ثامه وريك كها يقول جمال عبد الناصر .. انا اعلم ان للميثاق وجهين وجه ماركسي ووجه اسلامي .. اما الوجه الاسلامي فهذا الذي تقرر في تقرير الميثاق .. وانت تعلم ان الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأى جمال عبد الناصر عدم التعديل ولكن ما يريدون من تعديل يوضع في التقرير .. واقر جمال عبد الناصر التقرير .. وقرر المؤتمر ان يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها .. أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا في لجنة تقرير الميثاق ان هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لانه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية ب مفهوم خاص ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية .. ويقول ان القوانين يجب ان تستمد من الشريعة وأن قيم المجتمع وثقافته يجب ان تبني على أساس الدين .. الخ من الكثير الذي جاء في التقرير ..

وانا قلت في مارس ١٩٦٤ ان الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل .. ولكن أين الميثاق وأين تقريره .. بدون حرية .. كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره .. ؟ أين ضمانات الحرية المنصوص عنها في الميثاق وتقريره .. أين الدستور الذي كان مقررا ان يعمل له الشعب في سنة ١٩٦٢ .. أين قانون الاتحاد الاشتراكي الذي عمله الشعب ؟ أين قانون الانتخاب الذي عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكي ؟ أين المحكمة الدستورية العليا ؟ أين أي قانون محترم ؟ .. أين سيادة القانون ؟ .. واذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أي شيء نتحدث من الحرية ؟ .. وكيف يقال ان هذه موضوعات صغيرة ؟

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها .. وقانون الاتحاد الاشتراكي عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون ١١٩ عمله جمال عبد الناصر .. وجمال عبد الناصر عمل ما يريد في كل هذا .. ؟

فهل هذه هي الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التي استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقلالك ؟ هل كنت تعني حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية ؟

١٥ — أما موضوع التفكير الذى تقول انه جديد .. فهذا كلام قبيح لى فى مارس ١٩٦٤ وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جبال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الدينى الإسلامى والوطنى منذ تعارفنا على بعضنا وأنت تعرف الظروف التى جمعتنا بجبال عبد الناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسند فى حجرة مظلمة فى حى الصليبية مع المرحوم السندى وأنت تعلم كيف أننا أقمنا الضباط سنة ١٩٥٤ حين قام الأخوان بحركتهم بأننا نسير فى طريق الإسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات وأننا سنعمل على تطبيق الإسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيرا ما تحدثنا وبك بالذات عن الاشتراكية الإسلامية وقد قلت أنكم .. فكرتم مرة فى عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الإسلامية .. وأنا حين وجست أن الانحراف سيجرف تيار الثورة قلت أنه لا عاصم لنا الا الإسلام وهذا كلام الله الذى قال « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وأنا كنت وما زلت أعتقد فى ذلك من قبل الثورة لأن .. ولكننا توهمنا أنه يمكن أن نصل الى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب أن نواجه أنفسنا بالحقيقة .. والإسلام يعطينا الحرية .. والإسلام لا يعبد فيه الا الله .. ولا نتخذ فيه من أحد العباد لها آخر .

يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله .. لأن الحاكم عبد الله .. الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبيهة الهوى .. فالإسلام فوق شبيهة الهوى والغرض ولذلك فتتوى الله واجبة الاتباع .. وهذه بديهيات الدين .. وليس فى ذلك معنى التعصب ولا تحكم طوائف دينية معينة ولا أى شئ من هذا القبيل .. لأن الإسلام لكل فرد .. وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصى ولا وسيط وليس المجال مجال محاصرة عن الإسلام .. ولكن الذى أقوله أن افكارى ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذى أصاب نفوسنا .. وإجراءاتنا عندما نسبنا الله الذى نصرنا فى كل خطوات كفاحنا فى ثورة ٢٣ يوليو وفى حرب السويس .. الله هو الذى نصرنا وليس الصاروخ الروسى .

١٦ — يا عبد الحكيم أنت الذى تتهمنى بأن عقلتى يرفض أن يناقش .. من قال ذلك .. ؟ أنا لم أرفض النقاش ولم أرفضه .. وأنا لا أصر على رأى ولا أحاول أن أكون دكتاتورا .. ولكن هذه التهمة وجهها لى جمال عبد الناصر فى مارس ١٩٦٤ وقد رددت عليه يومئذ بأن يسأل الناس من أسوان الى الاسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك فى مناقشاتنا الشعبية المختلفة أما أن تفرض على عقيدة معينة غير الاسلام .. فإذا لم أقبلها كنت دكتاتورا .. فأتأ لا أقبلها طبعاً وأنا احتكم الى الله وسنة رسول الله .. أما أن تتهمنى حين أتمسك بدبنى بأننى دكتاتور فلك ولجمال عبد الناصر أن تقولوا ما تشاءون ما دام لكم أن تقرروا ما تشاءون .. أما إذا كانت هناك حرية رأى فليطرح ذلك على الناس لترى من منا على صواب اليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم .. الى آخره ..

أواقع أن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعاً عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع فيتهمنى اتى دكتاتور .. وجميع الناس يعلمون جيداً من هو الدكتاتور ..

١٧ — وتصحني يا عبد الحكيم وأنا أشكر لك النصيح .. أن أبحث عن عيوبى .. أنا لا أدعى أن أصلح حالى أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توههم ..

اتهمتنى بأننى أجعل لكلام من حولى قدسية .. وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولى علاوة على أننى لا أقدس كلام أحد الا الله .. ثم تقول انهم يعملون طلباً للنفوذ وطلباً للسيطرة وطلباً للشهرة وأنا لا أدري ممن تتحدث .. وأنا أخبر كل من يزورنى أن اسمه يؤخذ وأنصح به بعدم زيارتى حتى لا يصيبه مكروه .. فعلاً قد أصاب الكثير مكروه .. وأكون شاكراً أن تدلنى من هذه الأمثلة التى تتحدث عنها حتى أعرف كيف تفكر أنت الآخر .. لا تتوهم يا عبد الحكيم أننى لا أفكر جيداً أو لا أحل جيداً أو أننى لست صريحاً مع نفسى .. على قدر طاقتى طبعاً وفى حدود تصورى .. فمن هم يا ترى الذين تقول أننى اتصور انهم أخلص الناس الى والذين تتصور أيضاً أننى أخذ كلامهم بقدسية ..

١٨ - تقول يا عبد الحكيم كيف اتصور الحرية في ظل الدماء والخراب وأعود فأقول من الذى جعلك تتصور اتنى اتصور هذا .. ولا تنظر اتنى مراوغ فى ذلك ولكذك تعلم اتنى لا أغش ولا أكنب .. وأنا يقينا أرفض أى تأمر أو انقلاب أو تخريب أو أى شىء من هذا القبيل لأننى أعلم حقيقة ما لا يعلمه الناس الكثيرون .. أن الأنبياء فقط هم المعصومون وأن أى حفنة من المتأمرين مهما كانت الشعارات التى يرغبونها ستقيم دكتاتورية أعنف .. وأشد الأمر أن تكون حربا أهلية لا قدر الله .

مكيف تخاطبنى بهذا الاعتقاد الخاطيء أنك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمنى أيضا .. من يقول أن الحرية تاتى من هذا الطريق .. كل تعليقاتك عن هذا الطريق فى حديثك لا محل لها أصلا ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطيء .

١٩ - وتقول لى اتق الله وأنا لا أرفض تقوى الله اطلاقا واتمنى على الله أن يمنحنى تقواه وأن تطمئن نفسى بتقواه أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فإنه كان من أسهل السهل على .. لولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت أكلت « عيش وبغلاوة كمان يا عبد الحكيم » .

٢٠ - أما الحقيقة المرة التى تتحدث عنها يا عبد الحكيم .. فأنا لم أرها بعد الا من جانب آخر .. وأنى لا أرى الأمور على حقيقتها .. فإذا كان لديك كلام آخر غير الذى اتهمتنى به باستغلالك الخاطيء ظلما وعدوانا فأكون شاكرا لو تكرمت على به أما من ناحية اتنى أسد اذننى فأنا لك أذان صاغية .. ومن ناحية هواى فإنه ليس لى هوى ولا أريد شيئا لا جزاء ولا شكورا الا أن تحكوا الله والرسول فيما تختلف فيه ، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهائكم .. والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون وقد زوره ستالين ٤ مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة .. وهو أخيرا لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذى يسجله الله لعباده .

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه « صدق الله العظيم » .

وأنا لم اتبن افكارا جديدة كما قال جمال عبد الناصر في مارس عام ١٩٦٤ ولكن الحقيقة أننا اختلفنا ايدولوجيا كما قال أيضا .. أنا احاول أن نرجع الى الاصل الذي بدأنا منه وأنتم تفريكم مظاهر جديدة وافكار جديدة وايدولوجيات جديدة .. وأنتم احرار وأنا حُر أيضا .

أما عن السلطات فانت تعلم أنه حينما بدأنا الحديث في مارس ١٩٦٤ قلت أنني لا لنوى الاشتراك في الحكم وانت الذي الحيت على في القبول وحين قبلت كان على أساس ولكن انهار الأساس قبل أن نبدأ أي عمل مع بعض مرفضت الاشتراك رفضا قاطعا .. وانت تعلم أنني قلت مرة أنا مستعد أن أعمل محافظا لسيناء أو أن أعمل مستشارا .. أو أي عمل ما دام هناك اتفاق على المبادئ .. لكن أن أعمل بوجهين أو أقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعي يأبى إلا أن أكون صادقا مع من أعمل معهم .. مخلصا لمن أعمل معهم وأشعر طبعاً أنهم يبادلونني نفس الصدق والاخلاص .. لا أن يحاكموني محاكمة غيبية أو يقولوا على من ورائي ما لم يقل لك حتى الآن .. رغم كل ما حدث ورحم الله أبرءا عرف قدر نفسه لا غرورا ولا افتتانا .. ولكن اشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن اشترك فيها وأنى احاول أن استغفر ربى لكى يكرر عن خطيئتي .

وطبيعى اننى لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعهوما نحى هذا لا يضيرنى شيئا .. والله الامر اولا واخيرا .. والسلام .

امضاء .

كمال الدين حسين

من القتال ؟ !

سجن الاستئناف

يناير سنة ١٩٦٦

عزيزتى

تلقيت اخبارا غريبة من تلاميذى خارج السجن . كان كمال الدين حسين معتقلا في استراحة مصلحة الآثار في الهرم . التليفون مقطوع . الزيارات ممنوعة . المدافع مصوبة . اسلاك شائكة . حرس مدجج بالمدافع الرشاشة . كأنها قلعة حربية . شكنا نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس الثورة السابق أن الاستراحة كلها من البلاط . اولاده يرتعشون من البرد القارس . ينامون على مراتب فوق البلاط . لا يجدون ماء ساخنا . يضطرون الى تسخين الماء فوق وابور غاز . وطلب كمال الدين حسين نقله الى مكان آخر لأن صحة الأسرة تسوء في هذا المكان ..

وصدر الأمر بنقله الى مكان آخر في طريق مصر الصحراوي بين القاهرة والانسكندرية ، وهو مكان منعزل عن العالم . وذهب كمال الدين حسين وزوجته الى البيت الجديد . وكانت ساعة المغرب ..

وما كانت الزوجة ترى البيت حتى تراجعت وقالت :

— مستحيل أن ادخل هذا البيت !

— لماذا ؟

— أنتى اشعر لو دخلت هذا البيت ، بأننى ساموت فيه !

وقال لها كمال الدين حسين بحزم :

— ادخلنى ! لا اريد أن أعترض على ما يفعلونه بنا !

ودخلت الزوجة تجر اقدامها ..

ومرضت زوجة كمال الدين حسين . وساعت صحتها . وطلب
كمال الدين حسين من الصاغ كمال المحمدى القائد المشرف على
الحراسة بأن يطلب اذنا من السلطات العليا للسماح باحضار طبيب
غورا لاسعاف زوجته .

وابلغ القائد الطلب في الحال الى سلطات الدولة ..
ومضى يوم .. ويومان .. وثلاثة أيام .. وعشرة أيام ، ولم
يصدر الاذن بدخول طبيب الى المعتقل لاسعاف زوجة عضو مجلس
الثورة السابق ، ونائب رئيس الجمهورية السابق .
وصاح كمال الدين حسين :

— أنتم مسئولون عن موتها اذا لم تحضروا الطبيب !
وفي اليوم الحادى عشر صدر الاذن للتكتور رفاعى كامل بالذهاب
الى المعتقل لعلاج زوجة كمال الدين حسين !
وكان الان متأخرا جدا — جاء الطبيب ليجد أن نسبة السكر
ارتفعت الى ٤٠٠ فى المائة !
وامر الطبيب الكبير باعطائها حقن انسولين ..

وجاءت الحقن من السلطات .. لم يسمح لاحد من أسرة
كمال الدين حسين بأن يخرج لشراء الحقن المطلوبة !!
وما كادت زوجة كمال الدين حسين تأخذ الحقنة حتى أهيببت
برعشة غريبة !!
وبعد يومين أسلمت الروح ..

وأغرب من هذا كله أن امرا صدر بأن لا يذهب احد من كبار
رجال الدولة لتعزية كمال الدين حسين فى وفاة زوجته !
ومع ذلك امتلا ميدان التحرير بالوف المعزين .
واستمر السراىق المنصوب فى مدينة بنها ثلاثة أيام متوالية غامضا
بوفود الاقليم !

لم يطع الشعب الاوامر بعدم تقديم العزاء الى نائب رئيس
الجمهورية السابق وعضو مجلس قيادة الثورة السابق .
هكذا هو الشعب المصرى ..

الحكمة ...

سبحن الاستئناف ..

أخي العزيز ..

لابد أنه وصلت اليك انباء مهزلة المحاكمة . لقد رقت المسرحية باخراج مثير . ودعت المخابرات الصحفيين لسماع تسجيلات بصوتى قالت أنها تحوى اعترافتى ! ومن المضحك أن بعض الزملاء الذين لا يعرفون لغة أجنبية خرجوا بعد سماع الاشرطة وهم يؤكدون اننى اعترفت اعترافا كاملا ! وكلما شعر أصحاب المهزلة بأن الناس لا تصدقهم مضوا فى اختراع الاكاذيب وتزييف الأدلة وتاليف الاعترافات .

ومن الغريب أن الفريق الدجوى رئيس المحكمة قال للمحامين أن القضية ليس فيها شيء ! ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر ، لأن الدجوى ليس هو الذى يحكم . انه يطلق الاوامر بالتليفون ، وينطق بها كالبيغاء ! وعندما قيل لى فى المخابرات اثناء التحقيق أن الدجوى هو الذى سراس المحكمة تأكدت انهم لم يجيئوا به ليحاكمنى ، وانما ليحكم على ! ولا انسى محادثات تليفونية كثيرة دارت بينه وبينى اثناء توليه محاكمة صلاح الدين وزير الخارجية ، فقد كان يرجونى الاهتمام بنشر صوره ، وكان يحرص على أن يقول لى أنه أخلص رجل لجبال عبد الناصر ، وأنه اذا طلب اليه أن يلغى بنفسه فى النار ، فلن يتردد ، وكان يقول لى هذا طبعاً لأبلغه الى الرئيس عبد الناصر ، لأنه كان يعلم أن العلاقة بينى وبينه وطيدة ! وعندما أردت مرة أن أطمئن منه على الحكم فى قضية صلاح الدين ، وأنا واثق انه برىء ، فوجئت به يقول لى يومها انه واثق أيضاً أن صلاح الدين برىء ولكنه « عبد المأمور » ! وبعد ذلك حكم على محمد صلاح الدين « البرىء » بالأشغال الشاقة المؤبدة !

ولقد قيل لى أن غلطى الوحيدة هى اننى قلت أن الرئيس هو الذى كلفنى بالاتصال بأمريكا ، وأن هذا سر كان يجب أن أحتفظ به ، حتى لو وقفت أمام المشنقة ! وقد رفضت أن أقتنع بهذا المنطق الأعرج ، حتى وأنا اتلقى أشكالا والوانا من التعذيب . وقد تلقيت تهديدا قبل المحاكمة اننى اذا فتحت فمى وتكلمت عن التعذيب فسوف يسموننى فى السجن ، ويخطفونك ويضعونك فى صندوق ويرسلونك الى مصر ! وأنا لم أخف من كل هذا ، فإن الموت أخف كثيرا مما تعرضت له . ولكنى أعرف أن لا جدوى من الكلام أمام الدجوى ، فقد صدر قانون خاص من أجل ومن أجل جميع الذين عذبوا ، وقد نص هذا القانون الغريب على أنه لا يجوز الطعن فى اجراءات التحقيق فى هذه القضايا بالذات ، وذلك حتى يمنع المحامين من أن يثيروا موضوع التعذيب الوحشى الذى حدث فى هذه القضايا . وعندما وقفت أمام الدجوى رفضت أن أتكلم ، أو أذافع عن نفسى بكلمة واحدة . فقد علمت من هيكل أن المحاكمة ستكون سرية حتى لا يعرف الناس ما جرى فيها . ولو كان الذين ظلمونى يظنون أن المحاكمة تديننى لأسرموا بإذاعتها كاملة . ولكن ما كادت الجلسة تبدأ حتى طلب الادعاء جعل الجلسة سرية . وخرج عشرات الصحفيين الذين جاءوا من أنحاء العالم لمشاهدة محاكمة الصحفى الذى تجرا وقال « لا » !

وأنا لم أقل « لا » للاشتراكية . ولم أقل « لا » لتأميم أخبار اليوم . ولم أقل « لا » لى عمل كبير من الأعمال التى حققتها الثورة من أجل الشعب . لقد قلت « لا » للدكتاتورية . « لا » للتعسف والارهاب . « لا » للمعتلات والسجون ، « لا » للعسوان على الحرية وحقوق الانسان . اننى أحد الذين اشتروا فى بناء الهرم لمن غير المعقول أن يعمل على هدمه . ولكن هل أسكت على الذين وضعوا فوق قمة الهرم صندوق زبالة يضعون فيه قاذوراتهم . اننى كنت أخاف على عبد الناصر ولا أخاف منه . أخاف على الثورة ولا أخاف منها ، أخشى أن ينحرف مسارها وينهار الجبل فوق رؤوسنا جميعا ! فى الأوقات العادية لا يعتبر هذا العمل « خيانة وطنية » بل يعتبر « منتهى الاخلاص » ولكن يوم يتسلق الى قمة الثورة الانتهازيون والاماتون ومجنونو السلطة تصبح كلمة « لا » الصديقة هى خنجر فى ظهر القيادة ! انهم لا يريدون لصقاء بل يريدون

عملاء ! لا يريقتون شركاء وانما يريقتون تابعين . ولا يريقتون
نصحاء ، وانما يريقتون حملة مباحر يسجدون مع الساجدين
ويركعون مع الراكعين ! .

ومن المضحك أن الادعاء وقف أثناء المحاكمة والتفت الى وقال :
— كيف تطلب قبحا من أمريكا ؟ ! مين قال لك يا مصطفى احنا
هايزين قبح ؟ مصر ليست في حاجة الى قبح من أمريكا .

ومن سخرية القدر أنه في هذا اليوم بالذات ظهر مقتل محمد
حسنين هيكل الأسبوعى وقال فيه بالحرف الواحد « انه ليس سرا
أن ستة أرغفة : من عشرة مصنوعة من قبح المعونة الأمريكية » .

ومن الطرائف أنه ظهر أثناء المحاكمة بجلاء أن شرائط التسجيلات
بلفقة ، ومحفوف منها كلمات ، وقد كان التزييف واضحا حتى أن
الادعاء لم يجرؤ على الدفاع عن سلامة هذه الاشرطة .

ومن أهم ما جاء على لسان الادعاء أن مصطفى أمين ضال
المخابرات الأمريكية .

فقلت له ساخرا : وهل هذه جريمتى التى أحاكم من أجلها ؟

وترافع الدكتور محمد عبد الله المحامى مرافعة رائعة ، وترافع
الأستاذ حمادة الفاحل مرافعة ممتازة ، وبدأ مرافعته بأن هذه
ليست أول مرة أترافع فيها عن مصطفى أمين ، فقد ترافعت عنه
في قضية اتهم فيها بالمعيب في الذات الملكية ، ثم عند الاتهام ونسفه
نفسا . وترافع الأستاذ محمد عبد السلام المحامى المنتدب وقدم
مذكرة قوية أعجب بها محمد عبد الله . وقد أثار المحامى المنتدب
أن التسجيلات استخدمت في ليلتين في ندوة بنقابة الصحفيين بدعوة
من رجال صلاح نصر . ومعنى ذلك أن الشريط الأصلي ليس موجودا
في المحكمة ، وكان المفروض أن يكون في حوز . وقد بدأ على المحكمة
الفرع ، وتجاهل الدجوى هذه الفضيحة ولم يرد عليها . ومن
المضحك أن رجال صلاح نصر ادعوا أمام الصحفيين أننى الذى
توليت بنفسى ترجمة الاشرطة ، مع أنهم هم الذين لفقوها وترجوها !

وفي نهاية الجلسة طلبت ان اتكلم . ووقفت وقلت : اريد ان اتول كلمة وهى اننى مؤمن بالله ومؤمن ببرايتى ومؤمن ببلادى . وانا سعيد ان احاكم فى هذا البناء . . مجلس الثورة . . ففى اثناء عدوان عام ١٩٥٦ اختارنى الرئيس جمال عبد الناصر من بين الثمانية والعشرين مليوناً من المصريين ، لاقوم بالدعاية فى أوروبا وأمريكا لهذه المعركة . وان اتفاوض باسمه فى الجلاء . وكنا فى الغرفة التى فوق جلسة هذه المحاكمة . يومها قال لى الرئيس عبد الناصر احب ان انبهك انك ستركب اول طائرة تطير اثناء الضرب ، وانك قد تموت اثناء الرحلة .

قلت : ليكن ! ان عشرات الالوف يموتون الآن فى بورسعيد . ومن سخرية القدر ان يقف الادعاء ، فى نفس هذه البناية ، ليطالب بعد تسع سنوات براسى !

ومن سخرية القدر ان يرأس هذه المحاكمة الفريق الدجوى الذى كان يحارب فى المعركة ، واسره اليهود وهو فى الجيش ، وصوروه فى تليفزيون أمريكا وهويسلم ويشكر اسرائيل ، وهاجموه وهاجموا الجيش المصرى معه واختارنى يومها الدكتور احمد حسين سليم مصر فى أمريكا لأدافع عن الدجوى وعن بطولة الجيش المصرى فى ١٦٠ محطة إذاعة وتليفزيون فى أمريكا .

وأخيراً يبارك الله فى خطوات جمال عبد الناصر من أجل هذا الوطن ، حتى لو أدت هذه الخطوات الى أن يدوس على حريتى وحياتى !

ووجهت المحكمة . واصفر وجه الدجوى . ولم ينطق الادعاء بكلمة . . وبكى عدد من رجال الشرطة .

وكان المفروض أن تقول النيابة الكلمة الأخيرة ولكنها لم تتحرك .
وقال الدجوى بصوت هامس : انتهت المحاكمة !

* * *

وقال لى الضابط الشرطة الذين حُفروا الجلسة السرية انهم والثقوب
ان البراءة مؤكدة مائة في المائة ! اننا الآن نعرف القضية تماما .

وضحكت ساخرا وقلت لهم : ولكن انتم لا تعرفون الدجوى !
ونسيت ان اقول لك انه قبل بدء المحاكمة جاء الى السجن ضابط
شرطة لينقلنى الى المحكمة فى سيارة لورى . وطلب الضابط من احد
جنود الشرطة الذين معه ان يأخذ « القيود الحديدية » معه . ولم .
يكن الضابط يقصد ان يضع القيود الحديدية فى يدي ، وانما قصد
ان يحملها الجندى وهو يمشى بجوارى .

ولكن الجندى رفض باستنكار وقال : انت تحط الحديد فى يدي
مصطفى أمين ؟ !

وقال لى الضباط انه مضى عليه ٢٠ سنة فى الشرطة وان هذه
اول مرة يرفض فيها عسكري اطاعة الاوامر ووضع القيود فى
يدهم !

هذا هو الشعب !



الرجوى أساس الملك ؟
الفريق الرجوى رئيس المحكمة العسكرية يتسلم على
الفران أن يحكم بالعدل في بداية المحاكمة !



القانون في اجازة .

المهاجرون على حمادة الناهل ومحمد عبد الله ومحمد عبد السلام
في أثناء المحاكمة كان من رأى محمد عبد الله أنه لو كان القاضي تمييزاً
في السنة الأولى بكلية الحقوق يعرف ألف باء القانون لحكم بالبراءة ٨



قلت الدكتور محمد عبد الله وحمادة الناحل
المحامين : أريد أن أثبت المحكمة بأن
التهمة بريء ، والقاضي هو المتهم !

كمال الدين حسين يتكلم !

سجن الاستئناف

عزيزتى ..

زار بعض تلاميذى السيد كمال الدين حسين بعد الانراج عنه مقال لهم بالحرف الواحد : خطاب « اتق الله » الذى ارسلته لجمال عبد الناصر كان احتجاجا صريحا ، وكلمة حق واجبة على كل مسلم ، ازاء اجراءات الارهاب والقمع والبطش على المواطنين الأبرياء . فقد عرفت ان كل مسجون سياسى يدخل السجن — ايا كان هذا السجن — لا حرمة له ، حياته مستباحة ، شرفه مستباح ، دمه مستباح . كنت اسمع كل يوم ألوانا غريبة من التعذيب التى تحدث للمعتقلين والمسجونين السياسيين . ولقد تأكد لى صحة ما كنت اسمعه . ان مهليات القهر والعنوان والغاء القانون واباحة التعذيب فاقَت كل وصف . لقد أصبح الحاكم لها ، منذ صدر القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . أعطى هذا القانون كل السلطات للحاكم شخصيا . حق الاعتقال ، ومصادرة الأموال ، واقامة المحاكم العسكرية بلا أية اعتراضات من أية جهة قضائية . وهذه هى المهزلة الكبرى ، أصبحت كل الجهات القضائية والتنفيذية ملفاة أمام هذا القانون ، ابتداء من شيخ الحارة حتى رئيس محكمة النقض ! ولذلك ، وبعد أن تأكدت بطرقى الخاصة وبصفة قاطعة من وثائق التعذيب المظلمة التى لا يمكن أن توصف ، كنزع الاظافر ، والتفخ ، والقتل ، وهتك الاعراض ، والصلب ، الى آخر انواع التعذيب التى لا يقرها دين ولا قانون ولا شرع ، بعد أن تأكدت أن الحاكم أصبح لها ومنح لنفسه كل الاختصاصات وكل السلطات ، وبعد أن منح لنفسه الحق الالهي ، كان واجبا على كمسلم ، وكمواطن مصرى ، وكما يطالبنى الدين ، وكمواطن ساهم فى الاعداد والقيام

بثورة ٢٣ يوليو ان اتول له هذه الكلمة « اتق الله » .. حرام عليك ..

قلنها واصبحت مستريحا ، فلا خير في اذا لم اتلها ، وقد قلتها له كناية في ذلك الخطاب « اتق الله » .

وقد اعتقلت ثلاثة شهور كاملة في استراحة الهرم .. والغريب ان جمال عبد الناصر كان يسمى الاعتقال تحديد اقامة ، فهل تحديد الإقامة يكون باحاطة الاستراحة بمائة عسكري من القوات المسلحة بالادامع الرشاشية ، والأسلاك الشائكة ، واقامة الخنادق والدشم والسيارات المدرعة حول المبنى الذي اعتقلت فيه . ومنع الزيارات ؟ هل هذه الاجراءات هي تحديد الإقامة !

وقبل القبض على جاء رجال مخابرات صلاح نصر وفتشوا بيتي ومكتبي ، كانوا يعتقدون انني اخفي اسلحة او وثائق ، او اسماء لبعض الضباط ، ولكنهم لم يجدوا شيئا فاضطروا لأخذ مذكراتي التي كنت اكتبها من الثورة .. ثورة ٢٣ يوليو .. ولم تكن مذكرات كاملة . كانت عبارة عن مسودات للمذكرات ، ولكن .. لقد اخذوها قبل ان اتم كتابتها كاملة . كما اخذوا صورة الخطاب الذي ارسلته الى جمال عبد الناصر وقلت فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من جمال الدين حسين

انا لا احقد عليك .. ولكني ارثي لحالك .

انت الذي كنت تقول للناس ارفع راسك يا اخي ، فقد خففت كل الرؤوس ..

كنت تقول للناس ان بقاء المصانع سهل وبقاء المدارس سهل وبقاء المستشفيات سهل . ولكن الصعب هو بقاء الرجال . لقد حطمت كل الرجال .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

أن الشيء الوحيد الذى أندم عليه فى حياتى هو اننى شاركت
يوما فى صنعك أنت .. صنع الصنم الأكبر .

كمال الدين حسين

وقال كمال الدين حسين لتلاميذى : انهم وهم يفتشون بيتى عبثوا
بكل ايمعتى وآثاث البيت ، ولكنهم لم يأخذوا شيئا منها .. مزقوا
بعضها فقط .. والحمد لله !

وقال كمال الدين حسين ، كتبت الى جمال عبد الناصر
٣ استقالات الاولى سنة ١٩٦٢ .

الثانية سنة ١٩٦٣ .

والثالثة والاخيرة كانت فى أغسطس سنة ١٩٦٣ .

ومضمون هذه الاستقالات كلها هو فى الحقيقة تحذير للحاكم
من انفراده بالسلطات ، تحذير له من جمع كل السلطات فى يده ،
تحذير له من ضربه حقوق الشعب بعرض الجائط . تحذير له من
الفسط على الناس ، من الاتجاه بالدولة الى حكمها حكما ديكتاتوريا
مطلقا .

كنت اقول فى كل خطاب استقالة لا أستطيع أن استمر فى السلطة
التفنيذية وسط المسرحية الكاذبة المضللة عن الديمقراطية ، وكانت
ديموقراطية مزيفة .

كنت اقول فى استقالاتى اننى لا أستطيع أن أواجه الشعب وأبرر
له كيف أن ثورة ٢٣ يوليو وهى ثورة الحرية والديموقراطية والعدالة
تتقلب تدريجيا ، وطبقا لمخطط مرسوم دقيق ، الى ثورة بطش
وارهاب وديكتاتورية .. وتلكد ذلك فعلا بعد صدور القانون رقم
١١٩ لسنة ١٩٦٤ الذى أعطى للحاكم الحق الإلهى ! ولقد ضمنت
خطاب آخر استقالة فى أغسطس سنة ١٩٦٣ قولى « أنا لو بقيت
سأنقد نفسى ، ولنا لا أريد أن أفقد نفسى ، ولا أظن أن من مصلحة
وطنى أن أفقد نفسى » .

انتهى بالحرف الواحد ما قاله كمال الدين حسين .

فجيرة حيوانات !

مسجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

كان أول ما اهتمت به أن أبلغكم أنني سأنتقل إلى مسجن القناطر . القرار سرى وأحيط بكتبان شديد كانه سر حربي ! ولكنى عرفتة !

قلت لكم أنني محتاج لثلاث حثائب أنقل فيها حوائجى . أنقذتنى الحثائب الثلاث . اضطررت أن أربط بعض حاجاتى بدوابة . عدت إلى استعمال « البقجة » بعد غياب طويل .

مأمور السجن أمر بمنع دخول الطعام أو خروجه يوم الانتقال من سجن الاستئناف إلى سجن طره ، خشية أن يتسرب إلى الأعداء نبا انتقلنا إلى الأعداء هنا هم الشعب المصرى طبعاً !

الذى أدهشنى أن الحراس فى سجن الاستئناف ودعونى وهم يكون بحرارة . وكذلك المسجونون . لم أتصور أنه من الممكن أن أصنع كل هذه الصداقات الطويلة بهذه السرعة وبهذه الكثرة ! السجن كالموسى يبرى المشاعر . يجعلها حامية حساسة مدبجة ! كالآلام الرصاص التى نبريها بالموسى ! العاطلة هنا تنمو فى داخل الزنزانة فى يوم أكثر مما تنمو فى عالم الحرية فى سنة . . صخب الحياة فى الخارج يمتد المشاعر ويمزق الروابط ويضعف الصداقات . علاقات المحنة تولد فى النار ، ولهذا تصفل ولهذا تعيش . لم أتصور أن زملاى المسجونين أحبونى إلى هذه الدرجة كانوا يكون كالأطفال ، أنا لم أفعل من أجلهم أى شيء سوى أنني أحببتهم ، سوى أنني شعرت بهم . لم أستطع أن أتغلب على شعورى أمام هذه العواطف فامتلات عيناى بالدموع .

وكم كانت دهشتى عندما وضعونى أنا وزملاى المسجونين السياسيين ، فى سيارة لورى مفتوحة يحيط بها السلك من كل

جانب ، كالسيارة التى يحملون فيها الخراف الى السلخانة للذبح .
لم اصدق عيني . كأنهم يتعمدون احتقارنا . أو كأنهم يريدون أن
يقولوا لنا أنهم سيعرضوننا على الناس ، ولن يتحرك فرد واحد
من أجلا . منتهى الاحتقار لنا والثقة بالنفس منهم ! وعندما صعدت
الى اللورى لم أجد فيه مكانا للجلوس . لم تكن فيه مساعد . زملائى
جلسوا على الأرض . وقررت أن ألق . ولكن سقفت السيارة
السلك كان منخفضا . فاضطرت أن أحدى رأسى من القاشرة
الى القناطر . وقد فهمت أن المقصود من وضعى فى هذه السيارة
أن يضطرونى الى إحياء رأسى ! يا لهم من أطفال صغار !! أن
الظالمين يتوهمون أنهم يذلوننا عندما يضعوننا فى عربة نقل
الحيوانات .

لم أشعر بأى اهانة . ان قدم الظالم فوق رأسى لا ترقعه
وانما تنزل به الى الحضيض ! كان الناس يلحوننى فى الشوارع
فلا يصدقون عيونهم ! لم يتصوروا أن حكومتنا تعامل خصومها
فى الراى معاملة الحيوانات ! وفهمت من هذا التصرف شيئا جديدا .
منذ سنوات كان الظالم يرتكب مثل هذه الحماقات سرا . أما اليوم
فهو يتباهى بها ! انها خطوة كبيرة نحو النهاية ! عندما يكشف الطغيان
من وجهه سافرا ، ولا يتخفى ، ولا يخجل من نفسه . هذه الجراة
والاستهتار هى التى تضع النهاية . . . هى أعراض السكينة القلبية
التي يصاب بها فجأة الطغيان ! الحكومات عندما تظلم الأبرياء لا تظلم
الأبرياء وحدهم ، انما هى تظلم نفسها ! وعندما تشفق الأبرياء انما
هى تشفق نفسها ، أو على الأقل تمد المشقة التى ستعلق عليها
فى يوم قريب ! اننى لاحظ أن الطغاة الصغار لا يستحون . لا يخجلون
من الجرائم التى ارتكبوها . أصيبوا بالمعى فلا يرون ما تفعل
أيديهم : أصيبوا بالصمم فلا يسمعون صرخات المعذبين وصراخ
المضروبين بالسياط ! معى هنا فى السجن متهمة بسرقة ثلاثة جنيهات .
يا للجريرة الكبرى ! أما الذى يسرق الملايين فهو مطلق السراح .
أحيانا أشعر بأن العدالة مسجونة معى فى الزنزانة المجرورة
لزنزانتى ! وأمامى زنزانة فيها « الحرية » . . . وزنزانة ثلاثة فيها
« المروءة » ! ما أكثر الأشياء الجميلة المسجونة معنا .

سبجىء اليوم الذى سيطلق فيه سراحنا جميعا !
ولكن لأبد أن تقع كارثة كبرى ليفتح الطغاة عيونهم وأذانهم
وعقولهم !



ضابطان من قوات الامن بفوداسي الى مجلس الثورة حيث عقدت محكمة
الدجوى . منات الجنود المسلحين بعمور في الطريق من السجن الى المحكمة

الحزب الشيوعي

مسجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

تمتعت بالرحلة من سجن الاستئناف الى سجن القناطر في لوري .
رحت أتنع نفسي بأننى استنشقت هواء النيل الذى حرمت منه أكثر
من عام ! ولكن يظهر أننى استنشقت هواء أكثر من اللازم ، ولهذا
أصبحت بأنفلونزا حادة جدا . كان أكثر ما أسعدنى فى الطريق
محاولات سكرتيرتى أن تلحق بسيارتها سيارة اللورى التى تحملنى ،
ومقاومتها للحراس ، وعنادها ، وإصرارها على المقاومة ، ثم رأيت
كيف فقد الضابط الذى يحرسنا أعصابه وهدد بكسر سيارته
السكرتيرة ! كان الضابط يخشى أن نخبرنا السكرتيرة بأخبار الدنيا
الممنوعة عنا . . آه لو يعلمون أننى فى زنزانتى أعرف ما كنت
أعرفه وأنا رئيس تحرير أخبار اليوم . فى الطريق مررنا بشوارع
الجلد الذى كنت أمر فيه صباح كل يوم الى أخبار اليوم ، ومررت
على كوبرى أبو العلا ، وتذكرت بيتى فى الزمالك ، وتذكرت طريق
الكورنيش الذى كنت أقطعه ذهابا وإيابا ، وكنت أمر به عندما
أسافر الى الاسكندرية بالطريق الزراعى . وفى طريق القناطر
تذكرت أنه نفس الطريق الذى كنت أقطعه بسيارتى مئات المرات
عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر يستدعينى لمقابلته فى استراحته
بالقناطر الخيرية . لم أتلق مطلقا بين سيارتى البويك وعربة
الحيوانات التى ركبنا فيها . ولا بين زيارة رئيس الجمهورية فى
القناطر الخيرية وزيارة سجن القناطر . بالعكس كنت مرها .
أضحك وأهزر . كانت روحى عالية جدا ، أدهشت زملائى الذين
كانوا معى . وكنت أشعر بحزن للآلام التى تعرض لها زميلى
المسجون الأميرالاي محمد يوسف ، فهو مريض بغضروف فى ظهره ،
وكانت رحلته فى اللورى أشبه برحلة الموت !

وعندما كنا نسير في شوارع القاهرة كنا نخالف اشارات المرور ، كانت سيارتى تعدو بسرعة مجنونة ، تكاد تصطدم بكل سيارة من شدة سرعتها . كنا نقع فوق بعضنا عندما يدوس السائق على الفرملة فجأة . كان الضابط يقول ان الوقت المحدد للرحلة نصف ساعة على الأكثر ، وإذا لم نصل في الموعد فستقوم الدنيا ولا تقعد . ولكن حدث عندما وصلنا أمام القناطر الخيرية أن وجدنا الهويس مفتوحا ، واضطررنا أن نقف في الشمس نصف ساعة ، وحاول الضابط عبثا إقفال الهويس ، وتجمع الناس حولنا ، وراحوا يشيرون بأصابعهم الى ، ويحيوننى ! وأصيب الحراس بالرعب ، وقال لى واحد منهم انهم سيحيلون الضابط والعساكر الى مجلس عسكري، وطلب منى عسكري أن أدير ظهرى للناس ، فاطمعت وأدبرت ظهرى، وإذا بالناس الواثقين فى الناحية الأخرى يحيونى ! وانقذ الموقف انهم اقلوا الهويس !

عندما وصلنا الى القناطر انشرح صدرى بمشاهدة الأشجار والمزروعات الخضراء ، ولون جدران السجن البيضاء . كان سجن القناطر أشبه بالجنة إذا تسامحنا واطلقنا على سجن الاستئناف اسم « مقبرة » .

واستقبلنا بالتفتيش الحقيق . أهم شيء هنا أن الشمس تدخل الى فناء السجن . فى سجن الاستئناف كانت أشعة الشمس من المنوعات . كانت زنزانتى فى الاستئناف تطل على غرفة تنفيذ الأعدام . وأحمد الله أننا نقلنا فى ذلك اليوم ، فقد كان من المقرر تنفيذ حكم الأعدام فى أحد المسجونين ، ولم أكن أريد أن أشهد أكثر من تنفيذ حكم أعدام واحد . . وكانت الأخبار وصلتني أن النية متجهة الى أعدام عدد من الإخوان المسلمين . ان عملية تنفيذ الأعدام تهز أعصاب كل من فى السجن هذا عنيفا . . فما بالك إذا كان تنفيذ الأعدام سيكون فى أبرياء ! ؟

قيل لى أنه اختبرت لى أحسن زنزانة فى السجن . وهى فى الطابق الثانى رقم ١٤ . الغرفة أصغر كثيرا من زنزانتى فى سجن الاستئناف . الحائط ليس مرتعفا وبدأت أجراء تعديلات فيها . اننى أجد لذة فى أن أصنع من الفسيخ شربات . استعنت بمسجون

أسمه « كشكش » خير في الطهي والنظافة والدهان وتهريب
الممنوعات ، من النوع الذي يقال فيه « بتاع كله » !

من أهم المشاكل التي صادفتني مشكلة الكهرباء . مفتاح الكهرباء
موجود خارج الغرفة ، وليس قريبا من الباب ، كما كان الحال
في سجن الاستئناف ، ولا أستطيع أن أمد يدي من خلال حديد
تضبان النافذة لأصل الى مفتاح الكهرباء ، ثم عرفت أن المسجونين
هنا اخترعوا طريقة وهي ربط المفتاح بدوئارتين ، تشد دوارة
تفتح النور ، وتشد الدوارة الثانية فتطفئ النور ، وتعلبت هذه
الطريقة المبتكرة الى أن هرب لي أحد المسجونين « كمتراية » .
وانقذت الكمتراية الموقف تماما . ولم تحدث العقبات والصعوبات
التي حدثت للكمتراية التي وضعتها في زنزانة سجن الاستئناف .

كان السرير في حالة سيئة . وكذلك المرتبة . البق اتخذ في داخل
المرتبة قواعد حربية ورفض الجلاء ! مكثت عدة ليال أقاوم العدو .
مرة انتصر ومرات ينتصر هو . طلبت الاذن باحضار سرير ومرتبة
من البيت . وعندئذ صدر الأمر بصرف مرتبة جديدة وسرير جديد .
عيب المرتبة الجديدة انها نصف مساحة السرير . هكذا يصبح نصف
جسمي معلقا في الهواء . بالطول والعرض أيضا ! أمكن تدبير
الموقف . قام المسجونون بتنجيد مرتبة جديدة .

واستطعت بعد بضعة أيام أن أثوق النوم ! من مزاي هذا
السجن انك تجد مسجونين من جميع الصناعات ! جزمجي وحداد
وترزى ومنجد . وجزار وحائوتي أيضا !

أحضر لي المسجون كشكش جردل الماء الذي كان يشرب منه
فؤاد سراج الدين عندما كان مسجوننا هنا ! . واعتبرت حصولي
على هذا الجردل تكريما خاصا !

كان أهم ما أسعدني أن الكولونيا في هذا السجن ليست ممنوعة .
وكان هذا خبرا سارا جدا بالنسبة لي . فقد كانت زجاجة الكولونيا
تلمب لعبة القط والفار مع مأمور سجن الاستئناف .

ووضعت لمبة الكهرباء فوق رأسي ، ولقد كنت وضعتها كذلك في
وزناتي في سجن الاستئناف ، ولكن مأمور سجن الاستئناف قال ان
اللائحة تقول ان اللبة تكون في وسطة الغرفة ، ونفذت الامر ،
ونج عن ذلك ان عيني كانت تتعب من القراءة ، لان النور كان
بعيدا عني . احمد الله وامسك الخشب لانني الان سوف أستطيع
أن اقرأ كما أريد !

بقيت عدة أيام بغير كرسي . كانت سكرتيرتي احضرت لي مقعدا
من القماش ، أردت أن اجلس عليه فلم يتحمل ، ووقعت على
الأرض . ولكن جت سليمة صرغوا لي أخيرا كرسي خيزران واحسست
وأنا اجلس عليه لأول مرة كأنني اجلس على كرسي السلطان !

احضرت لي السكرتيرة مائدة ، استعملها لتناول الطعام . استطعنا
أن نهربها الى داخل السجن ! بقيت عدة أيام قبل ذلك أتناول الطعام
فوق حقيبتي ، واستعمل الحقيبة كمكتب . وكانت تقوم بهذه المهمة
خير قيام .

نسيت ان اقول لك انني عندما دخلت سجن القناطر قابلني جميع
المسجونين العاديين في شبه مظاهرة ، واقبلوا على يحيونني ،
واصيب الحراس بالرعب وجاعوا يقولون لي « بيتنا سيخرب » .
وصدرت الأوامر بمنع اختلاط المسجونين العاديين بالمسجونين
السياسيين ، ونقلوا جميع المسجونين العاديين من الطابق الذي
نحن فيه . ولكن هذه الأوامر لم تمنع المسجونين في دهاليز الأدوار
الأخرى من ان يحيوني ويدعوا لي . ومع أن الترحيب الذي قبولت
به في سجن الاستئناف أذهلني ، الا أن الترحيب الذي رأيته هنا
عشرة اضعاف ما حدث لي في سجن الاستئناف .

ان كل مسجون لا صوت له يمتد انني صوته ! والذين
لا يستطيعون الا أن يهمسوا يمتدون انني وحدي أستطيع أن
أصرخ ! أحس بالذعر لانهم يتوهمون انني أقوى ألف مرة من حقيقتي !
انهم لا يعلمون انني أضعف منهم جميعا . كيف يستطيع المظلوم
أن يرفع الظلم عن مظلومين مسحوقين ؟ انني لم اقبل

لأحد أننى أهرب قصص المظالم الى خارج السجن ولكن العجيب
انهم يشعرون بشعور خفى لا اعرف مصدره اننى أريد أن أساعد كل
واحد منهم ! هل يوجد لاسلكى خفى بين القلوب يعرف به الناس
من يحبهم دون أن يفتح فيه !

اننى أحيانا لا أنام الليل . أسأئل نفسى هل أستطيع أن أساعد
كل هؤلاء ؟ . أنا رجل بلا قلم . بلا عمل . بلا اسم . ماذا أستطيع
أن أفعل لمقاومة هذه المطارق الهائلة التى تنهال علينا كلنا ! المهمة
الطلوبة منى لا أستطيع أن يقوم بها بشر . الله وحده هو الذى
يستطيع أن يفعل كل هذا . احساس غريب يقول لى أن الله معى .
هذا الاحساس وحده هو الذى يجعلنى أغمض عيني وأنام !

الكتب على الأطفال المجمع

سجن القناطر

حدثت أزمة في أوائل أيام وصولنا الى سجن القناطر . ان كثيرين من المسجونين السياسيين لم يصلهم طعامهم من بيوتهم . أسر كثيرة لا تملك أجر الركوب في الاتوبيس من القاهرة الى القناطر ! السجن ليس سجنًا فقط . انه خراب بيوت ايضا . الحاكم لا يسجن خصمه وحده ، بل هو يحكم بالجوع على زوجته وامه واطفاله . طعام السجن لا يؤكل . الكانتين كان مقفلا ولم يسمح لهم بشراء طعامهم من الكانتين . في العهود الغابرة كانت الأحزاب تنفق على المسجونين السياسيين . كانت اللجان تؤلف لمساعدة أسر المسجونين اذكر كيف كنا ونحن اطفال نذهب مع أم المصريين لزيارة أسر المسجونين والمنفيين في بيوتهم . الآن مساعدة أسرة المسجون السياسى جريمة . خيانة عظيمة ! معى في السجن مسجونون مطلوب الحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة لانهم ساعدوا أسرة مسجون سياسى كاد اطفاله يموتون من الجوع . من يصدق ان المروءة في هذا العصر أصبحت جريمة اشنع من السرقة والنصب والقتل ! كم سنة سوف يحتاج اليها هذا البلد ليسترد قيمه وتقاليد ومثله ! لا يزال بعضنا يقاوم . ما زلت أرى مروءة وشهامة وصداقة ترتكب في الخفاء وكانت جريمة خلقية !

وجدت ان الحل الوحيد لمقاومة الجوع الذى فرض على زملائي المسجونين بسبب اغلاق الكانتين ان استنجد بأصدقائي خارج السجن . ويمكن ان أوزع طعامى عليهم . استطعت ان اتسببه على ١١ مسجونًا سياسيًا . كل واحد منهم نال نصيبا ضئيلا ! ما الذى الطعام القليل عندما يقسم على الكثيرين ! وما أردا الطعام الكثير اذا انفرد به شخص واحد ! اننى أمضيت اسبوعين أوزع طعامى على زملائي ، واكتفى بعلبة سردين او قطعة جبن . . كانت

أشهى من المأثب الكبرى التى حَصَرَتْهَا فِي حَيَاتِي . كُنَّا جَمِيعًا
جوعى . وَلَكِنَّا كُنَّا سَعْدَاءَ بِحُلَاوَةِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْجُوعِ . رَفَقَةُ
السَّجْنِ تَجْعَلُنَا نَقْتَرِبُ مِنْ بَعْضِنَا كَثِيرًا . أَحْسَسْنَا بِأَنَّا نَقَاوِمُ
الظَّالِمِ جَائِعِينَ يَسْعَدُنَا ، وَيُشْبِعُنَا !

لَقَدْ أُمِصَتْ الْمَقَاوِمَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقَاوِمَ بِهَا الظَّالِمَ
هِيَ أَنْ نَعِيشَ .

وَلَكِنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْقُطُ وَاحِدٌ مِنَّا مَرِيضًا !

راقبوه - احذروه !

سجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

لست أعرف من أين أبدا . اننى اشعر كأن لدى أشياء كثيرة أرجو أن أقدّمها . لا أعرف كيف أبدا القصة . ولاحاول أن أبدا القصة من أولها .

عندما سمعت نبأ القرار الذى صدر بنقل المسجونين السياسيين من سجن الاستئناف الى سجن القناطر ، كان أول شيء فكرت فيه هو أنتم . كنت أحمل هم المشوار الطويل الذى ستقطعونه كل يوم من القاهرة الى القناطر . الطريق زراعى ملئ بالسيارات والأتوبيسات والدواب . وكان يزعجنى تصورى انكم سوف تقطعون هذه المسافة مرتين فى اليوم ، ثم عندما عرفت انكم اقترحتم بأن تكتفوا بالحضور الى السجن مرة واحدة فى اليوم تنفست الصعداء .

وكانت المسألة الثانية التى تشغل بالى هى خيبة أملككم . انكم عشتم شهورا على الأكاذيب التى كانت يقال لكم من أنه تقرر نقلى من السجن الى مستشفى خارجى . فإذا بكم ترون أن الذى تقرر هو نقلى من سجن قريب الى سجن بعيد ! وكانت المسألة الثالثة هى اننى اعتدت أن اكتب كثيرا ، وأنا فى سجن الاستئناف . وانتقالى الى سجن القناطر جعل المسألة صعبة جدا . الوجوه جديدة . الحراسة شديدة . المثل يقول « الغريال الجديد له شدة » وهكذا اشتدت الرقابة ! التعليمات الصارمة مبيتتنا . راقبوه ! احذروه ! شددوا عليه الخناق . احبطوه بالجواسيس الذين يجيئون لنسا بكل حركة يقوم بها أو بكل كلمة يقولها . اننى أخطو خطواتى بحذر شديد . خطوة واحدة فى الهواء قادرة على أن تقطع صلتى بالعالم

كله ! المطلوب الا اتصل بأحد أو يتصل بى أحد . الا يعرف أحد
اننى مظلوم ! مهمتى الأولى ان أعرف العيون التى تراقبنى لأضع
على هذه العيون عصاية سوداء .

المشكلة الرابعة والأخيرة التى تشغلنى اننى عرفت الناس فى
سجن الاستئناف وعرفونى ، وسوف احتاج الى وقت طويل حتى أكون
صدقات جديدة . حبى للناس يجعل الناس الذين لا أعرفهم
يحبوننى . أعطيهم قلبى فيعطوننى حياتهم !

كيف يستطيع رجل واحد ان يقاوم دولة ! رجل مقيد بالأغلال ؛
لا يملك أى شيء سوى إيمانه . فصلونى من عملى دون انتظار
الحكم . رفضوا ان يعطونى مليا واحدا ثمنا لدار أخبار اليوم .
وضعونى تحت الحراسة . أقفلوا شفتى بالشمع الأحمر . قلمى
قصوه . لم يبق لى الا إيمانى بالله ، وحب الناس . . اشمعن
بهذا اننى قوى جدا . سأحاول ان أقاوم . ان أموت الا واقفا !

تهريب الخطابات

سجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

منذ وقت طويل لم أكتب اليكم . كأنها شهور طويلة . ان في الكتابة الى الذين أحبهم راحة وسعادة . ولكني لم أستطع ان أكتب . لم يكن عندي قلم أكتب به في السجن الجديد . لم أجد مائدة في زنزاني أكتب عليها . وطلبت من الطبيب أن يصرح لي بمائدة نظرا لأن مرض النقرس يمنعني من أن أحض ظهرى على الأرض وأنا أتناول الطعام . . وبقيت مدة أيام في مفاوضات ومباحثات واتصالات حتى سحوا لي بمائدة . وعندما وصلت المائدة مرضت ، ومنعني مرضي من الكتابة .

وكانت مشكلتي الأولى هي كيف أضع في السجن الجديد خطة لتهريب الخطابات . أن الشبكة التي كونتها في سجن الاستئناف لم تنتقل معي الى سجن القناطر . كان لابد من تكوين شبكة جديدة . المهمة صعبة . كيف أستطيع أن أجد عددا من الرجال الذين يمكن الثقة بهم ، ولا يشعروا بى الى إدارة السجن أو المباحث أو المخابرات ! ليس عندي ما أعطيهم . لا مال ولا نفوذ ولا سلطات وهم عندهم كل شيء ! ليس معي إلا الله . أومن بأن الله سوف يحميني وأنا أؤلف الشبكة الجديدة التي سوف تهرب لي الخطابات هنا !

وقد بدأت اختيار العضو الاول في المعسبة . انه رجل اعترف انه قتل ولم يقتل ! ولكنه كان يعمل في خدمة عمدة في أسبوط ، وقتل العمدة أحد خصومه ، ثم طلب من خادمه أن يقتله ويعترف بأنه القاتل في مقابل أن يعطيه فدانا ! وقبل ابراهيم هذه القسمة الظالمة .

وحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة لينجو القاتل الحقيقى . أحس
ابراهيم اننى برىء مثله ، وقبل أن يتولى عملية التهريب الخطرة .
انه لا يقرأ ولا يكتب ويتصور اننى اكتب تظلمات وشكاوى الى الجهات
العليا ، لا خطابات العن فيها الظلم والظالمين ! اننى أحتاج لعشرة
مثل ابراهيم . ولن تكون مهمة العثور عليهم صعبة . فما أكثر
المظلومين فى بلادنا !

بالرجوع المعجزة

سجن القنطرة:

أغسطس سنة ١٩٦٦.

عزى زنى

مرضت نجا . كانت مفاجأة غريبة . كنت أسير فى مساحة الصباح . شعرت بأثنى متعب . صعدت الى زنزانتي . أحسست بقشعريرة شديدة . وضعت الترمومتر فى فمى . درجة حرارتي هى ٤٠ درجة و ٨ خطوط . اشتدت الحالة بعد ذلك . أحضر زملائي مكهدات باردة . وضعوها فوق رأسي طول اليوم . عرفت اننى كنت اهذى ، وكنت أقول « بقى أنا ح أموت ؟ وده كلام ؟ يارب ؟ » وأحبرت عيناي . شعرت زملائي بفزع شديد . تناوبوا على تريضى طوال الوقت . حضر الدكتور منير أعطاني أدوية عديدة لأنزال الحرارة وحقن ترامايسين . لم تنجح الحقن الا فى أن تنزل الحرارة الى ٣٩ درجة ونصف !

لم أخف من الموت ! الذى رأيته فى غرف التعذيب اشد هولا من الموت . كنت أريد أن أعيش ولو يوما واحدا لأشهد مصرع الطفلة ! يوما واحدا يارب وأموت ! سأقاوم الموت بالايهان كما قاومت التعذيب جربت أن أصلى وأنا راقد فى فراشى . هل سينصفنى الله بعد أن أموت ؟ لا ، سيجعلنى أعيش لأرى مصرع الظالمين ! هل أنا أصلى أم هذا هو هذين الحى ! تمنيت فى هذه اللحظات أن أرى الله . ثم هدأت . أحسست أن الله يرانى !

جاءت خيرية وزينب لزيارتي يوم الخميس . كان من رأى الطبيب وأصدقائي الا أغادر الفراش وحرارتي فوق ٣٩ ، اقترحوا على أن

أطلب تأجيل الزيارة . رفضت . خشيت اذا عرفنا اننى مريض أن
أثير فزعها . تحاملت على نفسى . تجللت . كنت فى أشد الحاجة
الى أن أشعر انهما بجانبى فى هذه اللحظة . ونعلا أصبحت حالتى
النفسية أحسن كثيرا . ولكن درجة الحرارة بقيت فوق ٣٩ درجة .

ثم حدثت مأساة . ممرض السجن أعطانى الحقنة خطأ . كان
يعطينى حقنة الترامايسين فى العرق ، ونزلت الحقنة تحت الجلد ،
وإذا بى أشعر بحرق يشتعل فى ذراعى . وتورمت ذراعى . شعرت
بعذاب والم لا يطاق . احضروا مكدمات ساخنة وضعوها على
ذراعى طوال اليوم . وهكذا كانوا يضعون فوق رأسى مكدمات
الطح ، وفوق ذراعى مكدمات ساخنة ! بعد يومين اختلى الورم ،
ورفضت بعد ذلك أن يعطينى ممرض السجن أى حقنة ، وتولى
ذلك زميلى عبد الغنى النشترى الممرض المتهم بأنه سيكون وزير
الصحة فى انقلاب موهوم لفقته مخابرات صلاح نصر ! استمرت
الحرارة غير عادية حوالى عشرة أيام . أصبحت فى يوم الجمعة
١٢ أغسطس حرارة عادية للبرة الأولى .

ليس هناك أصعب من المرض فى السجن . وخاصة أنه فى الساعة
الخامسة مساء تقفل أبواب الزناينة على المسجون ، ويترك المريض
الى راحة الله حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى .
وإذا حدث للمسجون المريض أزمات أو مضاعفات أو احتاج الى
أسعاف ، كان الله فى عونہ ، ومع ذلك استطعت أن أمر بهذه
اللزمة بسلام . كان الطبيب ، وهو الدكتور منير يصعد الى زنزانتى
فى الطابق الثانى مرتين فى اليوم ، وهو مريض بالآزمة القلبية .
وجاء المأمور والضباط لزيارتى . كان اهتمام زملائى المسجونين
بى غير عادى . المكدمات الحقيقية كانت محبة المسجونين لى
تخصص زميلى المسجون العميد محمد يوسف فى صنع شراب
الليمون الذى كنت أتناوله باستمرار . تخصص زميلى أنور زعلوك
المسجون المتهم بأنه سيكون محافظ الوادى الجديد فى الانقلاب
الملفق المزعوم فى وضع المكدمات على رأسى . كانوا يساعدوننى
فى ارتداء الملابس وخلعها ، وفى غسل وجهى . كنت موضع رعاية
واهتمام الجميع .

انفصلت في الأسابيع الأولى بترتيب حجرتي . هوايتي الكبرى ان اصنع من الفسيخ شربات . واحول الزنزانة الضيقة الى شقة أنيقة . واحول السجن الى أخبار اليوم ! وضعت الستائر على النافذة . علقتها على باب الزنزانة لأخفي الشقوق والبقع والخروم . جئت بجرذل صغير وركبت له حنفية وضعت تحتها طبق بلاستيك . أصبح عندي للمرة الأولى حوض . كنت في سجن الاستئناف أغسل يدي ووجهي في جردل البول . هذا تقدم لو تعلمون عظيم ! علقت الستارة البلاستيك الجبيلة البيضاء ذات الخطوط الزرقاء فوق الرفوف الخشبية ، استطاعت أن تخفي الرفوف ، وتخفي الطعام . وقسمت الزنزانة الصغيرة الى غرفتين الغرفة الأولى غرفة نوم مع غرفة الطعام والغرفة الثانية غرفة أوفيس ومطبخ وحمام . كل غرفة عرضها متر فقط . عز !! لم يبق أمامي الا أن أدهن زنزانتى بالزيت . حتى أقطع الطريق على الحشرات . اننى أجد لذة في أن أزين سلاسلى وميودى . اننى لا ألعن الذين وضعوا القيود ، اننى أرثى لهم . عندما انتهى من ترتيب زنزانتى سأبدأ في المقاومة . سأكتب وأكتب ! كلماتى هى مدافعى وسوف أستمر أطلتها الى أن ينفد الرصاص الذى في روحي ! اننى أضمد جراحي بالكتابة . لا أبكى على نفسى وانما أبكى على بلدى ! المهم ان أستطيع ان أنظم طريقة للاتصال بكم تجعل رسائلنى تقفز فوق الأسوار بسرعة ! الشيء الذى يضايقنى أنه كلما نظمت وسيلة الاتصال في سجن ، نقلونى الى سجن آخر . حياتى هنا تبدأ بأن أستيقظ الساعة السادسة صباحا . اقرأ القرآن أبدا بترتيب زنزانتى . اعد الملابس التى سأرتديها . أخرجها من حقيبة الملابس . وفي هذه اللحظة تبدأ الاذاعة . صوت الراديو هنا أجمل من صوت راديو سجن الاستئناف . أسمع القرآن وحديث الصباح من سامية صادق ونشرة الأخبار والموسيقى . في حوالى الساعة السابعة والنصف يفتح السجان باب زنزانتى ، وهو عادة يفتح زنزانتى قبل أى زنزانة أخرى لأنه قارئ قديم من أيام مجلة الاثنين ! أتوجه الى دورة المياه وأعود الى زنزانتى ، وارتنى ملابسى ، وأنتقل الثلج من الثرموس الكبير الى الترامس الصغيرة . ثم أحمل كرسي الى دهليز السجن ، وفيه نافذة كبيرة تطل على عدد من الأشجار وعلى سجن النساء ! لا أستطيع أن أرى أحدا في سجن النساء . ولكن منظر الأشجار جميل . كانت نافذة الدهليز في سجن الاستئناف تطل على المكان

الذى تلقى فيه الزبالة ، وكان على يمينها المشتقة فى غرفة الإعدام !
المنظر هناك مقبض ، والمنظر هنا يرد الروح . اتهمشى قليلا فى الدهليز .
هيبه أنه ضيق . لا يتسع إلا لمرور شخص واحد . يمتاز عن سجن
الاستئناف بأنه مفتوح من فوق ، يدخل فيه الهواء وتسطع الشمس
باستمرار . أستطيع لأول مرة منذ شهور أن أستنشق هواء نظيفا
ومنعشا . كان الهواء فى سجن الاستئناف مزيجا من التراب ورائحة
الزبالة . هناك فرق كبير بين الهواء فى السجن والهواء فى الحرية !

فى الساعة التاسعة صباحا تبدأ الفسحة ، وهى فى حوش أوسع
عشر مرات من حوش الفسحة فى سجن الاستئناف الذى كان مليئا
بالمجارى والروائح الكريهة بينما ، وأنت تهمشى ، تسمع صسوت
الراديو تبعث منه الألحان الجميلة ، أو تسمع موسيقى من فرقة
موسيقى المسجونين . وهى موسيقى بدائية ، ومع ذلك فالمسجونون
يصرون على أن أطلب الأدوار التى أحبها ليعزفوها لى أثناء الفسحة
التي تستمر نصف ساعة . عادة أسأل زملائي عن الأدوار التى
يريدونها فأطلبها . لا أريد أن يتحكم ذوقى فى ذواتهم . انهم يريدون
الألحان الراقصة ! الطير يرتقص مذبوحا من الألم !! أعد لنفسى
مائدة الإفطار . ما زلت فى انتظار سعيد فريحة ليصل معه تموين
مربى السكر وأطعمة مرضى السكر . أمضى الصباح فى قراءة الصحف
العربية . الصحف الأجنبية أوفرها للمساء . زملائي من المسجونين
السياسيين يتضايقون من الساعة التى تقفل فيها باب الزنزانة ،
إلا أنها تسعدنى . انها ايدان بلقائى الغرامى بقلبى ! أتناول غدائى
فى الساعة الثالثة ، وفى الساعة الرابعة ننزل الى الفسحة مرة
أخرى ، ونمكث بين نصف الساعة وثلاثة أرباع الساعة . ثم نصعد
الى الطابق الذى فيه زنزانتنا ، ونطس بجوار النافذة ، ونحن
نسعى هذه النافذة المعبورة ، إشارة الى بلاج المعبورة فى رمل
الأسكندرية ، وتحل الأشجار محل لابسات المايوهات اللاتانت !
فى الساعة السادسة تقفل أبواب الزنزانة . أخلع ملابسى . استلقى
على السرير وأقرأ الى الساعة التاسعة . ثم أكتب ما أستطيع
أن أكتب وأنا أتلقت يميني ويسارا . أنام عند منتصف الليل .
أشعر بأننى أنام هنا لأحسن من سجن الاستئناف . الجو معتدل .
لهذا السبب أختفى « حو » النيل من جسمى وقد لازمى حوالى
شهر . وكان أطباء سجن الاستئناف ، غفر الله لهم ، يقولون

انه ارتكاريا ! انا أعتقد أن حكومتنا هي المصابة بارتكاريا سياسية !
في كل يوم تهرش باحثة عن مؤامرة موهومة ! التحقيقات والتلفيق
والتزييف والتعذيب تجعل جسم الحكومة أحمر ! هذا الهرش
المستمر يدل على أنها في طريقها الى كارثة ! الحل في رأى الطب
السياسى هو الحرية والديموقراطية والعدالة ! ولكن الأطباء عندنا
يفضلون « الهرش » المستمر على الشفاء !

أنا أسد من غيابة!

مسجون القناطر

١٤ أغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

صحتى الآن جيدة . حرارتى أصبحت عادية . عدت أتناول الطعام . لا أعرف كيف أشكركم على الأدوية . مكثت عدة أيام أعيش على عصير الليمون فقط . المرض مؤلم ولكنه أشد إيلاما فى داخل الزنزانة ! ليس فى السجن هواء . أدويةكم خففت الأزمة . كنت أتناول الأدوية فى موعدها . زملائى كانوا يتصورون أننى سوف أموت هنا . أنا كنت أريد أن أعيش . شعرت بأننى إذا استسلمت للموت فمعنى ذلك أننى استسلم للطغيان ! قررت أن أعيش لأقاوم ! الذين وضعونى فى السجن توهموا أنهم وضعونى فى تابوت . أطباءنا أننى لن أخرج حيا . أننى أعيش الآن صراعا بين العدل والظلم ، بين الحقيقة والزيف ، بين الحرية والطغيان . أعرف أن معسكر المظلومين ضعيف جدا . ما قيمة المقيدين بالسلاسل والأغلال فى معركة مع مطلقى السراح ؟ ما قيمة الضعفاء المقهورين مع أصحاب الجبروت والسلطان ؟ ما قيمة البكم مع الذين يملكون الصحف ومحطات الإذاعة ؟ أنها معركة غير متكافئة . ولكنى أؤمن أننا بالصمود سوف نستطيع أن نربح هذه المعركة . المهم الآن نياح ولا نستسلم . أنتى هنا أحاول أن أرفع معنويات كل زميل من زملائى المسجونين السياسيين . أحاول أن أضئ شمعا فى ظلامهم . أحاول أن أجد شجرة فى القبور التى تضمنا ليخفى منها الهواء والأمل . أننا نخفق هنا . ولكننا نتنفس بالإيمان . وسوف نعيش بالحب . الذى يؤلمنى أننى أجده أن الرسائل التى يطلقها زملائى المسجونين السياسيون تتناقص . الزيارات تقل .

ان التراب يغطي تدريجا علاقات حلوة ، وزيجات سعيدة ،
وصداقات وطيدة ! ان شئى يقول أننا فى بلد كل شئ فيه ينسى
بعد حين ! والمسجونون السياسيون يخشون أن ينساهم الناس .
لا احد يذكرهم ، والصحف مغلوطة على أمرها . الرقيب لن يسمح
بذكر اسم مسجون سياسى حتى فى صفحات الوفيات ! بل لقد
حدث أن مات أحد أولاد عم مسجون سياسى معى ، فاذا بأهل
الفقيد يحذون من تلقاء انفسهم اسم قريتهم المسجون ، وكأنهم
يتبرأون منه ، أو يخشون أن يصاب أفراد الأسرة بمكروه إذا عرفوا
أن لهم قريبا مسجوناً ! أنا لا ألوم الأسرة المذعورة ، وإنما ألوم
الذين ملأوا البلاد بالخوف والارهاب ! زملاؤنا المسجونون
السياسيون ممن لهم اقارب من ضباط الجيش ، فوجئوا بأنهم نقلوا
من الجيش الى وظائف مدنية بلا ذنب سوى أنهم اقرباء مسجون
سياسى ! تذكرت أن الدكتور أحمد ماهر كان مسجوناً ومطلوب
الحكم بإعدامه ، فى الوقت الذى كان شقيقه على ماهر وزيراً
للعدل ! وتذكرت أن اللواء نصار كان محكوماً عليه بالسجن المؤبد
فى انقلاب عسكري وعين الرئيس جمال عبد الناصر شقيقه الدكتور
نصار وزيراً للصحة . ماذا حدث ؟ ان السنوات الاخيرة شهدت
تدهوراً فى احترام العلاقات الانسانية .

بعض زملائي هنا لا يزورهم احد . أنا لا ألومهم . الغائب عذره
معه . الخائف عذره معه . الفقير عذره معه . قال لى أحد العمال
المسجونين اننى اعرفت اذا جاءت زوجتى من قنا لتزورنى ، فمعنى
ذلك أن يبقى اولادى يجائعين عدة ايام . اننى افضل أن ياكلوا على
أن تجيء زوجتى لتتف معى بشئى فائق ! ولكن بعض الناس
لا يكتفون انفسهم أن يرسلوا خطابا بطابع بريد بعشرة مليمات !
وهؤلاء اعذرهم أيضا . أن الدولة لا تعترف بالصدقات ولا بالقرابة .
ان موظفا بوزارة المالية نقل من القاهرة لأنهم ضبطوا خطابا منه الى
شقيقه المسجون فى السجن الحربي يسأله عن الصحة ! ان
المسجونين السياسيين فى السجن الحربي مضى عليهم عام لم يتلقوا
خلاله رسالة واحدة من اهلهم ، ولم يسمح لهم برسالة واحدة يكتبونها
الى اهلهم ! ولو أن المسجونين السياسيين كانوا تابعين لجمعية
الرفق بالحيوان ، لاحتجت الجمعية على هذه المعاملة السيئة !

أننى أسعد حالا من غيرى . لأننى لا أشعر مطلقا بأننى وحدى .
 أحس أننى معكم . لا تنهار قونى ولا أفارقكم . أسمع صوتكم . أرى
 لمعان عيونكم . استرجع صدى ضحككتنا معا . أنا لا أرى خيالات
 وأطيانا . أرى حقيقة جميلة أعيشها . لا يمكن أن يحوها الزمن ،
 أو تقلل من روعتها الأيام . ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر
 الإنسان بأنه ليس وحده . . وأن هناك من يحبه . أن هذا الحب .
 هو أعظم منحة يعطيها الله لعباده . أنه يقوى الضعيف . ويسعد
 الشقى . ويملأ قلب اليائس بالأمل والرجاء . يحول الظلام الى نور .
 والدموع الى بسيمات . . أننى أحس أننى ألقى منكم رسائل حب
 كل يوم . رسالة الحب ليست فى حاجة الى أن تكتب بالحبر على
 الورق . أننى أرى هذه الرسالة فى « زرار » يثبت فى البيجاما . فى
 طبق أحبه . فى منجان قهوة أشربه من يديكم . فى منديل طويتهوه
 بأصابعكم . . فى كيس وسادة . هذه الأشياء كلها تحكى وتتكلم .
 أنها تقول شعرا ونثرا . تغنى أغاني حب وهوى وغرام . تحمل
 مناجاة وقبلات وأشواقا . ليست الكلمة وحدها هى التى تعبر عن
 حرارة الشوق . أن طبقا من الطعام أعدته امرأة لرجل تحبه قد
 يكون فيه من الحرارة أكثر مما فى خطاب غرام ! أن قميصا فسلته
 فتاة بيدها وكوته ، وطوته ، ولمسته أصابعها ، هو أجمل عواطف
 الدنيا . هذه الأصابع كتبت على القميص عبارات من الحب قد
 تكون أبلى من كل رسالة غرام . . فأنا أشعر بأننى فى زنايتى رجل
 محظوظ لأننى ألقى منكم عشرات الرسائل كل يوم . رسائل
 أضعها على فمى كأنها قبلات ، أو أضعها على جسدى كأنها عناق .
 هذا الحب يسعدنى . يملأ وحدتى القاسية . يجعلنى أطل من نوافذ
 كثيرة على الحياة خارج السجن . يشعرنى بأننى قريب منكم .
 الحب يلغى المسافات بل ويلغى الزمن أيضا . أنا لا أشعر بأننى
 بعيد عنكم . أن بينى وبين الزمالك ساعة بالسيارة . ومع ذلك
 أشعر بأنكم جميعا معى فى سجن القناطر . فى نفس المدينة . فى
 نفس الزنزانة . الأيام الطويلة لا تعنى شيئا . حينما يختصرها الى
 دقائق . كلما صمدنا تهاوى الزمن . الحب الصحيح يهزم الزمن
 ويهزم المسافات .

أنا أقدر الظروف المتعبة المؤلة التى تعيشونها ! أنا أحسن منكم
 حالا . أنا دائما معكم فى بيوتكم وأعمالكم . وأنتم دائما معى فى

الزنازة !! ايماني بالله يجعلني اثق بأن الله لن يتخلى عنا .
الله وقف بجوارنا في أزمتنا ، ومد يده إلينا في كل محنة صادفناها .
انني رايت الله كثيرا . احسست أنه بجواري دائما منذ أن دخلت
السجن . يبدو أن الله لا يزور كثيرا الحكام في قصورهم ، ولكنه
يزور دائما المظلومين في سجونهم وزنازينهم !

ما دام الله معنا ، فان من واجبتنا أن نطمئن ، وأن نثق بأنه مهما
طال الليل 'فلا بد' لشمس الحرية أن تشرق من جديد . بينما أكتب
هذا الكلام كانت المطربة سعاد محمد تغني قصيدة « ابتهاجات
إلى الله » ثم فجأة صاح المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر .

تعاملت بالأغنية ، بأذان المغرب !

للم أقل لك أن الله معي في الزنازة !



وجلست بين قضبان قفص الاتهام اخرج على مهزلة المحاكمة !

أهول من السجن !

سجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

أياى الأولى فى هذا السجن صعبة ، بسبب عدم وجود شبكة اتصالات عندما يدخل المسجون الى سجن جديد ، يمر بفترة تأديب ، فتفلق عليه أبواب الزناينة ٢٣ ساعة ونصف ساعة كل يوم . ويحرم من الفسحة عدة أيام ، ويوضع تحت الرقابة المستمرة ، ولا يستمتع بأبسط أنواع الامتيازات التى يستمتع بها المسجون « صاحب البيت » ! كل طلب مرفوض لأنه مخالف لللائحة . كل شئ ممنوع . لأن التعليمات مشددة بمعاملتنا معاملة كبار المجرمين والسفاكين وقطاع الطرق ! وقد تدهش اذا علمت أن القتل وقطاع الطرق يعاملون فى السجن خيرا مائة مرة من المسجون السياسى ، نالقاتل عدو المجتمع والمسجون السياسى عدو شخصى للحاكم — أو كما قال لى أخذ الضباط هنا اذا هرب مسجون سفاح من هنا ينقل مدير السجن من منصبه ، أما اذا هرب مسجون سياسى من السجن فيفصل المدير وجميع الضباط وجميع الحراس أن لم يوضعوا كلهم فى السجن ! وهكذا ترى أن الناس مقابات ! وفى العصور الغابرة كان المسجون السياسى يتمتع بامتيازات . أفكر أنه عندما قبضت الحكومة فى عام ١٩٤١ على الفريق عزيز المصرى باشا ووضعته فى سجن قرة ميدان أن أصدر حسين سرى باشا رئيس الوزراء أمرا بأن يعطى المسجون عزيز المصرى عشرة جنيهات كل يوم ليتفق منها على طعامه وملابسه ويخصص ضابط برتبة ملازم لخدمته ! وكان عزيز باشا يفطر من جروبي ، ويتغدى من شبرد ويتعشى من سميراميس وأذكر أنه عندما كان مؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية

سمح لزميلي جلال الدين الحامصي المعتقل في معتقل الزيتون بالخروج لحضور حفلة قرآن شقيقه الأستاذ على الحامصي ! وأذكر أن حكومة سعد زغلول سمحت للدكتور محمد حسين هيكل المسجون بتهمة اهانة رئيس الوزراء سعد زغلول بأن يستقبل يوميا محرري جريدة السياسة ليلفهم تعليماته ويملى عليهم مقاله الافتتاحي الذي يهاجم فيه الحكومة !

ولقد قال لي ضباط السجن صراحة ان التعليمات التي لديهم هي « ان يطلعوا دين المسجونين السياسيين » وانهم لا يفعلون ذلك خوفا من الله ، قلت لهم ان الأرض كروية ، ولا يقف العز عند باب واحد الى الأبد !

لقد حررنا من الفسحة عدة أيام ، وحررنا من أن يوجد كرسي في زنزانة عدة أيام ، وبدأت بعد ذلك تتحسن الأمور ، بدأنا نحاور التعليمات . وبدأنا أحيانا نجطم قرارا أصدره وزير الداخلية بسيجارة : نعم قرار وزارى بسيجارة .. يا بلاش !

وشينا لمشيئا سوف تعود الحياة الى الحياة الطبيعية التي كنا نعيشها في سجن الاستئناف .

تخرجت في التلفزيون على مباراتين من مباريات كأس العالم في كرة القدم من الأشياء الجميلة هنا اثنى اسمع في الصباح المبكر في زنزانتي ، الكروان وهو يعني « الملك لك .. لك لك ! » أن صوته يشرح القلب ، في سجن القبة كنت اسمع يوميا صوت اليوم والغربان وأم تويق !

جاري في الزنزانة اسمه احمد . قبض عليه واتهموه بأنه من الاخوان المسلمين . قال أنه فعلا كان من الاخوان المسلمين في عام ١٩٥٤ ثم تاب وليعبر عن توبته الكاملة اشغل تاجر خمور يبيع الويسكي والكونياك والشابانيا والنبذ ! ومضى عليه ١١ عاما وهو في هذه التجارة التي يجرمها الدين الاسلامي !

ولم يقتنع ضباط التعذيب ، وقالوا له : انك مكنت ١١ سنة تشكر تحت مهنة تاجر خمور ، وانك مجرم ومتآمر واخوان مسلمين !

وبدا الضرب والصنع والتعذيب ..
وأصر احمد على الإنكار !

وفجأة أمر السفاح المحقق باحضار زوجة أحمد الى غرفة التعذيب
وادخلها أحد الجنود !

وأمر السفاح الجندي بأن يجردها من ملابسها أمام زوجها المكبل
بالسلاسل والأغلال ..

ووقفت المرأة المسكينة عارية ترتجف !

وأمر السفاح الجندي بأن يغتصب الزوجة العارية .

وهم الجندي باغتصاب الزوجة المسكينة ، وارتمى الزوج على
الأرض وراح يقبل أقدام السفاح ويقول له :

— اعترف ، اعترف أنني قتلت جمال عبد الناصر !
قال السفاح :

— لم تقتله .. وانما تأمرت على قتله !

— نعم اعترف !

وأمر السفاح على أحمد اعترافا كاملا بمؤامرة ملفقة لا أساس
لهسا .. !

ووقع أحمد على الاعتراف .

وترك السفاح الزوجة ترتدى ملابسها !

ويقسم أحمد بأنه لم يفكر في ارتكاب أى جريمة ، ولم يشتغل
بالسياسة طوال ١١ سنة ، وكان مشغولا طوال هذه السنين ببيع
ألويسكى والكونياك والشامبانيا والنيبيذ !

كان أحمد يروى لى قصته وهو ييكنى .. كأنه لا يزال يرى زوجته
عارية أمامه والجندي يحاول اغتصابها ..

وقال لى وهو يرتجف :

— سنموت وتموت مأساة ظلمنا معنا !

قلت له :

— لن نموت ! وإذا متنا فسوف تزار رفائنا في القبور !

قال : الموتى لا يتكلمون !

قلت : ولكن الله يتكلم !

وصية إلى أخي

سجن القناطر

أخي العزيز

قد يكون هذا آخر خطاب أكتبه إليك قبل صدور الحكم .

ان عندى وصية لك . وهو ان تخلص ما دمت حيا لهذا الوطن .
ولا تجعل حزنك بسبب الظلم الذى أصابنى سببا فى أن تتوقف عن
خدمة هذا البلد ، أو التفتنى فى الجهاد من أجله .

أنتى واثق ومتأكد ان وطنى ظلمنى ، دون أن يعرف انه ظلمنى ؟
لأنتى مؤمن بعدل هذا الشعب . مؤمن بأنه لا يمكن أن يظلم أحدا .
إذا كان مؤمنا ببرايمته . وكل ما هناك أن الذين يكرهون كلمة الحق ؟
حاولوا تشويهى أمام أهل بلدى ، مغلبت الشكوك التى أطلقوها على
البراهين التى تؤكد اخلاصى وولائى لوطنى .

وأنا لست آسفا على أنتى سأسجن . ولكن أسفى على شئ
واحد . هو حرمانى من شرف خدمة بلادى .

وتأكد أنه سيجىء يوم يعرف فيه الشعب برايمتى ، أنا واثق أن
هذا اليوم سيجىء . ومما يثبت برايمتى مع الأيام أن تكافح تحت
راية هذا الوطن ، وتعمل تحت لوائه ، وتقبل هذه التضحية نداء له .

أنا مستعد لأن أقبل هذه التضحية راضيا إذا أنصف الذين ذبحونى
الملايين . مستعد لأن التحمل تقييد حريتى ، إذا كان ثمن ذلك تحرير
هذا الشعب كله من العبودية . مستعد لأن أرضى بهذا الظلم إذا
منحوا العدل لآلوف المظلومين المجهولين المعذبين . لقد كنت فى كل

وقت مستعدا لأن أدم خياني من أجل تحقيق هدف واحد من هذه الأهداف .

وأنا أعلم أنهم اختاروني لأنهم رأوا في رأس الذئب الطائر في قصة كليلة ودمنة . عندما أطاح المستبدون برأس الذئب ليخيفوا ويذهبوا بآتي مكان الغابة . ومع ذلك أحس أن رأسي ليس وحده الذي طار ! أن السيف أطاح برؤوس كثيرة ، وسيطيح فيما بعد برؤوس أكثر . وأخشى أن تكون النتيجة أن يخاف الظالم ، بدل أن يخاف المظلوم ، وبدلاً من أن يتوقف عن ظلمه ، يحاول أن يغطي المذابح القديمة بمذابح جديدة ! دم الأبرياء على أيدي الطغاة لا يغسله إلا دم جديد !

أنا قابل هذه التضحية ، ولست سأخطأ على وطني الذي حرمني من ضمانات العدالة . أن وطني معلق في المشقة ، فكيف يستطيع أن ينقذ بريئا في زمزاة ؟

لو اعدمتني بلاذئ فسأقف على المشقة وأهتف تحيا مصر ! ولو توسعني وطني في السجون عشرات السنين ، فسأبقى مخلصا لوطني الذي أحبته وأحبه ، وسوف أحبه . ولا أستطيع أن أكرهه أبدا . أنتي لو كرهته لكون قد كرهت نفسي .

لسنا أول من أحب وشقى في حبه !

العالم في نزوانة!

سجن القناطر

١٧ أغسطس سنة ١٩٦٦

صديقتي

لم أكتب لك منذ وقت طويل . كنت دائما اشعر بانك في حاجة الي
ان اكتب لك كلمة ، ولو كلمة صغيرة ، لتطمئنك على حياتي الجديدة
هنا . اننى اعلم ان انتقالى الى سجن القناطر صدفة لك ، وانك كنت
تتوقعين ان يكون شهر يوليو ، هو الشهر الذى سأخرج فيه من
السجن ! واذاكر في شهر ابريل الماضى انك قلت لزينب اننى لا انتظر
شيئا قبل شهر يوليو . ويومها ظهر عليها الفزع وقالت يا سلام !
لسه لغاية يوليو ! وقد انتهى يوليو ، واغسطس في طريقه الى
الانتهاء . وسيجىء اكثر من يوليو واكثر من اغسطس وانا في قيودى .
كل ما حدث اننى انتقلت من سجن الاستئناف الى سجن القناطر .
ولم يكن هذا الانتقال صدفة لى . فانا اعتبر حياتى محطات في طريق
الفجر . وكل الذى حدث اننى انتقلت من محطة الى محطة في طريقي
الى محطة الوصول . المهم الا يتوقف القطار . ان يتحرك باستمرار .
لا اعرف كم تطول رحلة القطار . ولكنى اعرف اننا سنرى الفجر .
ان الظلام الذى يعيش فيه هذا الشعب هو ظلام مؤقت . سنرى
الفجر . وسنعيش ونضحك ونعمل . لقد كانت حياتى كلها سجنا .
كنت اسجن نفسى في مكتبى . وفي عملى . وفي المهنة التى اعطينها
حياتى . كنت اشبه بالمتصوف في معبده . حرمت نفسى شبابى
كله ، لاتييم صناعة عظيمة في بلادى . كانت تمضى على سنوات
لا ادخل دار سينما . ولم تكن عندى اجازة سنوية ! ولم تكن عندى
اجازة اسبوعية . كان العمال والمحررون يتغيبون في اجازات العيد
وشم النسيم . وكنت انا واخى نجلس في هذه الايام على مكاتبنا .
وحدثنا . نعمل . ونشقى . وكاتنا لسنا في عيد . كنت اسجن نفسى

في عملي باختياري . أنا الذي حكمت على نفسي بالسجن المؤبد في العمل الصحفي . بكل الذي حدث انني انتقلت من زنزانة الى زنزانة . كانت زنزانتى الاولى مكتبة في اخبار اليوم . وزنزانتى الآن في سجن القناطر . لم تتغير حياتى بين الزنزانتين . ما زلت اعبد بلدى كما كنت اعبدها . وما زلت احب الصحافة واعشقها .

مازلت احب الناس كما كنت احبهم واكثر . الذين اساعوا الى اقلية . واحد في المليون . والذين احسنوا الى هم ملايين . ما زلت احلم بأن اعيد صحافة بلادى لتكون كما كانت صحافة عالمية . احلامي لم تحطم . ايمائى بالله لم يتزلزل . لم يغيرنى السجن أبدا . لا اشعر بحقد او ضغينة على احد . لا اريد أن انتقم من احد . حتى من الذين ظلمونى . كل الذى اتناه الا يظلموا غيرى كما ظلمونى . ربما لا يستطيع غيرى أن يتحمل العذاب الذى تحملته .

لا ازال احب الناس كلهم . اتبنى لهم الخير . ارقب نجاحهم . اهل لكل نصر تحققه بلادى . وكأنه من صنع يدي . أنا لا اشعر اننى مسجون . نحن الذين نسجن انفسنا . نقيم من اوهامنا حراسا على انفسنا ، نضع من ياسنا سلاسل وحديدنا نقيدها به ايدينا واعناقنا . ما دامت روحى منطلقة ، وقلوبى مؤمنة . فاننى اشعر بأن الزنزانة لم تسجن سوى جسدى . لها روحى فهى حرة . خيالى غير مقيد . افكارى غير محبوسة . اعيش بينكم . اسمع حديثكم . ان دموعكم تسقط على خدى . جروحكم يدمى لها فؤادى . لست اعرف ماذا افعل لآخف عنكم عذابكم . كل ما أستطيع أن افعله أن ارسم لكم صورة صادقة من حياتى هنا وشعورى واحساسى . .

اننى احس اننى هنا في اجازة . كنت احلم طوال حياتى باجازة . اجازة خارج عملى . شاء القدر أن تجيء الاجازة بقرار جمهورى !! اننى اعيش ٢٤ ساعة كل يوم بلا عمل ، وبغير انتاج . خطر ببالى أن استفيد من هذا الوقت الذى امضيه هنا فادرس اللغة الالمانية واللغة الروسية . كنت طول حياتى اتبنى أن اعيد خمس لغات . . وكنت اشعر أن الصحفي العالمى يجب أن يجيد خمس لغات . حتى الآن لم ابدا هذه الدراسة . كل ما افعله هو أن اقرأ صحف العالم وقرأ بعض الكتب . لئنى اقرأ يوميا ثمانى ساعات . اشعر بأن بقية

ساعات اليوم تضيق عبقا . وكلما قرأت شعرت بأننى ازددت جهلا . ان هناك ألوف الكتب أريد أن أقرأها . اننى أتابع أبواب الكتب الجديدة فى الصحف والمجلات العالمية . أريد أن أطلع على كل فكر جديد فى العالم . اننى عندما أمسك جريدة عالمية أشعر بأننى خرجت من الزنزانة . كلتنى أطوف فى العالم . أمضى ساعة فى ميثاق . وساعة فى اندونيسيا . وساعة فى الصين . وساعة فى مشاكل السود والبيض . وساعة فى أزمة حلف الاطلنطى . أتصور اننى عدت صحفيا عالميا من جديد ، وأصبحت أطير من عاصمة الى عاصمة ، أغطى الأزمت ، أدرس المشاكل ، وأحل المواقف ، وأزيع الستار عما يجرى وراء الستار من أحداث . . كل هذا من داخل زنزانة ! .

ان زنزانتى أصبحت جبيلة ! بعد التغييرات والتعديلات وعمليات النظافة التى تمت بها فيها أصبحت أحبها . انها ليست مقبضة ، ولا حزينه ، ولا قاتمة . على العكس انها « شرحة » . صحيح انها ضيقة ، ولكنها تكفينى وزيادة . فيها كل ما احتاج اليه . كنت فى الماضى أدعو الى حل أزمة المساكن باختراع شقة من غرفة واحدة ، تتحول الى صالون وغرفة طعام وغرفة نوم وغرفة مكتب ، وحمام ، وأونيس ، ومطبخ . وقد حققت هذا الاختراع فى الزنزانة . أصبحت أراها شقة واسعة ، السرير الذى أنام عليه جديد ونظيف ومريح . اننى لا أفتقد السرير الواسع فى بيتى . أصبحت الآن أنام على السرير الضيق دون أن أقع من على السرير ! ومشكلة الأبواب أمكن حلها . وصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم يصل الى بوضوح من ميكرفون أذاعة السجن . وهكذا أنام على أنغام أحبها ، وأفتح عيني على تلاوة القرآن الكريم فى الصباح . فيستريح قلبى ، وتطمئن نفسى ، وأحس أن آيات الله هى بلسم يشفى كل جروح روحى .

أحمد الله أن الماء المثلج أصبح الآن يصل الى ! ان الماء المثلج هو مشروبى الوحيد فى الصيف والشتاء . جرعة الماء المثلج تسكرنى وتبلىنى نشوة . كتبت مرة أقول ان كوبا من الماء المثلج فى الصيف لذ من قبله من أجل امرأة فى العالم ! فإذا كان الأمر كذلك فلماذا أقبل يوميا عشر ملكات جمال ، لاننى أشرب كل يوم عشرة لكواب من الماء المثلج !!

إذا أمكن شراء ترموس احتياطي للثلج لكون شاكرا . أنني أشعر
بفزع كل يوم أن يحدث لترموس فائت حبة مكروه ، ولا أجيد
ترموس كبيراً للثلج . وهكذا أحرم من تقبيل أجمل امرأة في العالم .

ويهمك أن تعرف شيئا عن الزنزانة التي أقيم الآن فيها . الجزء
السفلى منها مدهون باللون الأزرق ، والجزء الأعلى باللون الأبيض .
ومن المصادفات الغريبة أن لون البطانية أزرق ، ولون الباب أزرق ،
ولون النافذة أزرق ، وبذلتى المعلقة على الحائط زرقاء وأنا أحب
اللون الأزرق وأستريح له ، ففيه زرقة السماء ، وأنا أشعر بأننى
نائم في السحاب !

رسالة سرية!

سجن الاستئناف

١٩ أغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتي

انتقلت اليوم من سجن القناطر الى سجن الاستئناف

جاءتني زيارة أمس بسجن القناطر . تلقيت فيها رسالة سرية بان الرئيس صدق على الحكم وهو يقضى بالأشغال الشاقة المؤبدة . عدت من الزيارة و دخلت عنبر المسجونين السياسيين وأنا اضحك ، التفت حولي زملائي فرحين مهللين . تصوروا من ضحكى اثنى علمت انه تقرر الحكم ببرأيتي ! قلت لهم اننى علمت انهم سيحكمون على بالأشغال الشاقة المؤبدة . وجبوا وذهلوا . دهشوا ان اضحك بعد ان سمعت بالخبر الرهيب . اثنى ضحكى لاننى اعلم ان الرواية لم تتم فصلا ! ليست هذه هى نهاية القصة ولكنها بدايتها . ثم جاءت الأنباء بأنه صدر قرار بنقلى وحدى من سجن القناطر الى سجن الاستئناف ، وذلك حتى اخرج من هناك غدا لسماع الحكم . أسرعلت اجمع أمتعتى . وساعدنى زملائي فى عملية الربط والعزل . وضعونى فى سيارة لورى صغيرة راحت تنهب الأرض من القناطر الخيرية الى باب الخلق ! وجدت وجوها جديدة فى السجن ، ولكن صداقاتى القديمة لا تزال موجودة . أمضيت الوقت لجمع معلومات عن ليتمان طره وليمان أبو زعبل . قيل لى اننى لن أنقل الى واحد من الليمانين الا بعد اسابيع من صدور الحكم . احساسى الشخصى ان الحكم على سيخرج بطريقة مسرحية . تلقيت رسالة من أحد تلاميذى بان المطلوب ان يحكم على فى زفة .. وتهاجمنى الصحف ، وتلعنى الاذاعة ، وتنتشر مقالات ماجورة ضدى فى صحف العالم العربى ! لم اتزعج ! اننى لا احب أن أموت « فطيس » ! كل هذا

الاهتمام يدل على أن أحدا لم يقتنع بادانتى ، وإن كل هذه المجهودات تبذل لاقتناع الناس بأننى مجرم ! لو كان الراى العام هو المسجونين والسجائين والضباط ، فهذا يؤكد أن الراى العام معى . انها معركة بين الحق والقوة . وقد تنصرت القوة فى المعارك الأولى ، ولكن النصر للحق فى المعركة الأخيرة ! لئننى أشعر براحة غريبة بعد أن عزمت الحكم . معنى ذلك أننا وصلنا الى قمة المهزلة ! أن قمة الظلم فى راىى هى دائها بداية الطريق نحو العدل !

ان الله معى . وهو اقوى آلاف المرات من حكم الاشغال الشاقة المؤبدة ! .

الحكم ...

سجن الاستئناف

٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٦

كان اليوم موعد الحكم .. حملوني في موكب عسكري الى مجلس الثورة . الحراسة مشددة . الجنود المدججون بالسلاح يملأون الطرقات . رجال الشرطة السريون يقفون على الأرصفة لماذا يريدون أخفائي عن العيون .. لعلهم يظنون أنهم يرتكبون جريمة !

أحكام اعدام بالجملة . أحكام أشغال شاقة بالدسنة ! هذا هو الفريق الدجوى قاضى آخر الزمن ! لم يجرؤ الدجوى على مواجهة المتهمين بالأحكام الظالمة التى أصدرها عليهم ، بل أرسل ضابطا صغيرا يتلو علينا الأحكام فى غرفة صغيرة فى مبنى مجلس الثورة وأختفى القائد الهام فى الاسكندرية !!

وكان الضابط يقرأ الحكم من ورقة ، واستطعت أن أقرأها بالملغوب . قبل أن يتلو الحكم على ! ولم يتصور أحد أننى أعرف الحكم ربما قبل أن يعرفه الدجوى !

وعندما انتهى الضابط من تلاوة الحكم قلت بصوت جهورى :

— أنا برىء .. وسوف يثبت التاريخ أننى برىء . اننى مؤمن بالله وببلادى ، وهذا الايمان هو الذى يؤكد لى أن الحق لابد أن يظهر فى يوم من الأيام ! اننى أعطيت بلادى فنى ومكرى وعمرى واننى أسف أن هذا الحكم سيحرمنى أن أخدمها أكثر مما خدمتها . وأنا أعتقد أن هذا الحكم رصاصية خاطئة أطلقت أثناء المعركة وأصابته أحد جنود هذا الوطن وليبارك الله فى خطوات بلادى ، ولو دأست فى طريقها على حريتى وحياتى . وقد دهش الحراس لقوة أعصابى .

ولأننى قابلت الحكم بهذه الشجاعة وبالإيمان بأن براعتى لأبد أن تظهر
فى يوم من الأيام !

وأخرجونى من الغرفة ، ليدخلوا حسين توفيق وزملاءه الذين
حكم عليهم الجوى بالأشغال الشاقة المؤبدة !

قال لى أحد الضباط هامسا أن الذين صدر الحكم ببراعتهم فى
القضايا الأخرى لن يفرج عنهم . وأن أحكام البراءة هى أحكام
مسرحة للرأى العام ، وأن المحكوم ببراعته سوف يوضع فى المعتقل !
حمدت الله على أنه لم يحكم ببراعتى !

عدت الى سجن الاستئناف . قال لى المأمور آسفا : ان الأوامر
صدرت بأن أخلع ملابسى المدنية بعد صدور الحكم ، وأن أرتدى
ملابس السجن . طيبيت خاطره ، وقلت له أننى أعتقد أن الملابس
لا تهين الرجل ، وإنما الرجل هو الذى يهين الملابس ! وأنا لا يهمنى
أن أرتدى ملابس السجن الزرقاء ، وإنما عندى مثل بقلة التشريفة
الموشاة بالذهب التى كان يرتديها الوزراء فى العهد الماضية !

ودعش الرجل لأننى أستقبل هذا التغيير الكبير فى حياتى بكل هذه
البساطة . قال لى أحد الضباط أنه صدر قرار بنقلى الى ليبان
طره ، وأنه أحيط بسرية تامة وسينشر فى الصحف على أنه تقرر نقلى
الى ليبان أبو زعبل حتى يضلوا الذين يريدون خطفى . ضحكت
لقلة عقل ولاية الأمور !

قال لى الضابط وهو حزين : ان أمرا قد صدر بأن يجردونى من
السريр الذى أنام عليه ، لأنه يجب أن أنام على الأرض بعد أن
صدر الحكم بسجنى بالأشغال الشاقة المؤبدة . .

ونمت على الأرض نوما عميقا مستغرقا ، وكأننى كنت أنام فى
سرير وثير فى فندق جورج الخامس فى باريس !

فى الصباح جاء ضابط من ليبان طرة لاستلامى . تعمد أن يكون
رذيلا معى . منعنى أن آخذ ملابسى الداخلية أو سيجارى أو مناديلى !
تعمد أن يكون رذيلا وقليل الألب معى . كان يختلف كل الاختلاف
عن كل الضباط الذين رأيتهم فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر .
قررت أن أضبط أعصابى . تحملت وقاحتها . قررت ألا أشكو منه
لأحد خشية أن يرقوه الى رتبة اللواء !



هرب الدجوى !!

في اللحظة التي وقف فيها المدعى المسكري يتلو على الحكم بالاشغال'
الشاقة المؤبدة . لم يجرؤ الدجوى على حضور الجلسة ليتلو الاحكام!



بعد صباح الحكم قلت للمدعي العسكري . أنتي بريء .
وسوف ينته التاريخ أنتي بريء

الليلة الأولى

سجن ليمان طره

٣١ أغسطس ١٩٦٦

ادخلوني الى عنبر « الأيراد » الزنزانة صغيرة جدا ! اقرب الى « الجب » منها الى الغرفة . لا نوافذ فيها . طاقة في اعلى الزنزانة يدخل منها الهواء على استحياء . الشمس ممنوعة من الدخول . لا مقعد . لا كرسي . لا مائدة . لا سرير . نصف بطانية سوداء ممزقة !

اغلقوا الباب دون أن يكلمنى أحد . لم يحاول أن يخبرنى أحد عن التعليمات أو النظام . نهيت أن المذير غير موجود ، ولهذا لا يجرؤ أحد على أن يتحدث معى ! ليس معى القرآن لأقرأ فيه . ولا جريدة ولا مجلة ولا كتاب . ولو كان معى كتاب ، فكيف كنت أستطيع أن أقرأ في هذا الظلام الدامس . رأيت على جدران الزنزانة جيوشا جرارة من مختلف الحشرات . كلها تمشي في طوابير منتظمة . ناموس . بق . صراصير . ذباب . أنواع من الحشرات لم أرها طوال حياتي ! أمضيت ساعة كاملة أراقبها ثم بدأت أضغ خطة حربية لاعلان الحرب عليها . خلعت حذائي ، وبدأت أقتل الصراصير ، لم ألبث أن شعرت بتعب . توقفت وأنا أقول لنفسى : هذا عصر الصراصير !

سمعت اقداها تزحف على سطح الزنزانة . أطل مسجون براسه وقال لى : كل المسجونين بقلوبهم معك ! ماذا تريد .. ؟ كان أشبهه بالجان في قصة ألف ليلة وليلة يقول : شبيبك لبيك عبدك بين يديك !

قلت له : لا أريد شيئا .. أريد أخبارا !

قال : تريد جريدة الاخبار ؟

قلت : لا .. أريد أن أعلم هل سابقى في هذا « الجب » باستمرار ..

قال هامسا : انهم سيخلون لك طبقا بأكمله في عتبر واحد . .
ان الاوامر صدر للمسجونين السياسيين ألا يكلك أحد ، وستكون
وحدك في هذا الطابق !

قلت : وهل عتبر واحد كويس ؟

قال : جنة بالنسبة للمكان الذي انت فيه الان !

قلت : ومتى سأذهب الى الجنة ؟

قال ضاحكا : بعد ان تبقى بضعة ايام في النار !

وانصرف المسجون بعد ان أصبح المخبر الاول في اخبار اليوم
الجديدة التي بدأت أنشئها في ليمان طرة !

وبعد ان انصرف تفكرت انني نسيت ان اطلب منه طعاما ! انني
لم افطر ، فقد نسوا ان يقدموا لى افطارا ، ولم اتناول غدائي فقد
نسوا ان يقدموا لى غدائي ، ولم اتناول عشائي !

واحسست بالجوع . . وقلت لنفسي فلاعتبر اليوم الأول في ليمان
طره صيما . ولكن عصافير بطني صرخت وولولت . . ا وحاولت
ان اتاوم فمعجزت واقبل الليل الموحش فازدبت جوعا . واخذت ادق
الباب بيدي ، واقبل الحارس ، وقلت له : اريد طعاما . . ! فقال
الحارس : ان الوقت متأخر وقد نسوا ان يضعوا اسنك في قائمة
الطعام . . فانتظر الى الصباح . .

قلت : اننى جائع !

واذا بالحارس يدخل لى من ثقب الباب قطع جبن رومى صغيرة %
واجزاء صغيرة من رغيف عيش الفرنجى .
والتهمت الخبز والجبن ، وكأنتى مدعو الى مأدبة ملكية !

لقد نظرت الى الكوة التى ادخل منها الحارس الخبز والجبن
الرومى كأنها طاقية من السماء . .

وعرفت بعد ذلك ان الحارس اعطائى عشاءه . . كل عشائه !
وحزنت لأننى لم استطع ان أرى وجهه . ولكننى سوف اعثر
عليه . اتى سأعيش طول حياتى مدينا لهذا الرغيف الفرنجى
وقطعة الجبن الرومى !

حركة مصر الحرة

سجن ليمان طره

٤ سبتمبر سنة ١٩٦٦

نقلوني الى عنبر واحد . عنبر المسجونين السياسيين . تخصصوا الطابق الرابع كله لى وحدى ! أخلوا خمسين زنزانة من المسجونين حتى أكون وحدى فى الطابق كله ! المسجونون يخافون أن يتحدثوا الى . الضابط شومان ضابط العنبر قال للمسجونين السياسيين أن الأوامر تقضى بأنه اذا ضبط مسجون يتحدث معى ، يوضع فوراً فى سجن التأديب ، ويحرم من جميع الامتيازات !

كدت أنسى الكلام .. مضى اسبوعان لم أسمع كلمة من أحد ! أنا اسلى وقتى يقتل الصراصر واحصائها ! أحاول أن أتنع نفسي بأن بلادى لن تحقق الخلاص الا اذا قضت على كل الصراصر فيها ! وأتصور وأنا أقتل الصراصر على جدران الزنزانة أننى أقوم بمعركة سياسية !! فى احدى الليالى قتلت ١٦٤١ صراراً من مختلف الأشكال والأحجام ، وبعضها أنواع أراها لأول مرة فى حياتى ، وفى ليلة أخرى قتلت ٨٩٢ صراراً ، وفى ليلة ثالثة قتلت ١٠٤٣ صراراً !

حاولت مقاومة الصراصر بمسح جدران الغرفة بالفنيك ، ولكن يبدو أن الصراصر هنا أقوى من الفنيك ! اكتشفت أن الزنزانات المخلقة تتكاثر فيها الصراصر ، فهما كما يحدث فى المجتمعات المخلقة ، ففيها تكثر الصراصر .. ! أننى أفتح النوافذ لتدخل الشمس والهواء !

مضى على فى الليمان ١٣ يوماً . كل يوم أحسن من سابقه ! فى اليوم الاول جاعنى فى « جب » عنبر التأديب ثلاثة أطباء من

السجن ، كشفوا على كشفنا دقيقا ، وجدوا آثار التعذيب ، كتبوا تقريراً قالوا فيه اتنى مريض بالسكر والنقرس والروماتيزم الحادة وفى حالة صحية سيئة ، تستوجب نقلى فوراً الى مستشفى السجن لعلاجى والاشراف المستبر على صحتى المتدهورة ا

قال مدير الليمان انه يجب أن يستأذن مدير المصلحة ا

قال مدير مصلحة السجن انه يجب أن يستأذن نائب وزير الداخلية .

قال نائب وزير الداخلية انه يجب أن يستأذن رئيس الوزراء .

قال رئيس الوزراء يجب استئذان الرئاسة .

وقالت الرئاسة « يوضع فى زنزانة عادية ، ويكتب على بابها ورقة « ملحق بالمستشفى » ا!

وكان ان نقلت الى زنزانة صغيرة فى عنبر واحد ، وضعوا على بابها ورقة بيضاء مكتوباً عليها « ملحق بالمستشفى » ا

وقال لى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء المستشفى أن هذا سوف يصبح نقليداً . كل مسجون سياسى يمرض مرضاً خطيراً سئلحق على باب زنزانتسه ورقة مكتوباً عليها « ملحق بالمستشفى » ا! واصر الأطباء على أن أنام على سرير ، وسبحوا لى بفسحة ساعتين كل يوم وشريت ماء مثلاًجاً مرتين خلال أسبوعين، ودفنت سجاثرى كالمعتاد ، وأردتيت بذلة بيضاء بصفتى مريضاً « ملحقاً بالمستشفى » وأصبحت أنام فى البذلة الزرقاء كأنها بيجامى ، وهذا تقدم لو تعلمون عظيم ا

وطلبت التصريح لى بقراءة الحرائد اليومية والاجنبية . واتنا غير مسموح لى حتى الآن بقراءة الصحف ، ولكنى نظمت عملية لتحرير ضحك الصباح ، وقراءة الصحف بالنسبة لصحنى مثلئ كالهباء والماء . ولولا أننى اسمع الاخبار من اذاعة السجن لاختفت.

زنزانتى هنا أصغر من زنزانتى فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . فيها سرير أبيض عليه مرتبة ووسادة وبطانتان . استعمل بشكير الحمام كغطاء . ليس فى الزنزانة شمعاعات . أضع حاجاتى

في صندوق من الورق المقوى . عندي نافذة تطل على فناء السجن .
وهي نافذة ليست عالية . أستطيع أن أطل منها دون حاجة الى أن
أقف على كرسي ، ولا أحتاج أن أتسبط على حديد السبرير لأطل
على الهواء الطلق ، زنزانتى في الطابق الرابع . استيقظ مع أذان
الفجر . أرقد في فراشى الى أن تشرق الشمس . هنا تبدأ معركتى
اليومية مع الصراصير . ثم أسمع القرآن في الاذاعة وحديث مسامية
صائق « صباح الخير » وبعض الأغاني .

في الساعة الثامنة يفتح الحارس باب زنزانتى . كنت لا أتناول
الامطار قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا في انتظار وصول الخبز
الطازج من مخبز السجن . ومع الأيام تعلمت ان أكل الخبز البابت ا
وأوجل العيش الساخن الى الغداء . وامشى في ردهة السجن
ذهابا وايابا أمام نافذة كبيرة تطل على النيل . منظر النيل هنا
جميل . الأشجار حوله وكأنها تعانقه . هذا منظر كنت محروما
منه في سجن الاستئناف . وصوت الراديو هنا جميل وليس مزعجا
كالاذاعة في سجن الاستئناف . وهنا حلاق لبنانى يطلق لى لى لى .
والحلاقون مشهورون بكثرة الكلام ، ولكن ميزة حلاقى أنه أخرس ،
ولهذا لا يتكلم أبدا !

والأيام الاولى في السجن هى دائما أصعب الأيام . ولكن الله دبر
كل شيء . أصبحت أيامى الصعبة محتملة كثيرا . وكل يوم تحدث لى
معجزة . منذ دخولى السجن لم اشرب قهوة . صديق مجهول هرب
لى قهوة ا وسأبدأ اشرب القهوة من اليوم . كنت أحمل هم مبلغ
الجنيهات الخمسة التى صرحوا لى بها كل شهر . أنها لن تكفى
لشراء طعامى وسجائرى وحاجاتى . ولكن الله كريم . الناس
الطيبون أجدهم في كل مكان . ان كثيرين منهم يحذثوننى بالإشارة
لأن الكلام ممنوع . أحيانا يقطع لى مسجون وردة من حديقة السجن
ويقدمها لى ويهمس في أذنى بخير لا أمره .

ما زلت محروما من الكلام مع زملائى المسجونين . قيل لى ان هذا
إجراء وقى سوف يستمر بضعة أسابيع لأننى ما زلت تحت التجربة .
وعندما أثارن بين حياتى في الليمان وحياتى في سجن المخابرات أو
السجن الحربى أو من باننى هنا في الجنة فعلا !

منقصنى هنا اخبار اخى على . فقد حرمت منها . تعودت كل ليلة
قبل ان انام ان اوجه رسالة روحية ، واتلقى منه ردا عليها من لندن .
اننى اعتقد ان على لا يزال متفائلا ، ولا يزال واثقا من ان نور الفجر
سيملأ حياتنا من جديد .

الواقع ان هذا الحكم ، والحيلة الضارية التى شنوها على لم
تزعزع ايمائى ببلدى ولا حبى لوطنى ، ولا ثقئ فى ان الحق لابد ان
يظهر ، ولقد كنت مستعدا طول حياتى ان اقدم حياتى لوطنى . .
ان كل ما قدمته الان هو حريئى !!

في طريقه الى المنجحة !

ليمان طره

عزيزتي

في احد ايام شهر يونيو سنة ١٩٥٧ كنت جالسا في مكتبى في اخبار اليوم عندما اتصل بى قسم الاستماع بأخبار اليوم وأخبرنى أن اذاعات العالم تنيع أنه حدثت مذبحة في سجن ليمان طره ، وأن أكثر من عشرين مسجوناً من الإخوان المسلمين قتلوا في زنزاناتهم ، وأن أكثر من خمسين منهم جرحوا ! واتصلت على الفور بوزارة الداخلية وسألت عن حقيقة الخبر ، فأكد لى مسئول كبير في الوزارة أن الخبر كاذب ولا أساس له من الصحة ، واتصلت برياسة الجمهورية وسألتهم عن حقيقة النبا ، فأكدت لى الرياسة أنها اكلوبة استعمارية أطلقتها اذاعات الاستعمار ومقصود بها تشويه سمعة مصر في عيون العالم !

وصدقت هذا التكذيب الرسمى الى أن دخلت سجن الاستئناف وإذا بأحد الحراس يعترف بأنه اشترك في المذبحة ، وأن الاوامر التى كانت لديه بقتل جميع المسجونين السياسيين الموجودين في الطابق الثالث في المنبر رقم واحد بليمان طره ، وفي سجن القناطر قابلت عددا من الحراس الذين حملوا القتل بعد المذبحة من المنبر الى مستشفى السجن ، وكان الخلاف الوحيد في الرواية أن بعضهم قال أن عدد القتلى كان عشرين قتيلاً ، والبعض الآخر قال أن عددهم كان واحدا وعشرين قتيلاً !

وعندما نقلت الى ليمان طره لاحظت وأنا اتفحص زنزانتى في الطابق الرابع في منبر واحد أن جدران الزنزانة فيها عدد من الخروق ، وسألت من هذه الخروق فقيل لى أنها رصاص مذبحة طره !

وبدأت أحقق بنفسى فى هذه المذبحة الخطيرة ، وصممت شهودها
الذين بقوا على قيد الحياة ..

ان القصة بدأت قبل اول يونيو سنة ١٩٥٧ ، وهو يوم المذبحة ،
بزمن ملويل ، بدأت هذه الفترة فى اكتوبر عام ١٩٥٥ واستمرت حتى
اول يونيو سنة ١٩٥٧ . كانت التعليمات قد سبقت وصول
المسجونين السياسيين من الاخوان الى ليمان طره باستعمال اقصى
طرق العنف معهم . ونفذت ادارة السجن اوامر الازهاب بدقة
تامة . ولم يذق المسجونون السياسيون فى تلك الفترة يوما واحدا من
الراحة والهدوء . التفتيش مستمر . يدخل الضابط الزنزانة ويرمى
محتوياتها فى الخارج . يدوس بقدميه على الطعام . يعتمد اثاره
المسجونين واهانتهم ومحاولة اذلالهم . اوامر بالاحتكاك المستمر
بالاخوان المسجونين الذين يعملون فى تكسير الاحجار فى الجبل .
كانوا يأمرونهم بالخروج الى الجبل بعد فتح الزنازين مباشرة .
يمنعونهم احيانا من دخول دورات المياه . او يؤنبونهم ويحطون
معنوياتهم ويسخرون منهم قبل ان يسمحوا لهم بدخول دورات المياه .
وكان مطلوبوا من كل مسجون سياسى ان يكسر كمية معينة من
الاحجار ، ويكوبها ثم يفرغها فى عربات السكك الحديدية ، واداء
نقص فى الكمية يعرض المسجون السياسى لدخول التأديب ، وارتداء
الملابس الحمراء ، وفى هذه الحالة يطالبون بضعف المقطوعة المقررة
من الاحجار ! ومن يعجز عن تكسير الكمية المقررة يتعرض للجلد !

وفى الجبل الشكوى متنوعة . لا مراعاة لظروف سجين ضعيف
او مريض او كبير فى السن . وفى وقت من الاوقات بلغ عدد الاخوان
الذين وضعوا فى سجن التأديب اكثر من خمسين مسجوناً ، كانوا
يخرجون الى الجبل فى الملابس الحمراء ويطالبون بضاعفة كمية
تكسير الاحجار !

وتعرض بعض المسجونين السياسيين لضربات الشمس فى الحر
الشديد . سقط عدد منهم مغى عليه . رفض المسئولون احضار
سيارة اسعاف . قالوا ان سيارات الاسعاف لا تحمل الكلاب !
تذهر المسجونون . نفخ الضابط فى البوق يعلن «كبسة على الجبل»
ونزل المسجونون السياسيون وهم محاصرون بالجند المسلح وفى

جو من التهديد والارهاب الى ان وصلوا الى اللبمان . في اليوم التالي قامت حملة من الحراس وهاجمت الزنازين ونفثنها ، وجردت المسجونين السياسيين من ثل ما يملكون ؟

وصدر قرار بمنع المسجونين من الاخوان من تأدية صلاة الجمعة الجماعة . وحدث مرة ان ضبط المدير عددا من الاخوان يصلون العصر ، في الدور الثالث ، فأمر بعقاب جميع المسجونين في الدور الثالث . الذين يصلون . . والذين لا يصلون !

وكان المسئولون في السجن يطلقون اوامر بالاعتداء المستمر على المسجونين من الاخوان ، وكانوا يقتلون معهم المعارك ، وفي سنة ١٩٥٦ اتهموهم بانهم تأخروا قليلا في الخروج الى الجبل ، وتلقت فرقة من الحراس بضربهم امام العنبر ! وكانت نحدث مجزرة ، لولا ان اللواء حسن سيد احمد مدير اللبمان وصل في هذه اللحظة ، وأمر بسحب جنود الكتيبة والحراس واقفل العنبر ، وأودع ١٢ من المسجونين السياسيين الذين أصيبوا في الحادث في سجن التأديب واستصدر امرا بجلد بعضهم ٣٦ جلدة ، وضرب الآخرين ١٢ جلدة .

وفي اوائل عام ١٩٥٦ اشددت المعاملة سوءا ، وصدرت اوامر بالاحتكاك بالمسجونين السياسيين من الاخوان أثناء الصلاة ، وفي أثناء زيارة أهلهم ، وكان المسجونون السياسيون يفسعون على رؤوسهم في الجبل أثناء العمل أغطية الرأس ، شأنهم شأن باقي المسجونين ، فصدرت الاوامر بان يستثنى المسجونون السياسيون من ارتداء أغطية الرأس ، حتى لا يتوا رؤوسهم من الشمس ! وفي أيام الجمع كان الحراس يفتحون أبواب الزنازين لكل المسجونين ، ما عدا المسجونين السياسيين . وعندما ذهب عدد من الاخوان الى الضابط المسئول يحتجون قال لهم « انا ح لخلي حجاتكم كلها برك دم » !

وبلغ تعنت المسئولين مع المسجونين السياسيين حدا يؤسف له . كانوا يحرمون عليهم استلام اى طعام او مأكولات من أهلهم أثناء الزيارة . كانت التعليمات الا تزيد مدة الزيارة على دقائق معدودة . وكان المسجونون اليهود المحكوم عليهم في قضية فضيحة لائون

يقيمون معهم في نفس المعتبر . وكان يكسر قلب المسجون السياسى
المصرى أن يرى الدولة تعامله معاملة المنبوذ ، بينما كان المسجون
السياسى اليهودى يعامل في الليمان باحترام واجلال ! وكان المضحك
أن هؤلاء اليهود كان مباحا لهم الانتقال كما يشاعون في أنحاء السجن .
أما المسجون السياسى المصرى فكانت تقفل عليه الأبواب . وكانت
الأدوية تصل الى اليهود من الخارج . أما المسجون السياسى
المصرى فكان اذا وجد العلاج لا يجد الدواء !

وفي أوائل عام ١٩٥٧ كانت ورش الليمان في حاجة الى ايد عاملة .
وفي هذه الحالة تخفض مدة تكسير الأحجار في الجبل من ٢٦ شهرا
الى ٢٤ شهرا لتوفير هذه الأيدي العاملة . ويمكن لكل مسجون
أمضى ٢٤ شهرا في الأشغال الشاقة في الجبل أن يطلب « التخزين »
أى النزول من الجبل . وتقدم عدد من المسجونين السياسيين
الإخوان الذين أمضوا المدة يطلبون انتهاء عملهم في الجبل . وإذا
بخطاب رسمى يجرى برفض أن يستمتع المسجون من الإخوان بالحق
الذى يتمتع به سائر المسجونين ، وأن يستمر عملهم في كسر الأحجار
في الجبل حتى لو انتهت المدة .

وفجأة يجرى أمر بطق شعور جميع المسجونين السياسيين %
ويجتثون شعورهم الى رقم زيرو !

وجرت عادة السجن والليانات منذ عشرات السنين على أن
تحتزم ادارتها شهر رمضان فتوقف تفتيش الزنازين خلال شهر
رمضان . . . وإذا بالأوامر تجيء بوقف تفتيش جميع المساجين
ما عدا الإخوان . . !

وجيء لليمان بحير جديد قيل أنه هو الذى أمر بتعذيب المسجون
السياسى الشيوعى شهيدى بطرس حتى الموت . . وأنه اختير لكى
يفعل بالمسجونين السياسيين في ليمان طره ما فعل بهم في ليمان
أبو زعبل .

أننى أسمع الآن تحذيرا بأن أبواب المعتبر تفتح ، وأنهم سيجيئون
لتفتيش زنزانتي !

أتركك الآن وسوف أتم لك القصة في الخطاب القادم .



الحرس يضع في يدي القيد الحديدى ، بعد صدور الحكم ،
في اللبوري الذي حبلى من المحكمة الى السجن ..

حزبجة طرة !

سجن ليمان طره

أعود اليوم لاستئناف الحديث عن مذبحة طرة . كان ذلك في يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٥٧ ، وحضر أهالي المسجونين السياسيين من أهل شبرا في مجموعة واحدة لزيارة أولادهم . الزيارة من وراء السلك كاتفاص القرد بمعنى أنه يفصل بين الأهالي والمسجونين ستر من السلك السميك ، حتى لا يتصافحوا ، ولا يقبلوا بعضهم بعضا . هذه هي حقوق الأنمييين . أما المسجون السياسي في مصر فهو حيوان يجب أن يعامل معاملة الحيوانات . لا يصافح زوجته . لا يقبل أولاده . يفصله حاجز مزدوج عرضه نصف متر ، حتى لا يهمس ، وحتى تناقش المسائل العائلية علنا ! المسجون لا ينفرد بأسرته . كل مشرين مسجوننا يدخلون معا الى القفص تخطط الأصوات . تضيع الكلمات . يستمر اللقاء دقائق معدودة . في هذه اللحظات المكهربة التعسة دخل أحد الضباط وأمسك بالمسجون السياسي عبد الغفار السيد وأنهى به أسئلته من أسرته بعض المأكولات من خلال ثقب مفتوح في السلك ! يا للجريمة العظمى . القاتل مسموح له أن يتسلم من أهله طعاما أثناء الزيارة ، أما المسجون السياسي فمحرم عليه أن يستمتع بالحق الذي يستمتع به القاتل أو السفاح ! وذعرت النساء . وبكى الأطفال من صراخ الضابط في المسجون السياسي الذي خالف التعليمات . وطلب المسجونون السياسيون من الضابط أن يؤجل شخطه ونطره ، وتوبيخه وتأيبيه حتى تنصرف الزوجات والأطفال ! وإذا بالضابط يقرر معاقبة جميع المسجونين السياسيين بقطع الزيارة ، وحرمانهم منها ، لأن مسجوننا سياسيا واحدا خالف التعليمات وتسلم طعاما من أهله ! وصاح الضابط في المسجونين السياسيين أمام أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم :

— والله العظيم لأحرقكم بجلز !

ودفع الحراس الأطفال والنساء بأيديهم الى خارج السجن وهم
يبنخون ويصرخون حزنا على اولادهم وآبائهم واخوانهم الذين اقسام
الضابط امامهم ان يسكب عليهم البترول ويحرقهم احياء بالنار !

واجلسوا المسجونين السياسيين على الارض امام عتبر الناديب ،
وجاء ضابط كبير يقول لهم كل من تسلّم من أهله لقمة عيش يجب
ان يسلمها !

وسلم المسجونون السياسيون ما معهم من لحم او غاذية او حلوى
للحراس ! ومن سخرية القدر ان الحشيش والافيون وزجاجات
الخمر كانت تهرب الى داخل السجن للمسجونين العاديين ، ويحرم
الطعام البسيط على المسجونين السياسيين !

وصدر امر بادخال ١٤ مسجوناً من الاخوان في غرف التأديب ،
وقيدت ايديهم بالقيود الحديدية خلف ظهورهم .. وصدر الامر
بالقبض على الاهالي .. نعم القبض على النساء والاطفال ..
وجروهم مقبوضا عليهم الى قسم المعادي . وحررت لهم محاضر
بانهم خلفوا التعليمات وهربوا طعما الى ذويهم المسجونين
السياسيين ! وابقوهم مقبوضا عليهم حتى المساء ثم افرجوا عنهم
بعد ان هددوهم بالسجن اذا عادوا واعطوا ذويهم من المسجونين
السياسيين لقمة عيش !

وفي صباح اليوم التالي صرخت الأوامر بتجريد الاخوان المسلمين
في التأديب من ملابسهم ، وحلق شعورهم ، ثم دخل عليهم مأمور
أول الليان وقال لهم :

— احنا بيتين لكم دقة ! ح نخليكم تمشوا على العجيين
ما تخطبوهوش !

وفي نفس اليوم ، ٢٩ مايو سنة ١٩٥٧ استدعى مدير القليان
اطباء السجن وامرهم بلخراج جميع المرضى من المسجونين
السياسيين الاخوان من الملاحظة الطبية .

والملاحظة الطبية هي ان يعامل المسجون معاملة المريض ،
ويبقى تحت العلاج خارج مستشفى السجن ، وفي هذه الحالة
لا يخرج الى الجبل يكسر الاحجار ، ويتناول طعاما صحيا .

وأعترض الأطباء على هذا الأمر ، وقالوا ان المسجونين السياسيين الموضوعين تحت الملاحظة مرضى فعلا ، وخروجهم من الملاحظة الطبية خطر على حياتهم ! وقال لهم مدير الليمان أن هذه أوامر « من فوق » وأن أى طبيب لا ينفذ هذه التعليمات سيجد نفسه مسجوناً في إحدى الزنزانات !

وقال الأطباء ان بعض المسجونين السياسيين المرضى قدموا من سجون أخرى للعلاج . .

وقال المدير ان الأمر يشمل الجميع . . المرضى وانصاف الموتى !
وان الجميع يجب أن يكسروا الأحجار في الجبل !

وشاع بين المسجونين السياسيين أن الغرض من لرغام المسجونين السياسيين على العمل في الجبل برغم مرضهم وسوء حالاتهم الصحية ، ان الأوامر صدرت بقتلهم في الجبل واتهامهم بأنهم حاولوا الهرب !

وقال لى بعض الحراس انه حدث في أثناء القبض على أهالى المسجونين السياسيين أن حاول أحد الضباط أن يضع يده في صدر إحدى السيدات من أهالى المسجونين ، فثارت السيدة ، وكان هذا الحادث هو القشة التى قصبت ظهر البعير ! ولكن المسجونين السياسيين الذين كانوا موجودين في ذلك اليوم قالوا انهم لم يروا شيئاً كهذا ؛ وأنه اذا كان وقع فمكون قد وقع أثناء نقل الأهالى المتبوض عليهم الى قسم المعادى .

ولكن هذا الجو المشحون المكهرب المليء بالارهاب والاستفزاز والرغبة في اذلال المسجونين السياسيين جعل أعصابهم متوترة ، ينتظرون بين لحظة وأخرى أن تنقض مطارق الانتقام فوق رؤوسهم ! وجوه الضباط عابسة مكشرة . عيونهم مليئة بالشرر . الحراس يؤكدون للمسجونين السياسيين أن النية متجهة للتخلص منهم ! لماذا ؟ لأن واحد منهم تسلم طعاماً من أهله أثناء الزيارة ؟ ! هذا غير معقول . . لابد أن هناك جريمة لا يعترفونها جعلت الأوامر تصفر بالتكثير بهم ! كل شيء في السجن يكثر في وجوههم . حتى القضبان !

لقد قيل لهم صراحة بأنهم « أعداء الدولة » و « قبحهم خلال » 11 ولم يصدقوا هذا التهديد . نسوروا أن أحد الضباط يهز أعصابهم ... ولكنهم في اليوم التالي فوجئوا بأنه لم يكن تهديدا ، وانمسا كان أحد أخبار الفساد ..

وفي صباح يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٥٧ فتح الحراس أبواب الزنازين ، وطلبوا من المسجونين أن يذهبوا الى طابور الجبل ، وهو الطابور الذي يسرون فيه كل صباح في حراسة الجنود المسلحين والكلاب البوليسية ليعملوا في تكسير الأحجار ..

ورفض الاخوان الخروج . وابلغوا ادارة الليمان أنهم يطلبون وكيل النيابة ، ليسجلوا امامه أنهم يشعرون بان الخطر يهدد حياتهم ، وأنه قيل لهم أن أوامر صدرت بذبحهم . وأنهم غير متمعين عن العمل يطلبون تحقيقا فيما أعلنه الضباط من نوايا عدائية نحوهم ..

وحضر مدير الليمان فترروا عليه ملتئمهم ، غوعدهم بعرض الأمر على الجهات العليا ، وطلب منهم أن يدخلوا الى زفزاناتهم . ودخل المسجونون الى زفزاناتهم ، وقد اعتقدوا أن الأمر سينتهى في هدوء ..

وبعد حوالي ثلث ساعة بدأ فسخ الزنازين زفزانة زفزانة ، وانزال المسجونين السياسيين الى الدور الأرضي ، وصفهم في طوابير تحت حراسة مشددة وهمس المسجونون العاديون في أذن المسجونين السياسيين انه تعد الآن فرقة من الكتيبة التي تقيم في بناء مجاور لليمان ، وأن هذه الكتيبة تسليح بالبنادق والعصى والجنائز ، وتعد للهجوم على السجن ..

ثم جاء مدير الليمان مرة أخرى وطلب من المسجونين السياسيين أن يعودوا الى زفزاناتهم ! فطلبوا منه أن يتركهم في الحوشن كبقاى المسجونين العاديين ، ويستدعى النيابة ..

وانصرف مدير الليمان دون أن يلتزم بشيء .

وفي الساعة الواحدة ظهرا فوجئ المسجونون السياسيون بفرقة مسلحة من جنود الكتيبة وراوا جزءا من الفرقة يصطف في الطابق الثاني ، ويصطف الجزء الثاني من الكتيبة في الطابق الرابع .

وبذلك يبقى المسجونون السياسيون من الاخوان محصورين
في زنازينهم بالطابق الثالث ..

ووقف عدد من كبار النساب امام مدخل العنبر في الطابق الاول ..
وصاح اللواء اسماعيل همت : اضرب !

وانهال الرصاص من كل ناحية على المسجونين السياسيين
من الاخوان في الطابق الثالث .

بلا انذار !

بلا مقدمات !

ولم يكن يخطر ببال أحد من المسجونين السياسيين أن هذا ممكن
أن يحدث ، حتى أن المسجون السياسي سعد شوقي كان يقف على
كوبرى الطابق الثالث وسمع صوت الرصاص فقال : ان هذا
ليس رصاصا حقيقيا ! انه فشنك !

ونجاة أصيب سعد شوقي بعدد من الرصاصات وسقط قتيلًا ..
قبل أن يعرف أن هذا رصاص حقيقى !

وأسرع المسجونون السياسيون ودخلوا الزنازين ، واقفلوا
أبوابها محتمين بها !

وصدرت الاوامر الى الجنود باطلاق الرصاص من خلال قضبان
قوافذ الزنازين !

وسقط قتلى في داخل الزنازين ..

ثم صدر الامر باقتحام عدد من جنود الكتبية والحراس المخزن
رقم ١٣٦ ، وان يجهزوا على من فيه بالشوم !

والمخزن مبارزة عن غرفة كبيرة يسكنها عدد غير قليل من المسجونين
السياسيين ولكن عناية الله منعت من تنفيذ هذا الامر ، فقد
انكسرت اكرة البلب ، وقفلوا في معالجتها ، وتركوا المخزن واقفحوا
بأبواب الزنازين .

وفي الساعة الثانية ظهرا توقف اطلاق النار .. ونقل المصابون
الى المستشفى وهم ينزفون دما !

وكان يقابلهم في الطريق بعض الحراس فيأمرهم الضابط بأن
يجهزوا عليهم .

ورأى الأطباء جثث القتلى والجرحى مذهبوا .. وقالوا ان الحالات
خطيرة جدا ويجب نقلهم فورا الى مستشفى القصر العيني !

وقال مدير الليمان ان الاوامر ان يبقوا هنا !

والتف الأطباء حول المسجون السياسى عثمان حسن يحاولون
انقاذه من جروحه الخطيرة !

ولكن معدات الانقاذ فى مستشفى السجن لم تكن كافية واسلم
الروح !

وصدرت اوامر بنقل الجثث الى خارج الزنازين ، وان يرصوهم
في طرقات العنبر ، لايهام النيابة بانهم قتلوا وهم في حالة تمرد
خارج الزنازين ! ولكن عندما جاءت النيابة وجدت الدماء على جدران
الزنازين من الداخل مما يؤكد ان عملية القتل حدثت والمسجونون
داخل زنازينهم !

ثم صدرت الاوامر بالقاء امتعة والطباقي المسجونين على أرض
الطابق الأول ، حتى يتوهم المحقق انه حدثت معركة استعمل فيها
المسجونون السياسيون الأطباق ، واضطر الجنود الى الرد عليها
بالرصاصة !

اما القتلى الذين عرفت اسماؤهم حتى الان فهم :

١ — احمد حامد على تقرر بـكالوريوس تجارة . موظف بمصلحة
التليفونات من فنيط مركز ميت غمر .

٢ — عبد الفتاح محمود عطا الله . تروى من كفر دهب مركز
قويسنا .

- ٣ — على ابراهيم حمزة صاحب محل قمصان بطوان من ميت
بدر حلاوة مركز المحلة .
- ٤ — محمد أبو الفتوح معوض . عامل مطبعة بهواش مركز
منوف .
- ٥ — عثمان حسين عيد . مسخف خريج كلية دار العلوم .
قلعة الكيش . القاهرة .
- ٦ — خيرى ابراهيم عطية . طالب ازهرى . الخليفة .
- ٧ — عثمان عزت عثمان الشهير بعصمت . موظف بالجمارك .
السويس .
- ٨ — عبد العزيز عبد الله الجندى . موظف بالسكة الحديد .
شبرا .
- ٩ — ابراهيم محمود أبو الذهب . مدرس . اسكندرية .
- ١٠ — مصطفى حامد على . طالب . امبابة .
- ١١ — محمود عبد الجواد العطار . ترزى . اسكندرية .
- ١٢ — السيد على محمد . تاجر نحاس . اسكندرية .
- ١٣ — السيد العزب صوان . عامل بشركة النسيج — المحلة .
- ١٤ — أحمدى عبده متولى . بكالوريوس زراعة . شرقية .
- ١٥ — الحاج رزق حسن اسماعيل . مزارع . قلين . كفر
الشيخ .
- ١٦ — سعد الدين محمد شوقى . دبلوم تجارة . امبابة .
- ١٧ — فهمى نصر . طالب ثانوى . بهواش . محافظة المنوفية .
- ١٨ — أنور مصطفى أحمد . محرر القديمة .
- ١٩ — أحمد محمود الشناوى . الغباسية .
- ٢٠ — محمود محمد سليمان . مهندس بالسكة الحديد . من
طبا .
- ٢١ — محمد قواره . الدقهلية .

* * *

وقى الخطيب القادم سأحدثك كيف هوقب القتلى . وكوفى القتلة !!

محكمة القتل .. وحكاية المقاتل

عزيزتى

صدرت الاوامر بمعاملة قتلى مذبحه طرة معاملة المحكوم عليهم بالاعدام . المحكوم عليه بالاعدام لا تشيع جنازته ولا يسمح لاسرته باقامة ماتم له . . . استدعيت أسر الضحايا ، وتسلمت كل أسرة جثة ابنها . نهت السلطات عليهم بأن تتم عملية الدفن سرا ، وأن أى أسرة تقيم ماتما لابنها ستتعرض لأشد أنواع العقاب . . صدرت الاوامر باعداد شهود الزور ليحلفوا اليمين بأن القتلى هم المعتدون ! وأنهم كانوا مسلحين بالأطباق ومعلبات الفاصوليا والبامية وغيرها من الأسلحة الفتاكة . وأن المدير الرحيم حاول أن يصرفهم بالحسنى والذوق ولجوا واستكبروا ، ولكنهم اعتدوا عليه بالقول والإشارة . وأن الجنود قتلوا ٢١ مسجوناً سياسياً بالرصاص دفاعاً عن النفس !

وصدرت الاوامر باخفاء ابناء المذبحة ، واعتبارها من أسرار الدولة العليا التى لا يجوز الحديث عنها ، والإشارة لها من قريب أو من بعيد !

وكان معنى هذا القرار أن توارى المذبحة التراب مع جثث الشهداء الواحد والعشرين !

ولكن اوامر جديدة صدرت بالتحقيق مع الجرحى والمصابين الذين تجرأوا وبقوا على قيد الحياة !

وبدا أغرب أنواع التحقيق . انه التحقيق مع الموتى !

وأراد المسجونون السياسيون المصابون بالرصاص أن يحكوا حكايتهم مع ادارة أليمان ، وكلما فتح واحد منهم فيه ليروى ما حدث أسكته أحد الضباط ، وقال أن الطبيب أمر ألا يتكلم لأن حالته هوجية وتمنعه من الكلام . .

وحاول بعض الذين اطلقوا الرصاص أن يتكلموا باعتبارهم جرحى ! وأرغم عدد من المسجونين على التوقيع على أقوال لم يدلو بها ، في ظل الضغط والارهاب والتهديد .

ونصبت ادارة السجن تمينا في طرقات الليمان للاخوان الذين تستدعيهم النيابة ، فاذا اقترب أحدهم من غرفه وكيل النيابة انهالوا عليه ضربا حتى يفقد النطق ، ثم حملوه الى وكيل النيابة وقالوا له أنه في حالة صحية نمنعه من الكلام !

واعترف احد الضباط بأنه صدرت الأوامر الى فرقة من الكتيبة للذهاب الى عنبر النائب حيث يوجد باقى المسجونين السياسيين الجرحى : وكانت التعليمات بأن تجهز عليهم جميعا .. ثم تدخل أحد الضباط وانقذ حياة الباقين على قيد الحياة !

وجاء موظف كبير من وزارة الداخلية وسأل مدير الليمان :
— كم عدد القتلى ؟

قال مدير الليمان .

— ٢١ قتيلا يا أفسدم .

قال الموظف الكبير :

— ٢١ فقط ! ان التعليمات هي ابادتهم جميعا !

وفي يوم الثلاثاء ٤ يونيو صدر الأمر بنرحيل باقى الأحياء من المسجونين السياسيين الى سجن القناطر ، وتم نقلهم في الساعة الثالثة صباحا حتى لا يعرف أحد في المدينة ماذا يجري !

وكان المسجونون مربوطين في جنازير من الحديد . وبعد فك الجنازير نقلوا في دفعات الى الطابق الثانى ، وكانت كل دفعة تتكون من ثلاثة مسجونين . وصدر الأمر لكل دفعة بأن تجري حول أسوار العنبر بينما تنهال عليهم السياط والعمى والاحزمة الجلدية من أيدي الحراس ومصدوا بهذا اقامة حفلة استقبال للمسجونين السياسيين لارهابهم ولاندخال الرعب الى قلوبهم !

وعاش الاخوان ثلاثة شهور غيبا يسهونه « التكدير » . وعملية التكدير هذه هي مزيج من ضرب السياط والتعذيب والحرمان من البطاطين والابرائش ، ومنع المصاحف ، ومنع زيارات اهالى المسجونين ، ومنع ارسال خطابات لاسرهم او تلقى خطابات ، ومنع شراء حاجاتهم من كائنين السجن ، وعدم قبول امانات بلسهم . .

وفى ذلك الوقت كان يمر عليهم ضابط بعريضة تحوى شكر ولاية الامور على المعاملة الطيبة وتأييد الحكومة فى اعمالها الجليلة !

وفى اثناء عملية التكدير وقعت كارثة ، اذ تجرأ أحد الاخوان من المسجونين السياسيين واذن لصلاة المغرب !

وقامت الدنيا وتمعدت ! هذه جريمة كبرى ! هذه مخالفة للتعليمات ! هذا تحد لسلطات السجن .

وتحول السجن الى جحيم !

وكثرت الأمراض العصبية بين المسجونين السياسيين . أصيب المسجون معوض ابراهيم بانهيار عصبى . أصيب محمد الفاتح بانهيار عصبى . أصيب عبد الحليم شحاته بانهيار عصبى .

كاد يتحول عنبر المسجونين السياسيين بسجن القناطر الى مستشفى للأمراض العقلية !

وصدر الامر بنقل ١٩ مسجوننا سياسيا الى معتقل الواحات .

ثم صدر الامر بنقل ١٠ مسجونين سياسيين آخرين الى سجن المحاريق !

وكانت جريمتهم انهم رفضوا أن يشكروا الحكومة على معاملتها الطيبة ، كما رفضوا أن يكتبوا تأييدا لها .

لأنها قتلت ٢١ منهم !

التعاليم المسيحية!!

سجن إيمان طرزة

٥ سبتمبر سنة ١٩٦٦

ليس هناك في الحياة أجمل من أن يشعر المسجون بأن هناك من يحبونه . أن الحب يخفف عذاب الوحدة وألم السجن . وأنا أحمد الله أنني أشعر بحب الناس . هذا الحب يملأ روحي ثقة وهناءً وأملًا . هذا الحب هو الشيء الوحيد الذي لا يمكنهم أن يؤمموه ، أو يضعوه تحت الحراسة ، أو يودعوه في السجن والمعتلات ! وأعتقد أن هذا الحب العظيم قادر على أن يفعل لنا شيئاً في المحنة التي نعيش فيها . أنني أعلم أن الصدمة تهدم الجبال . ولكن إيماني بالله يجعلني واثقاً بأننا سوف نصمد لهذه الصدمة الكبرى ، كما صمدنا لأحوال كثيرة في الأربعة عشر شهراً الماضية . أنا أعرف أن إيماني دخل في امتحانات كثيرة . ولم أمد في حاجة إلى امتحان جديد ، ولكن يظهر أن الأقدار لا تصدق أن إيماننا يمكن أن يكون بهذه القوة وهذا الصمود . وجاءت لنا هذه الضربة الجديدة ، وسوف نتحملها كما احتملنا غيرها . أن الله معنا . لقد أعطانا هذا الإيمان الكبير . وأعطانا حب الناس . وهو قادر على أن يعطينا الحرية ، التي نتمناها ، ونصلي لها ، ونعيش من أجلها ! وأنا لا أتصور أن الحرية لن تجيء لي وحدي . وسوف تجيء للبلد كله . سيجيء يوم تفتح فيه أبواب السجن والمعتلات . سوف تفتح النوافذ كلها والأبواب كلها . سنخرج كلنا إلى الهواء الطلق إلى الحرية ! أنني لست أحلم . أنني مؤمن بأن هذا اليوم سيجيء . ومن الغريب أن يكتب هذه النبوءة محكوم عليه بالانفصال الشاقة المؤبدة ، بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم . ولكن العجيب أنني أرى في هذا الظلام الدامس شعاع الحرية ، وأسمع في مرعقة سياط الظالمين بشير العدل يقول لنا أنه خادم في الطريق . .

الظلم الكثير يقرب ساعة الظالمين . وأنا أرى حولي في كل مكان جثث
المظلومين تتكاثر وتزيد وتتضاعف ، وأحس أنني أرى بشائر
العذل !

شربت قهوة لذيذة أمس واليوم . مضى على وقت طويل لم أذق
القهوة . كنت وأنا خارج السجن أشرب ١٧ فنجان قهوة في اليوم .
وكم حاول الأطباء دون جدوى اقتاعى بالاقبال من شرب القهوة إلى
أن جئت إلى هنا ، ويظهر أنني دخلت الليمان بناء على طلب
الأطباء !

المسجونون هنا يسمعون اذاعة القاهرة وصوت العرب وهي
تهاجبني ليل نهار ! يقرأون الصحف التي تخصص المقالات الطويلة
لأثبت خيانتى . ولم يتأثر المسجونون بهذه الحملة الضارية ، بل
شاعت من عطلهم على ، وحبهم لى ! ان مئات من الرسائل السرية
تدس في زنزانتي من مسجونين عاديين لا أعرفهم تقول لى « شد
حيلك » ا و « لا يهيك » . ا « نحن لا نصدق ما يقولون عنك »
« الراى العام كله يؤمن ببراعتك » !

هذه الكلمات تهزنى من الأعماق . أحس في وحدتى أنني لست
وحدى ، اسمع في هذه الأصوات صوت بلدى !

التفتت هنا بهسجون فلسطينى من غزة اسمه سامى الخطيب .
ملتعب حباسا ووطنية . تهمته أنه قتل من أجل الشرف . ذهلت
وأنا أراه يعرض حياته للخطر من أجل . فعل لى أشياء مستحيلة .
نظم لى طريقة غريبة للاتصال بأصدقائى وأسرتى فى الخارج أسرع
من التلفزيون !

كنت أحمل هم لقاء أولادى وأسرتى فى داخل السلك . أنها طريقة
للزيارة مهيئة ومذلة ومؤلة . وكنت أخشى من اثر هذه المقابلة
على أعصاب أطفالى الصغار الذين رفضت حتى الآن أن يزورونى
فى السجن . ولكن أطباء مستشفى السجن أخبرونى اليوم أنهم
طلبوا أن تكون زيارتى فى حديقة مستشفى السجن لأن حالة
الروماتيزم التى عندى تمنعنى من الوقوف . ولكن .. ليس لى حق

الزيارة قبل مرور شهرين من دخول هذا السجن . وقد مر اليوم
١٠ يوما ، أى قطعت ربع المسافة ، ولعل الله يسرع بالثلاثة الأرباع
الباقية حتى يحل موعد اللقاء !

كان يضايقنى أن الأوامر تقضى بأن أقرأ خطابات أسرتى وأولادى
أمام الضابط ، ولا يبقى الخطاب فى يدي أكثر من عشر دقائق . جاء
أمس ضابط طبيب وسبح لى أن احتفظ بخطاب أسرتى لمدة ٢٤
ساعة كاملة . فرحت جدا وعشت طول اليوم أقرأ الخطاب عشرات
المرات ومئات المرات . أمضيت الليل والخطاب بين ذراعى !

ويظهر أن « الفتى لما يسعد تيجى له سهرتان فى ليلة » نقصد
مصرحوا لى أمس بكرسى فى زنزانتي ، وينتظر أن اتسلم هذا الكرسي
اليوم . وسوف يساعدنى كثيرا . أن الجلوس على الأسفلت مؤلم .
وسوف أستطيع أن أستعمل هذا الكرسي كمائدة لتناول الطعام ،
ولأضع عليه السجائر وملقطة السجائر ، وليكون مكتباً أكتب
عليه خطاباتي .. ولكن لن يجلس على الكرسي أحد من الزائرين
لأنه غير مصرح لى مسجون أو حارس أو ضابط بدخول زنزانتي ،
وكل يوم يحمل لى تقديما جديدا . كل يوم اكتشف ثغرة جديدة فى
الحصار الدقيق المضروب على . أن الفضل للناس الطيبين من
المسجونين . اننى رجل ضعيف لا حول لى ولا قوة ولا نفوذ . محكوم
على بالأشغال الشاقة المؤبدة . الصحف تقول عنى اننى جاسوس
وخائن لوطنى . لا أملك سوى خمسة جنيهات فى الشهر . كل ما أملك
موضوع تحت الحراسة . أخبار اليوم مؤمنة . ومع ذلك أجد من
المسجونين — كل المسجونين — ثمانيا فى خدمتى وكاننى سأخرج
من السجن غدا ! اننى أكاد أطلع على كل ورقة سرية تيجى من وزارة
الداخلية الى السجن . أقرأ أحيانا التعليمات السرية قبل أن يقرأها
مدير الليمان والضباط ، وأعرف أولا بأول كل التقارير وكل الاشارات
وكل الأخبار ! المسجونون الذين يعملون فى المكاتب يتبرعون بنقل
الأخبار الى . كل واحد منهم يريد أن يساعدنى أو يخدمنى أو يخفف
عنى صدمة قيود جديدة !

أكل السجن لا يطلق . فجأة وجدت طاقة تنفتح فى شراعة الزنزانة
ويدخل منها طبق غيه بسلة وفراخ ولحم . وعشت يومين على هذا

الطبق اللذيذ . بعد أن أمضيت أسبوعين لا أكل الا السرتين والجبن ! وبعد يومين انفتحت الطاقة وألقى أحد الزملاء كمية من السجائر . صحيح أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ولكنى رايتها وهى تمطر فراحاً ولحماً وسجائر ! تصورت فى أول الأمر اننى أحلم . ولكن تكرر العملية وطعم الفراح اقنعنى أنها فراح حقيقية وبسلة حقيقية ! وعرفت بعد ذلك أن أسرة أحد المسجونين زارته ، وأنها عرفت اننى مسجون معه فى نفس العنبر فاحضرت طعاماً خاصاً بى . الغريب اننى لا أعرف اسم هذا المسجون ، ولا شكله !

هذا هو الشعب المصرى .

اننى فى حاجة الى خمس عشرة خرطوشة سجائر والى معلبات خضار وعلب جبن وكلها كان حجم العلبة صغيراً انتهت فى اكلة واحدة كان ذلك يكفينى . فأتأت لا أضمن أستمرار تبرعات زملائى المسجونين . والمثل يقول « اذا كان حبيبك غسل ما تلحسوش كله » ! لست فى حاجة الى علب سردين . أن عندى منها ما يكفينى لمدة الاشغال الشاقة المؤبدة وهى ٢٥ سنة !! أرجو أن يتذكر اخى أن يرسل لى أطعمة السكر ، ويرمى السكر .

ملحوظة : وصل الكرسي الآن ، وقد وضعت فوقه وسادة ، واستعملته بصفة مكتب ، وهو أحسن كثيراً من الكتابة على كرسي التواليت ! وهانذا احتل بافتتاح الكرسي ، وأول شيء افعله عليه هو أن أكتب لك هذا الخطاب .

والى اللقاء ..

مذاعة لزججة لصدرية!

سجن ليمان طره

١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦

مضى على في ليمان طرة ٢١ يوما . عادة الشهر الاول في السجن الجديد هو أصعب الشهور . كذلك كان الحال في سجن المخبرات ، وفي السجن الحربي ، وفي سجن الاستئناف وفي سجن القناطر . لقد أمضيت هذه المدة أحاول أن أكيف نفسي للحياة الجديدة التي انتقلت اليها . مما يسعدني أن المصاعب التي صادفتني في أول الأمر أحاول أن أغلب عليها تدريجا . أو أعود عليها إذا لم أستطع التغلب عليها . المسائل نسبية في الحياة . بالأمس كنت أستعد ٢٤ ساعة لأطير الى أوروبا وأمريكا . الآن أستعد أسبوعا للانتقال من زنزانتني الى مستشفى السجن . هذه المائة متر تحتاج الى إجراءات وتصريح دخول وجواز مرور واذن من الضابط قائد العنبر ، واذن من مدير الليمان واذن من مدير المستشفى ، كل هذا لا يضي نصف ساعة في المستشفى لتحليل بول السكر ! لقد اختاروا لي الشاويش ديهوم ليحرسني . انه أكثر الحراس صرامة . يتبعني بكظلي . الويل لمن يحاول أن يقترب مني . كنت أتمشى في حديقة العنبر ، وكان يمشي خلفي . وقال لي الشاويش ديهوم : « هيا نذهب الى التواليت » ! قلت له : ولكني لا أريد أن أذهب الى التواليت ! قال الشاويش ديهوم : ولكني أنا أريد أن أذهب ! قلت متعجبا : اذهب وحدك ! قال ديهوم : لا أستطيع أن أذهب وأتركك وحدك ! وتبعته صاغرا ، ووقفت معه الى أن انتهت من التواليت !

ولم اعرف ماذا افعل للتخلص من الشاويش ديهوم ! وخطر ببالي أن أقتعه بأنه مريض بالذبححة الصدرية ، وأن مرضه يقتضي أن يجلس ولا يتبعني كظلي أثناء الفسحة . واتفقت مع أحد الأطباء

على أن يؤكد له أنه مريض بالذبحة الصدرية .. واضطر الشاويش ديهوم أن يجلس على كرسي وهكذا أصبحت لأول مرة أمشي في حديقة السجن دون أن يتبعني ، ولكن مفاجأة حدثت بعد ذلك وهو أن ديهوم ذهب الى مستشفى الجمهورية ليتأكد من الأمر ، وإذا بالأطباء يجمعون غملا على أنه مريض بالذبحة الصدرية !! كيف حدث ذلك لا أعرف ! هل عرف طبيب مستشفى الجمهورية عذابي على يد الشاويش ديهوم فاشترك في المؤامرة ، أم أنها مصادفة .. لم أن الله أراد أن يخفف عني البلاء الذي أنا فيه .. لا أعرف !

اننى لا أسمع هنا الا اذاعة القاهرة . شعرت برغبة في أن أسمع اذاعات العالم لأعرف ما لا يقال من اذاعة القاهرة . وجدت أن نهرىب راديو صغير داخل الزنزانة مخاطرة مع التفتيش المستر لبل نهار ! تعرفت الى المسجون زكريا عبد الستار . انه الذى يتولى عملية الاذاعة فى السجن . اتفقت معه على أن يسمع اذاعات العالم وبيلغنى شفويا كل يوم بأهم ما يسمع ! وهكذا استطعت أن أعرف ما يجرى فى العالم .

بعض الصبر ، وبعض التنظيم ، وبفضل حب وإخلاص وتعاون زملاى المسجونين سوف أنشئ « أخبار يوم » صغيرة داخل ليتمان طرة ، كما فعلت فى سجن الاستئناف ثم فى سجن القناطر .

بدأت اتصالات بالمعتقل . عدد المعتقلين يزيدون كل يوم . عشرات الآلاف من الشباب . موظفون . طلبة . اساتذة جامعة . عمال . كل الفئات ممثلة فى المعتقل . كل واحد منهم له قصة ديست فيها العدالة والحرية والانسانية بالاقدام !

انهم يظنون أن المعتقلات هى حصون تحبى الحاكم . أنا أراها عبورا يدفن فيها الحكام . قيل لنا أن الناس خائفون . الكل فى رعب . الأبرياء يؤخذون بالشبهات . أسر توضع تحت الحراسة ولا ذنب ولا جريمة ! أسرة فى الاسكندرية وضعت تحت الحراسة لأن ابنتها الطالبة فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية رفضت أن تتزوج من شقيق أحد الكبراء ولهذا السبب عوقبت الأسرة : نساؤها وأطفالها ورجالها ووضعوا جميعا تحت الحراسة ! ما هى علاقة

لمن الدولة بزواج طالبة في كلية الطب .. الغريب أن الذين يرتكبون هذه التصرفات يتصورون أن أحدا لن يجرؤ على الهمس بها . أنهم كمموا كل الأمواه . نشرخوا الارهاب بين الجميع .. ولكن عيبيهم انهم جهلاء لم يقرأوا التاريخ ولم يعرفوا أن كل هذا سوف يعرف وينشر في يوم من الأيام !

اننى اعتقد ان نكبتنا الكبرى ان اكثر الذين يتولون امورنا الان جهلاء .. ان الدولة الان ائسبه بطائرة يقودها اشخاص لم يدرسوا الطيران ، ولهذا فلا بد ان تقع الطائرة وتحدث كارثة ! هذه النبوءة ليست في حاجة الى علم . انها ائسبه بواحد زائد واحد يساويان اثنين ! لا أستطيع ان أحمده الله اننى لست في الطائرة ، لأن مصر كلها في هذه الطائرة .. وهذه هي المصيبة المنتظرة !

استلمت اليوم بذلتى الجديدة . وهى بذلة بيضاء فصلها لى كمال الأبيض ، وهو مسجون معى وترزى من الطراز الاول . واصبح الان عندى ثلاث بدل . البذلة الجديدة ، وبذلة زرقاء انام فيها وبذلة سلف . وهذا عز لم أحلم به فى اى يوم منذ ان دخلت الليمان . وبعد ان كنت أحمل هم السجائر ، استطعت فى خلال هذه الاسباع ان اقلها واتغلب على هذه الأزمة الطاحنة . وبعد ان تصورت ان الحياة مستحيلة بخمسة جنيهات فى الشهر ، وضع الله سره فى الجنيهات الخمسة وكفتنى حتى الان ! وبعد ان كنت اتضايق من وضع الطعام فوق كرسي التواليت واستعمله بدل مائدة الطعام أصبح عندى كرسي خيزران فوقه وسادة . وبعد ان كنت لا أستطيع ان أشرب الماء لأن جرذل الماء تقع فيه باستمرار كمية هائلة من الصراصير ، أصبح عندى أربع زهميات بلاستيك للماء . صحيح انها كلها سلف من زملائى المسجونين معى ، ولكنى بدأت اعود نفسى على الماء الفاتر ، ولا أشرب الماء المثلج الذى كنت أحبه الا فى الاعياد والمناسبات الرسمية . وبعد ان كانت الزنزانة تغلق ٢٣ ساعة كل يوم ، أصبحت تفتح ساعتين فى النهار . وبعد ان كنت اشكو من اننى لا أجد شيئا أقرؤه فوجئت بتلاميذى يهربون لى التابىز والأوبزيرفر والحلى تلجراف وتايم ونيوزويك والسانداى تيمس والصيد والاسبوع العربى وآخر ساعة .

وقيل لى اثنى ما دمت احمل ماجستير فى العلوم السياسية من
أمريكا فمعنى ذلك اثنى احمل شهادة عليا ، والذين يحملون شهادة
عليا نص لائحة السجون على أن يوضعوا فى الدرجة الاولى . وهى
عادة تمنح أوتومليكا للحصول على شهادة عليا ، وميزتها أن أصرف
عشرة جنيهاً فى الشهر بدلا من خمسة جنيهاً . . وأرسل مدير
الليمان يستاذن مدير مصلحة السجون . وأرسل وزير الداخلية يستاذن
السجون يستاذن وزير الداخلية . وأرسل وزير الداخلية يستاذن
رئيس الوزراء ، وأرسل رئيس الوزراء يستاذن رئيس الجمهورية .
كل ذلك من أجل زيادة المبلغ من خمسة جنيهاً فى الشهر الى عشرة
جنيهاً فى الشهر !

ولا استبعد أن يدور الورق حول الكرة الأرضية قبل أن يعود الى
الليمان ، بل لا استبعد أن يفتى أحد المستشارين فى رئاسة الجمهورية
بأن شهادة ماجستير من جامعة فى أمريكا تساوى شهادة الإعدادية
فى مصر !

وقيل لى أيضا أن نوى على سرير ومرتبة هو قرار مؤقت . أصدره
مدير المستشفى لرضى ونفذه مدير الليمان على مسئوليته حتى يصل
الآن من الجهات العليا بأن أنام على السرير ، ولا فسوف أنام
على البلاط ! ولهذا لم أطلب منكم أن تحضروا لى فى الزيارة ملاءة
بيضاء . وكيسا للوسادة بعرض سرير مستشفى ، لأثنى لا أعرف
هل سابتى نالما على السرير والمرتبة أم انتقل الى البلاط الملكى !

وكذلك التصريح بالصحف والمجلات لم يصل بعد . أنا اقرأ
الصحف « سرقة » ! وإذا جاء التفتيش فجأة القيت بهما من
النافذة !

وهم يقولون أن التعليمات أن تتأخر كثيرا ، ولكن يبدو أن ولاية
الأمور مشغولون بالمشاكل الكبيرة ولا وقت عندهم للمشاكل
الصغيرة .

نسيت أن أخبركم اثنى استدعيت للمثول فى يوم ٩ أكتوبر أمام
محكمة الجنايات فى قضية مرفوعة على بصفتى رئيسا لتحرير

أخبار اليوم . فرحت بتقديمى الى محكمة الجنايات فهذه فرصة لأرى الدنيا ! وهم عادة يسبحون لأتارب المسجون بأن يقابلوه قبل الجلسة وبعدها ، ويستطيع الأهل أن يعطوا المسجون سجائر ، ويمكن أن تحضروا بعض الساندويتشات فقد تستمر الجلسة الى ما بعد الغداء . وهناك نظام بأن ينقل المسجون من الليان الى سجن الاستئناف قبل الجلسة بيوم . ويبيت فى سجن الاستئناف ليلة أو ليلتين . لا أعرف هل سينبعون معى هذا النظام ، لم سينقلوننى من ليمان طره الى جلسة محكمة الجنايات مباشرة .

وفى بعض الأحيان أفر : ما ذنب الذين أحبهم فى كل هذا الشقاء ؟ لقد وعدت أحبائى وأصدقائى وتلاميذى بالنعيم وأعطيتهم الجحيم . وعدتهم برحلات بين عواصم العالم وأعطيتهم زيارات لمختلف السجون ! وعدتهم بالهناء وأعطيتهم الحرمان . وعدتهم بصحافة مثل ناطحات السحاب ، وتركها لهم أكواخا وخرائب وقبور !!

أما أنا فلم أفقد شيئا كثيرا . شاء الله أن يعطينى حب الناس ليعوضنى عن كل ما فقدت ، ولست أعرف ماذا تكون حياتى من غير هذا الحب . أن الله قبل أن يقضى بالداء يدبر الدواء . وقبل أن يسمح لليد التى طعنتنى أن تحمل السكين ، خلق الأيدى التى تكون البلسم للجراح !

لو وقفت وحدى فى هذه الدنيا ، فلن أشعر بالوحدة . لأننى أحس بأن الناس بجانبى . لن أقع وهم الى جوارى ، لن أسقط وأنا مستند اليهم . لن أشعر باليأس والألم ، وأنا أشعر أن حبههم يحول ضعفى الى قوة . أنا لم أتصور أن حب الناس يستطيع أن يفعل كل هذا فى رجل محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

أننى عشت حياتى كلها أعتد على نفسى . ولكنى الآن أشعر أننى أعتد على الناس جميعا . الضعفاء لا الأقوياء . المظلومين لا الظالمين . المسحوقين لا أصحاب النفوذ والسلطان لهذا يهمنى أن تكون أعصاب الذين يحبوننى قوية . مما يسعنى أن أجدهم صابدين . يعانثون الأحداث التى كان يجب أن تحطبنا جميعا . ولكننا لن نتحطم . سوف نقاوم .

ان الذى صمدنا له حتى الآن هو شيء لا يتصوره العقل . كان
مطارق الدنيا كلها هوت فوق رؤوسنا ، تحاول ان تحطمها وتنكها ،
ولكننا صمدنا لها ، وكان المطارق هى التى تتحطم .. لها نحن فنزاد
صمودا .

اطمئنى على ! ان راسى نائف ! ان المطارق لن تحطم راسى ! راسى
سوف يحطم المطارق !



في ظل المشقة !
التقطت هذه الصورة وأنا أسمع المدعى يطلب
من محكمة الدجوى الحكم على بالإعدام !

دولة إظام ساعة!

سجن ليمان طوره

١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٦

فرحت جدا عندما علمت أن الكولونيا غير ممنوعة في الليمان !
ان الأطباء نصحوني بأن أمسح جلدي يوميا بالكولونيا بسبب كثرة
البقي والبراغيث والجرب ! وقد كانت الكولونيا ممنوعة في سجن
الاستئناف خشية أن يشربها المسجونون بدلا من الخمر !

لا أعرف ماذا يمكن أن تحضروه لي من طعام اثناء الزيارة ! كل
ما بهمني هو السجائر ! منذ أن عذبوني في سجن المخابرات بمسح
السجائر أو التحكم في عدد السجائر التي أشربها أصبحت السجائر
عندي عقدة . أخاف أن يجيء اليوم الذي لا أجد فيه سيجارة أدخنها !
السيجارة هنا مهمة . انها العملة الصعبة . التعامل المعترف به
هو السجائر . انهم لا يقولون أن هذا الأمر يكلفك كذا قرشاً ،
بل يقولون لك أنه يكلفك كذا علبة سجائر ! الماركات لا أهمية لها .
سيجارة الكنت هنا مثل سيجارة البلumont تها ! قيل لي أنه من
الممكن أن تحضروا في الزيارة أي عدد من السجائر . انني استطعت
أن أدبر لنفسى سجائر الشهر الأول . ولكني أحمل هم سجائر الشهر
الثاني . اعتقد أن الله مد يده الي في الشهر الأول وهو أصعب
الشهور ، ولهذا أتوقع أنه لن يدم . والمفتش يقترح اللقي !

كنت أحمل هم خبز السجن . مرض السكر جعلني لا أكل إلا الخبز
الخاص بالسكر . وأنا لا أجده هنا . أمري لله . انني أكل العيش
البلدي . أنه يصل الي من الفرن ساخن ، وهو لذيذ جدا ولكنه مضر
جدا بمرض السكر ! وأكل البيض المقل بالزيت . هذه أول مرة في
حياتي أكل البيض بالزيت . كانوا يبيعون هنا الزيد في ثلاثة الكانتين ،
ولكن تعطلت الثلاثة قبل حضوري فألغوا بيع الزيد ! أن اصلاح

ثلاجة في عالم الحرية مسألة بسيطة . ولكنها مسألة عويصة في عالم القبود والسدود ! يجب اخطار المصلحة . والمصلحة ترسل مفتشا . والمفتش يفرح بalf لجنة . ويصدر قرار بتأليف لجنة . ونجتمع اللجنة . وتطلب اللجنة بدل انتقال للوصول الى لبيان طره . ونسفل اللجنة الى اللبان . ونقرر ان الثلاجة معطلة ! وهنا يصدر قرار بعمل تخفيق حول المسئول عن تعطيل الثلاجة . وهنا يقع الاختيار على مسجون فدائي يعترف بمآته المسئول عن تعطيل الثلاجة . فينتقر اصلاحها على حسابه وتقسيط المبلغ من اجر المسجون المسمى وهو قرشان صاغ كل يوم ! ومعنى ذلك انه يجب ان يكون المسجون محكوما عليه بالسجن المؤبد حتى يستطيع ان يسدد ثمن اصلاح الثلاجة !

اننى احب ان اذكر لكم ما يباع في كاتنين السجن . عندنا معلبات فيها لمرى . البرتقال والبلح والمشمش . وعندنا لحم بقبرى في المعلبات « لانتشون » من صنع يوغوسلافيا وعندنا جبن ناستو . مشكلتى ان الجنيهاات الخمسة لا تكفينى للطعام او السجائر . اما ان اتوقف عن الاكل او اتوقف عن التدخين . لموازنة الميزانية . اسهل ان امتنع عن الاكل . اننى امقت الاستعباد . ولكنى اشعر ان السجارة تستعبدنى . ولم اشعر بذل هذا الاستعباد كما شعرت به وانا في سجن المخابرات او السجن الحربى !

هرب لى اسدقلى مظلوما كبيرا فيه مجلة الاذاعة وروز اليوسف والمختار . والهلال . ختم البريد يوم ٥ سبتمبر . استغرق وصول المظروف من الزمالك الى طره ستة ايام . لو كان اسمى على المظروف لوصل في ستة اشهر ! تأخير البريد لا يهمنى . الذى يهمنى ان اجد ما اقرا باستمرار .

اخبار المعتقلات والمعتقلين تهرب الى باستمرار . كل يوم اعتقالات جديدة . ضاقت المعتقلات فصدر امر باتشاء معتقلات جديدة . اغلب المعتقلين لا يعرفون لماذا اعتقلوا ! لم توجه اليهم تهمة . لم يواجه اليهم سؤال ! المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . كانت المساعدة فى البلاد الديمقراطية المتهم برىء حتى ثبت ادانته . الذين تحكم عليهم المحاكم الاستثنائية بالبراءة لا يفرج عنهم . ينقلون من سجن الى سجن . كل ما يحدث لهم ان ينقلوا من قائمة المسجونين الى

قائمة المعتقلين ، وهم دائما في سجن ، والمعاملة واحدة ، والقيود واحدة ، الذي أدهش له ان الذين وضعوا ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الانسان لم يمسروا على تأليف لجان تزور الدول ومبحث عن المسجونين الذين لم توجه لهم تهمة ، أو الذين لم يحاكموا امام محكمة عادية ، أو الذين حرموا من أبسط قواعد القانون ، وتقدم الدولة التي دأست على مبادئ العدالة الى محتبة العدل الدولية . ولقد علمت ان الدول الدكتاتورية عارضت في ادراج مثل هذا النص في قانون حقوق الانسان واعتبرته تدخلا في الشؤون الداخلية .

ان الطريق لمنع قيام طغاة ومستبدين وجزارين في بلاد العالم هو تأليف محكمة عالمية لحاكمتهم . لا فرق بين الدكتاتور وقاطع الطريق ، كل واحد منهم يعتدى على العدالة . . لو عرف الحكام انه توجد محكمة دولية سوف تحاسبهم على طغيانهم ، لما جرؤ كثير منهم على اقتراف ما ارتكبوه من مظالم !

اننى لاحظ أننا دون ان ندري نسير في طريق ستالين . تأليه الفرد . إلغاء الحريات . امتهان العدالة . الاعتقالات بالجملة . اتهام من نختلف معهم في الراى بانهم جواسيس ما ان خلفاء ستالين عندما أرادوا ان يتخلصوا من الزعيم بزيا وزير الداخلية قضاوا عليه واعدموه ، وأذاعوا بعد اعدامه انه حوكم واعترف بأنه جاسوس لأمريكا ! كذلك فعل هتلر مع بعض خصومه . أننا نمشى بمعصوى الاعين في طريق الطغيان . ولا يعرف الجهلاء الذين يطبلون ونزعمون لطريق « القوة » ان هذا الطريق يؤدى دائما الى الهاوية . ننسى أنهم اخرجوا جثة ستالين من قبره ولعنوه امام التاريخ !

ان الضغط والارهاب والمحاکمات الاستثنائية والمعتقلات ليست طريق الأتواء . إنها قصة سوء استعمال السلطة في كل زمان ومكان . انها لعنة أصابت العالم الثالث عندما تصور أن طريق الاستبداد هو أقصر طريق بعد الاستقلال . عندما تصور بعض الزعماء ان الحرية هي حريتهم هم . وليست حرية الشعب . وأنه مباح للزعيم الوطنى ان يفعل ما يشاء بالشعب ما دام حرره من الاحتلال الأجنبى . وكأنه محكوم على كل شعب ان يضرب بكرياج الحاكم الأجنبى ، فإذا انتزع الكرياج من يد الأجنبى ، أمسك به الحاكم الوطنى ليلهب به ظهور الشعب . كأنه حكم علينا ان نضرب

بأيدي أعدائنا وبأيدينا . وأن نتخلص من قفص كبير يضمنا جميعا ،
لنوضع في أقفاص صغيرة تضم كل واحد منا على انفراد !

ان معسكرات الاعتقال والسجون التي انشأناها في العالم الثالث
لكبر من المصانع التي انشأناها ! لا أجد الا بلادا تعد على أصابع
اليدين في إفريقيا وآسيا تتمتع شعوبها بحرية حقيقية . وسوف يستمر
مد الاستبداد الى أن تحدث كوارث في بلاد كثيرة اختارت النظام
الديكتاتوري ، وبعد ذلك يبدأ المد الديمقراطي من جديد !

ومصر لن يتغير حالها بثورة ، وانما سوف يتغير حالها بكارثة ،
وكثيرا ما نبهت الى هذه الحقيقة ، وكثيرا ما حذرت من أن الطريق
الديكتاتوري يؤدي الى انتصارات وقتية ، والى هزائم دائمة ، وحتى
الآن لم تصق بوعبي ! وقيل لي أنني أفكر بعقلية قديمة ! وان
الموضة الآن هي الديكتاتورية !

في مساء الجمعة ٩ سبتمبر امضيت الليلة معك . اتحدث اليك .
أناجيك . أعيش ذكرياتنا الجميلة معا . عشت في تلك الذكريات الحلوة
وقتارائعا ، استعمت احاديثنا معا ساعة بساعة . سمعت صوتك .
أحسست كأننا لا نزال نعيش في أحلامنا الحلوة . أسعدتني هذه
الساعات . كان السجن صامتا . الاذاعة توقفت . النور اطفى .
ولكن حبك يتكلم ، ويضيء كل حياتي في هذا الظلام الدامس .

أحب أن تعلمي أنني جزء من هذا البلد . الذي أصابني أصاب
البلد كله . كل ما هناك أنني كنت في الصف الأول فاصبت برصاصه .
لن ينجو احد . كلنا سنصاب ، لأننا كلنا ضحايا . نحن ندفع ثمن
خفلتنا . أننا لم نعرف كيف نحافظ على حريتنا ، لو أن كل واحد منا
غضب للظلم الذي أصاب جاره لما امتدت النار الى بيوتنا . أنني
أتوقع أياما تعيسة لهذا البلد . أتوقع ظلما أكبر . ان الظالم لا يشبع
من الظلم . انه يفتح شهية الظالم لظلم أكبر !

ومع ذلك لمزلت أؤمن بأن دولة الظلم سامة ، ودولة الحق الى
قيام الساعة ! هناك مثل صيني يقول :

« لجلس على حافة النهر . وسيجىء التيار . يحبل لك جثة
مذوك ! » . وأنا الآن جالس على حافة النهر . . ولكن في زنزانة !

المحاكمة الخاصة!

ليمان طهره

أكتوبر سنة ١٩٦٦

أخي العزيز

اننى لم اكتب لك منذ وقت طويل . كأنها أجيال من التاريخ . نحن الذين كان لقاءنا اليومي أهم لذات حياتنا . ولكن ما بلعيد حبله .. عزائى هذه الرسالة الروحية التى نبادلها كل يوم وكل لحظة . وهى رسائل تلقنى حيناً ، وتطمئننى حيناً . وكنت على ثقة من ان اخبارى تصل اليك . ولكنى شعرت بأنك تريد خطاباً بخطي !

ان الحكم لم يكن مفاجأة لى . جاعنى من احد تلاميذى نص الحكم قبل صدوره بأيام . وعندما اخبرت زملائي المسجونين بالحكم نزل عليهم الخبر كالصاعقة . كانوا جميعاً يتصورون ان الحكم هو البراءة ، وكانوا قد قرأوا القضية ، وكانوا يراهنوننى على البراءة !

ولهذا عندما صدر الحكم بعد ذلك بيومين لم اهتز . وسمعته وأنا ابتسم . وكنت اضحك بعد سماعى الحكم . وعلمت ان ولاية الامور اصنروا امرأ للصحف بالآ ينشروا صورى وأنا ابتسم ! وقد تعبت الصحف فى ان تحصل لى على صورة مكشرا . وكانوا يلتقطوا فيلماً ظهرت فيه وأنا اضحك بعد الحكم ، فصدر امر بفتح عرض الفيلم فى التلفزيون ! والصورة التى نشرت فى الأهرام هى صورنى وأنا أعلق على الحكم ، وأقول اننى برىء ، واننى أعطيت وطنى فكرى وقلبي وحياتى ، ويسمعنى أن أقدم له حريتى ، واننى مؤمن بأن التاريخ سيحكم ببرائتى .

وكنت اضحك مع المصورين ، وأقول لهم بعد الحكم : « صوروا كويس » ! واشجعهم على ان يلتقطوا صوراً جيدة !

وأعدت مكيلا بالحديد الى سجن الاستئناف . وهناك خلعت ملابسى العادية والبسوتى بذلة السجن الزرقاء . كانت البذلة ضيقة جدا فنبوت فيها في غصن البان . سحبوا السرير الذى كنت انام عليه وقالوا ان التعليمات ان انام على الأرض . ولكن طبيب السجن صرح لى بمرتبة لمدة اسبوع بسبب حالى المرضية . كان السجن فى مانم . المسجونون يتبادلون العزاء . كل واحد منهم يشعر بان الحكم صدر عليه هو . وكنت أنا الذى اعزيتهم ، وأطيب خاطرهم ، وأرفع روحهم المعنوية !!

وفى الصباح المبكر جاء الضابط نجلى قائد كتيبة حرس طره ليصحبنى من سجن الاستئناف الى ليان طره . ولم أكن تناولت افطارى بعد . فرفض أن ينتظر حتى أتناول افطارى ! وحمل الحرس حقائبى ووضعوها فى السيارة البوكسفورد التى ساستقلها ، وإذا به يأمر بانزال حقائبى ، ويصدر أمرا بان أذهب كما أنا ، بلا غيارات داخلية ولا سجاير ولا ادوية ولا حتى منديل ! ثم نزع ساعتى . ثم فتشنى تفثيشا ذاتيا فوجد مصفحا ، وفى داخله مذكرة طبيب سجن الاستئناف بتصريح لمدة اسبوع لمرضى . فرفض أن اصحب التصريح معى . ورفض أن أحمل المصحف . ثم وضع القيد الحديدى فى يدى . وإذا بالقيد ضيق يكاد يكسر معصى . وبحث عن قيود أخرى فلم يجد . أو على الأصح ادعى ضبط سجن الاستئناف ان ليس عندهم قيود . وعثر على قيود من التى توضع فى الأقدام ، ووضعها فى يدى . وكان كل من فى سجن الاستئناف من ضباط وجنود ومسجونين فى دهشة وذهول من هذه المعاملة التى ليس لها مثيل . . . وهمس فى اذننى لحد الضباط : اعفوه ! انه يريد أن يترقى على حسابك !

وتركنه . . يترقى !!

ثم صحبنى فى البوكسفورد الى ليان طره . وكانت هذه ثانى مرة أدخل فيها ليان طره . كانت المرة الاولى قبل القبض على بشهور . عندما ذهبت لإلقاء محاضرة بدعوة من وزير الداخلية ! يومها فرشوا لى الأرض بالزمل الأحمر . ووقف مدير مصلحة السجون ومدير الليان وكبار الضباط فى استقبال امبراطورى ! واتلموا لى سرادقا فخما تكلف ٢٠٠ جنيه وعزفت فيها بعد انهم اخذوه من طعام المسجونين !

والمرة الثالثة عندما دخلت مكبلا بالحديد ، ووضعوني في زنزانة الايراد وهي مخصصة لعاقبة المسجونين الذين يخالفون النظام . الزنزانة بلا نوافذ . مكانها جب . جلست على الارض بلا سجائر ولا ادوية ولا طعام جاء طبيب السجن وتكشّف على وقال ان حالتى الصحية سيئة ويجب نقلى الى مستشفى السجن فوراً . ولكنهم رفضوا هذا الامر وارسلوا طبيباً ثانياً ليكشف على وقال الطبيب الثانى بعد الكشف على كشفنا دقيقاً ان حالتى تسنوجب نقلى الى المستشفى فى الحال . ورفضوا قرار الطبيب الثانى وأودعوا طبيباً ثالثاً امر بدوره على نقلى الى المستشفى ورفضوا رايه هو الآخر ، وارسلوا لى لجنة طبية من ثلاثة اطباء قرروا نقلى فوراً ! ولكن امرهم هذا لم يتفدّ ايضاً .

فى الساعة الثالثة صباحاً شعرت بالأم لا يطلق فى عمودى الفقرى . لم استطع ان اجلس ولا أن ارقد . وبقي هذا الألم فى ظهرى أربعة أسابيع . ووقفت طول الوقت فى الزنزانة على قدمى . وفى الساعة الرابعة تصادف ان كان يمر الامير الاى عبد الله عمارة مدير الليمان . ونظر من ثقب الزنزانة فوجدنى واقفاً على قدمى . فأمر بفتح الزنزانة . فسألنى لماذا لا اجلس أو ارقد ؟ قلت اننى لا استطيع وان الأسفلت سبب لى آلاماً شديدة فى العمود الفقرى ، فأمر بادخال كرسى الى الزنزانة اجلس عليه . وجلست على الكرسى حتى الصباح .

ان المسجونين السياسيين فى دهشة من اصرار الحكومة على نقلى الى الليمان فى اليوم التالى للحكم . عادة لا ينقلون المحكوم عليه الا بعد أربعة أسابيع أو خمسة ثم انهم سمحوا لجميع المسجونين السياسيين باحضار ملابسهم واطعمتهم وادويتهم .. ولكن أنا الوحيدة الذى نلت امتياز هذه المعاملة السيئة !

الطعام الذى يقدم الى فى السجن لا تكله الكلاب ! ولكن الله لم يتخل عنى . فى كل يوم تمتد يد مجهولة تحمل لى طعاماً . ولهذا لم أمت من الجوع . أحد المسجونين خلع بقلته البيضاء واقترضها لى وبقي هو ببيلة زرقاء . مسجون ثان يصنع لى قهوة محسرة مذهشة . مسجون ثالث كان يحضر لى الصحف المتنوعة . مسجون

رابع أرسل لى كمية من السجائر . وكثيرون غيرهم يعرضون انفسهم للعتاب ويخاطرون ويغامرون . كان أعجب ما هناك اننى لم اكن اعرف من اين جاءت هذه الاشياء . كئن الارض انشقت وخرج منها هؤلاء الذين يقدمون لى كل ما أحقاج اليه .

سبق ان طلبت منك معليات لأطعمة السكر . وعدنى سعيد فريحة ان يرسل لى معليات .

أمس اكلت ريع فرخة من ماروق عبد القادر المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد . اليوم اكلت ريع فرخة أيضا من لبيب منولى . المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد أيضا ! ان الله يفرجها من حيث لا تتنظر طلبت من اسرتى ان تحضر لى ملابس فى الزيارة فى كيس كبير من التروكلين ، كما أوصائى زملائى المسجونون . أخذت الكيس وأعطيته لخياط السجن لعمل بذلة . علم مدير السجن بذلك ، فأمر بعد تسليم هذه البيجاما لانها مصنوعة من الحرير ، والأوامر ان ارتدى الدمور ! ولكن كثيرين من المسجونين يرتدون التروكلين . نعم هؤلاء مسجونون عاديون قطة او سفاحون او تجار مخدرات مسموح لهم بارتداء التروكلين . . اما انت همسجون سياسى لا ترتدى الا الدمور !



حماده الناحل : ان الجوى يقول انه
سيملى لكل محلم عشر دقائق للدفاع !

مخراطة الصغار

مسجن ليمان طره

عزيزتى

لا اعرف هل ستحققك هذه الرسالة قبل الزيارة ام لا . ولكنى اردت ان اسجل فيها بأسرع ما يمكن الأشياء التى أرجو احضارها فى الزيارة ، وهى ترموس للثلج ، ومقص للأظافر ، وكوز بلاستيك ، وكمتراية للنور ، وملابسة لقلبى البينى ، وشوكة ، والقلم الحبر . عجيب ان يكون آخر ما اطلبه هو القلم الحبر . مع اننى احتاج الى هذا القلم قبل الطعام والملابس ! ذلك اننى أخشى ألا تستطيعى تهريبه أثناء الزيارة . اننى اكتب منذ ان دخلت الليمان بقلم سلف ! أول مرة فى حياتى اعيش على السلف . انه ذل ما بعده ذل . ولكنى مضطرب فى الشهور الأولى من دخول المسجن ان اقترض من زملاي المسجونين كل شيء . ان القاعدة فى المسجن انه عندما يأتى مسجون جديد ان يهب زملاؤه لنجدته ، هذا يقرضه صابونة ! وآخر يقرضه علبة سجائر وثالث يقرضه غمالة ورابع يقرضه بذلة . وذلك حتى يدبر نفسه مع مرور الايام . وانا حين لعشرات المسجونين . انهم فقراء وكرماء . محرومون من أبسط ضرورات الحياة ومع ذلك يغفروننى بنىخ من الحب والحنان . اننى فى دهشة من أن خطابائى لا تصلكم ! بدا الفار يلعب فى عبي . ولكنى أؤمن باخلاص الذين يهربون لى الخطابات . لايد أنهم يحتاملون لانفسهم ويتخذون تدابير أمن لكيلا ينكشف أمرهم . أرجو أن احصل فى الزيارة على احصاء بعدد الخطابات التى وصلت لكم . انا اعرف انه اذا لم تلحقك هذه الرسالة فسوف تحضرين الأشياء التى طلبتها الآن مع ذلك . اريد هودتى قلبك ان يشعر بما اريد قبل ان ينطق به لسألى . لقد نسيت ان اشكرك على طبق الباذنجان المسقعة الذى احضرتة فى الزيارة الأخيرة . ما الذى المسقعة بعد اسبوعين من الفول المدمس !

الغريب إننى لم اطلب المصقعة . فوجئت بها لأنك تقرئين أفكارى باستمرار عجيب . ونسيت أن أشكرك على السجائر البلمونت التى كنت فى حاجة اليها فعلا . ان لاسلكى القلوب بين قلبك وقلبي يحيرنى . اننى لا اكاد افكر فى شيء اطلبه منك حتى أجده أمامى . كأننى ادعك خاتم سليمان . اننى أشعر كل يوم بأن أحيائى وأصدقائى وتلاميذى وقرائى بجانبى . فى كل يوم يزدادون قربا منى . وكلما تصورت ان الارهاب والظروف القاسية والبطش ستمزق هذه الروابط الحلوة ، اناجأ بأن اهتمامهم بى وعطفهم على يزداد ويتضاعف . لقد لاحظت قبل أن ادخل السجن أن الفراشة الصفار كانوا يطاردون الصداقة والمروءة والشهامة والوفاء والحب باعتبارها من أعداء الثورة وأعداء الاشتراكية وأعداء النظام ! كانوا يرون خطرا عليهم فى كل علاقة حلوة أو زمالة جميلة أو صداقة مثينة . كانوا يتوهمون ان لا حياة لهم الا فى جو من الحقد والكراهية والفرد . وإذا كانوا نجحوا فى اقتلاع كل الأشجار ، فانهم لم يصلوا الى الجذور . الذى أراه فى محنتى أنه ما يزال فى البلد صداقة ومروءة وشهامة ووفاء وحب . كل ما حدث أن الناس يفعلون ذلك سرا ، لأنهم يعرفون أنهم يرتكبون جريمة !

ان حرمانى من الحرية طوال هذه المدة لا يساوى حرمانى من حب الناس . اننى أفضل أن أفقد حريتى ولا أفقد هذا الحب . وإذا كان القدر سلبنى حريتى ، فانه أبقي حب الناس لى ، برغم كل حملات التشهير والكذب والافتراء ضدى . وهذا شيء أحمد الله عليه وأشكره وأقدره . ان خمسة عشر يوما كثيرا ما غيرت الناس . ولكن هذه الخمسة عشر شهرا القاسية المريعة لم تغيرهم . بل على العكس ربطتنا أكثر . وملأت قلوبنا بالحب والايمن أكثر . وأنا لم أشعر بكل هذا الحب وأنا خارج السجن . وكان لابد من قارعة حتى يخرج من قلوب الناس ما أخفوه من فضائل ! أنا أعثر الخائفين فى دنيا الرعب . أعثر الذين يشتبهون لأننى أعرف أنهم إما أن يجرحونى أو أن يموتوا من الجوع . واننى أفضل أن يسيلوا دمي بأفلامهم على أن يموتوا هم وأولادهم من الجوع . أنا لا ألوم الذى يشتبهنى . وإنما ألوم الذى أصدر الأمر لهم بأن يشتبهونى ويلعنونى وهو يعلم بأننى بريء !

أخشى أن يرفقوا مدير الليمان . لقد سمح لى بالتسرح على التلفزيون مرتين . من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الخامسة شاهدت مباراة الترساة والطيران . وفي المساء تفرجت على مباراة الزمالك والاسماعيلي . وبعد ذلك على فصل من مسرحية الريحاني . ولأول مرة منذ ١٥ شهرا سهرت خارج الزنزانة الى منتصف الليل . وقد كان هذا شيئا غريبا ومثرا بالنسبة لى . ان ابواب الزنزانة كانت تغلق ٢٢ ساعة كل يوم ! ماذا حدث ؟ هل هى اوامر جديدة بتخفيض القيود ؟ من الذى أصدرها ؟ لا يمكن ان تكون اوامر « من فوق » ! انا اعرف ان الاوامر القاسية بتشديد المعاملة تجيء عادة من فوق ! قال لى أحد الضباط ان المدير اخذ هذا التصرف على مسؤوليته بعد ان قال اطباء السجن بان صحتى فى انهيار نتيجة اغلاق باب الزنزانة ٢٢ ساعة كل يوم ! آه لو عرف ولاة الأمور ان مدير الليمان شجاع ! المعروف ان الجبن هو سيد الاخلاق فى هذه الأيام ، والرجل الشجاع لا مكان له فى الطابور . ربنا يستر حتى لا يعلم ولاة الأمور باننى تفرجت على التلفزيون مرتين فى يوم واحد ، واننى عوملت نفس معاملة القتلة واللصوص وتجار المخدرات !

لم يؤثر السجن لمدة خمسة عشر شهرا على ايمائى بالمستقبل . ان ايمائى صمد للأيام وسوف يهزم السنين . فات من الحكم سنة وربع . . باق ٢٣ سنة وثلاثة ارباع السنة ! بسيطة ! سوف اقاوم . سوف انتصر على الازمات . لن اضيع فى الاحداث . لن يتطرق الياس الى قلبى . لن يحطمنى القلق . على العكس سوف احطم القلق واليأس . اننى اقاوم كل هذا بالايمن . لا اتصور ان الأيام المقبلة سوف تكون أسوأ من الأيام الماضية . اننى اشعر باننى شيدت عمارة ايمائى طوية طوية . وقد أصبحت الآن قلعة صابدة تتحطم عليها السهام ، وتتكرر الضربات . اننى اليوم أعيش فى زنزانة ضيقة . ايمائى بالله يجعلنى أرى الزنزانة تكبر وتتسع حتى تصبح قصرا من قصور الف ليلة . ان الزنزانة تتحول الى قصر لان الله يقيم معنى فيها ! اننى أعيش فى قصور الأيام القادمة . أيام حرية . أيام ربيع دائم . لا رعد فيعولا هواصف . انا لا أعيش فى ضباب الوهم ، ولا اتوه فى ظلال التهنيات . ان ايمائى يضىء لى الطريق بالنور . المؤمن فى داخلى يرى ضوء الفجر . يكاد يلامسه بأصابعه .

اننى أشبه بحفنة من الرمال ترقب الريح لحملها الى فوق ، لنطلق
بها الى أبعاد جديدة من الحرية . اننى لا أشعر اننى أنخبط . اننى
أسمع صوتا فى أعماقى يؤكد أن هذا الحال الذى يعيش فيه البلد
لن يدوم . انه ضد المنطق . ضد الحسابات العلية . قد يستمر
شهورا أخرى . أو بضع سنوات . ولكن لن يستمر الى الأبد والذين
حكموا على بالأشغال الشاقة « المؤبدة » ساذجون لا يعرفون
أن الأبد لا يملكه الا الله . لا يعرفون أن الحكم المطلق أشبه ببيت
من ورق اللعب . لا تكاد نهب عليه الريح حتى ينهار ! أى انسان
يعرف ألف باء السياسة سوف يعمل الى نتيجة مؤكدة بأن هذا
الحال لا يمكن أن يستمر . مما يؤسف له أن المعلمين لا يشغلون
الآن بالسياسة . انهم اما فى السجون . أو على الرف . أو يندفلزون
قرارات بوضعهم فى السجون !

اننى مؤمن بأن هذا الشعب لا يمكن أن يبدن فى زنزانة . سبجىء
اليوم الذى تحطم فيه السلاسل والقضبان وتفتح أبواب السجون
والمعتلات . هذا الايمان يسعدنى ، ويخفف عذاب الحرمان من
الحرية ، ويجعل الصبر جبارا عملاقا ، يدوس فى طريقه اقتسام
الياس والقنوط . ان أحلامى للحرية لا حد لها . انها تكبر مع الضربات
التي تنهال فوق رأسى ولا تتناقص ولا تتكثس . ان الغد مشرق .
أخاذ متجدد . مريح وهنىء . مفروش بالورد الجميل . لا غيوم
ولا برق . كأنه يقطر حلوة بعد كابوس مخيف . ان أحلام الحرية
ترقص أمامى من بعيد . اننى أسمع اقتراب اقداها . ان صوت
دبيبها يتجاوب مع خفقات قلبى . ان مرارة الواقع لا تنسى حلوة
الغد . كل يوم يجيء يقربنى من الحرية ولا يبعدنى عن الاستبداد .
لا أرى شعب بلدى أبدا فى سلاسل دائمة . اننى أتوقع أن يجيء يوم
يزف فيه الى الحرية . زفافه دائم وفرحة لا تنتهى . ان عقلى هو
للحسان الذى أركبه حوامره لا تسعفى ، وإيمانى يجعل له أجنحة ،
يطير بها الى الحرية ! ان الذى بينى وبين حرية شعبنا هو وثيقة
غير مكتوبة ، ولكنها أبقي على الأيام من كل ورق مكتوب . وثيقة
خارجة ، لا تبرد أبدا . لا يحف حبرها . لا تموت كلماتها . حروفها
تنطق وتغنى وتصلى . وثقلا خيالى الباردة داخل الزنزانة ، نفسا
وثقة وتصنيما وإيمالا .

ان كل شيء حولي منكم . يحمل لسانكم . فبه رانحتكم . يحدثني
عنكم وبذئرتني بكم . حتى الخوب الذي اشرب فيه . السيجاره التي
ادخنها . ملاءه السرير التي انام عليها . الفوطه التي امسح بها
وجهي . حتى ورق البواليت ! اتنى القاكم في كل جريده اقرؤها .
في كل كلب امسك به . في كل طعام اذوقه . انفاسكم معي في كل
شيء . معي في الزنزانه . في الطابور . في المستشفى . في الحسام
والبقظه . هذا يجعل ايامي الخالية مهلوه ، ولحظاتي الحزينه
الفاسية والوحده مليئه بالامل .

ان الله معنا !

تحدى الظالم عبادة

ليمان طره

٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٦

عزيزتى

يظهر أن صديقتى سعيدة فريحة تصور أن عندى فى الزنزانة فريجينير وبوتاجاز ! لأنه أرسل معلبات أطعمة تحتاج الى التسخين والتبريد ! أن حياتنا هنا بدائية . ويجب أن ترسل لنا الأطعمة الخاصة بسكان الصحراء التى لا تحتاج الى تبريد أو تسخين !

علمت أنه ممكن أن يكتب لى أخى مباشرة على عنوانى فى السجن . لا يوجد تقييد على عدد الخطابات التى ألقاها فى السجن . الخطابات المحددة بخطابين فى الشهر هى التى أرسلها من السجن . وهكذا . أستطيع أن أعرف أخبار على مرة كل أسبوع ، بدلا من عذاب انتظار شهر كامل حتى أعرف أخباره يوم الزيارة .

على الرغم من أننى محروم من التمتع بامتيازات المسجون العادى إلا أننى أحمد الله على أن حياتى تجسنت عن الفترة الأولى فى الليمان . تنقصنى أشياء كثيرة بطبيعة الحال . مثلا الحياة مؤلمة بدون ساعة . وبدأت أعلم نفسى كيف تكون الحياة بدون ساعة ! فإذا سمعت القرآن فى إذاعة السجن فى الصباح بمعنى ذلك أن الساعة السادسة وخمس دقائق ، وإذا سمعت صوت سبابة صادق فى برنامج صباح الخير بمعنى ذلك أنها الساعة وخمس دقائق ! وهكذا أفرق الساعة من برنامج الاذاعة المنشور فى الصحف . بهذا توقفت الاذاعة هرمت الساعة بالاستنتاج . إلا إذا وجدت . لقد الحراس ومعه ساعة ، وهذا أمر نادر جدا .

انهم يطفئون الانوار في الساعة الثامنة مساء ، ثم أصبحوا يطفئونها في الساعة التاسعة . أردت ان اعود نفسى على النوم المبكر والاستيقاظ المبكر . نموت الآن ان اكتب واقرا على نور الفجر ، اقتضت شبعة وانتهدت . أرجو ان ترسلنى لى شبعة . وبذلك أوفر الكبريت الذى اضعله كلما أردت ان أعرف طريقى في الظلام . الترموس الذى اهدته لى فانتن حمامه حل لى مشكلة الثلج . أصبحت أستطيع ان أتناول انطاري وغذائى في الساعة التى أريدها . لا في الساعة التى يجيء فيها الثلج . وأصبحت مستعدة للطوارئ في حالة عدم وصول ثلج في أحد الأيام . وأنا كما تعرفين اعتبر الثلج إحدى لذات الحياة . والثلج عندي يعتبر هو الفارق بين الحضارة والتأخر ! وكانت مشكلة القهوة في وقت من الاوقات مشكلة عويصة . قبل السجن كنت أشرب ١٧ فنجان قهوة كل يوم . الآن اكتفى بفنجان واحد تبرع به أحد الزملاء المسجونين ! أصبح البيض المقلى معقولا ، بسبب طبق البيض المساج . كان البيض يجيء دائما أشبه بالمجة أو الأومليت أو أى شيء آخر الا البيض المقلى . هربنا الزبد الى داخل السجن ، ونجوت من طعم البيض بالزيت !

بدأت أشعر بالبرد داخل الزنزانة . النوافذ بلا زجاج ولا شيش . استطعت ان أركب شباكا من الورق المقوى في إحدى نوافذ زنزانتى . وسوف أحاول ان أركب شباكا آخر في الناحية الأخرى فوق باب الزنزانة . لا يزال البرد يدخل من القضبان الحديدية . الوحدة والسجن يزيدان برودة الزنزانة . المفروض ان يدخل التسييم العليل من الشبك المفتوح ، ولكن حرارة التسييم بدأت تنخفض وأصبح كالرصاصة ! حلت مشكلة الوسادة القاسية التى صرفوها لى . حولتها الى ثلاث وسادات . وسادة أمام عليها . ووسادتان أضعتهما بجوار جدار الزنزانة القاسى لأخفف من برودة الجدار !

كانت من مشاكلى الكبرى مشكلة الغسيل والمكوى . لمي نسيت ان نطعننى كيف أغسل الملابس وأكويها . كان يجب ان أتعلم هاتين الصناعتين ما قمت بد قررت الاشتغال بالمصحافة ! تعلمت بمسجون محكوم عليه بالاشتغال الشاقة في حانك قتل من أجل بقرة . ولكن لم يكن الغسيل يرضيني . حاولت ان أغسل ملابسى وأكويها ، ففشلنت فشلا ذريعا على الرغم من ان الدكتور محمد صلاح اللعين

وزير الخارجية السابق الذى حكم عليه الدجوى بالاضغلال الشاقة المؤبدة جعلوه يعمل مكوجيا داخل الليمان ! وجدت اخيرا مسجوننا محكوما عليه بالقتل من لجل الثار يتولى غسل ملابسى ، ووجدت مسجوننا محكوما عليه بالمؤبد لانه قتل حماته يتولى مهمة المكوجى ! ادفع فى الغسيل علبه سجائر بلومنت ، وفى المكوى علبه سجائر بلومنت ، مسجون فلسطينى تبرع بان يصنع لى البيض المقللى ويسخن لى الطعام . ومسجون اسمه محمد يحضر فى الصباح وينظف ارض الزنزانة ويغسلها ، ويغير الماء فى الجردل ، ويفرغ جردل البول ، ويغسل الاطباق ويكسر لوح النلج ليدخل فى الثرموس . وهكذا تحولت الزنزانة الى قصر ضيق فيه خدم وحشم وحاشية ! والذين يقومون بهذه المهام كلها هم من اصدقاءى المسجونين الذين يعملون على بسبب امراضى وسنى ! آه لو علمت الحكومة بطيبة الناس مسمى ، لعلقوهم فى المشائق . ولكنى احرس على الا يعرف كل مسجون ما يعمله الآخر ، لضمان السرية والكتمان ! اننى افضل ان ارتب لمراشى واعده بنفسى . وقد اصبح النوم فوق ملاءة ، والغطاء بملاءة وبطانية ، ووضع الرأس على كيس وسادة رغاوية رائعة كنت محروما منها اسابيع طويلة ! واستعمل ورق الجرائد على المائدة بدل المفروش ، واستعمل علب الكرتون بدل الدواليب والادراج ، وكلما اتطلع الى السجائر الكثيرة التى هربها اصدقائى لى اذكر ايامى الاولى فى الليمان عندما كنت فى فزع من تصور الحياة بدون سجائر ، وكنت احيانا افطع السيجارة الواحدة الى نصفين لتكفينى . . . وحدث فى ايام ان انتهت السجائر ورحت ابحث فى ارض الزنزانة عن أعقاب سجائر كنت اقيها على الأرض ودستها يقدسى ، فاعود والتقطها من الأرض ، وأحاول اشعالها من جديد فقد أجد فيها نفسا أو نفسين ! شاء الله ان تنتهى هذه المحنة بفضلك وفضل اصدقائى كنت أشعر بخجل شديد عندما اقترض مقص الاظافر من زميل . ان اظافرى تنسخ بسرعة بسبب كثرة الصحف التى اتصفحها ورداءة الحبر ، ولكن الحمد لله نجحنا فى تهريب مقص اظافر ، وهو يعتبر فى الليمان من الأسلحة الفتاكة المنسوعة ، واصبحت أستطيع ان اقص اظافرى . كما شاء . ان بعض الناس يتصورون ان السجن هو لحقظ الحرمان من الحرية . انه الحرمان من أبسط ضرورات الحياة . انه التحكم فى ممالك وفى مشربك وفى قراءاتك وفى خطواتك . الحرية الوحيدة المباحة هى حرية الأحلام !

ان اخبار السجن الحربى تقول انهم يتحكمون الآن فى عبادة المسجونين
وفى صلواتهم . انهم يمنعونهم من الاحتفاظ بالقرآن ا ولهذا اجد
متعة فى مقاومة هذه التعليمات الصارمة . اشعر عندما اهرب خطابا
اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اشرب فتجانا من القهوة اننى
اتحدى الظالم . اشعر عندما اتحدث مع زميل لى اننى اتحدى الظالم
واذا كانوا يقولون ان نوم الظالم عبادة ، فان تحدى الظالم فى رأى
هوا عبادة ايضا . واذا كان الامر كذلك فاننى اعبد الله ليل نهار ،
لاننى احاول ان اخالف الاوامر والتعليمات الظالمة بالليل والنهار ا
اننى لم ارتكب اثما وحكموا على بالسجن المؤبد ، وهانذا الآن ارتكب
يوميا جرائم مخالفة تعليمات وزير الداخلية ، كائننى اسحب من رصيد
براحتى من بنوك الظالمين ا

وكل ما آسف له الآن ان النور ينطفىء فى زنزانتى الساعة التاسعة
مساء . . فلا اقرأ اكثر مما اقرأ ، ولا اكتب اكثر مما اكتب . . بدأت
اكتب قصة مطولة ، وكتبت منها أربع صفحات . القصة عن حياتنا
ونحن اطفال . وهذا يعود بى الى أيام طفولتى ، واحاول ان استجمع
الأحداث التى وقعت أيامها . لمست أعرف ما الذى يجعلنى اذهب
الى أيام طفولتى ؟ هل أنا اهرب من الحاضر . هل أريد ان اكتب
عن الأيام التى كان يقطنها فيها الانجليز ، ولا أريد ان اتحدث عن
الأيام التى أصبح فيها المصريون يقتلون المصريين . هل يعز على
ان انسب الى مصريين الجرائم التى رأيتها بعينى ترتكب ، والفظائع
التي شاهدتها تحدث ، ورأيت ان انسبها للأجانبى حتى لا الوث بها
تاريخ أبناء وطنى ؟ ان تاريخ مصر يجب ان يكتب من الآخر ،
ولكن قلبى لا يطاوعنى ، ولهذا احاول ان اكتبه من الاول ا

كنت اتصور اننى أستطيع ان اكتب هنا عشرات الكتب . حتى
الآن لم انتظم وقتى .

كنت احتاج بعدم وجود مائدة اكتب عليها . الآن صرح لى الأطباء
بمائدة . ثم اعتذر لنفسى بأن تلموى الحبر ليس ممت . والآن لا حجة
لى بعد ان هربت قلبنى الحبر . لم يبق الا ان اطلب بلكوت كبير ا
حتى اخدع نفسى بأن ليس لدى الورق الكافى للكتابة . ان فى رأسى
عشرات الموضوعات تصلح قصصا . فكرت فى اول الامر ان اكتب
قصصا قصيرة ، ولكنى رأيت ان وجوبى فى السجن فرصة ذهبية .

لكتابة قصص طويلة . لأن القصص الطويلة تعيش أكثر مما تعيش القصص القصيرة . ويمكن أن تتحول الى افلام في يوم من الايام . ولقد فكرت ان اكتب تاريخ بلادي في شكل قصص غرامية ، ليقرأها الجيل الجديد الذي يجهل تاريخ بلاده الحقيقي ، والذي صدرت الأوامر بتشويه تاريخه وتشويه رجاله وابطاله حتى يخلو تاريخ مصر من الرجال والأبطال . وستكون هذه القصص نوعا من المقاومة . منشورات ضد الظالمين . ردا على افتراءات مؤرخي السلطة على تاريخ مصر الحقيقي .

وفكرت أيضا في ان اكتب قصة حياتي بصراحة كاملة . ولكن هذه القصة تحتاج الى مراجع ، ولا أستطيع ان اكتبها معتمدا على الذاكرة وحدها . ان هذا يقتضى ان اتردد باستمرار على دار الكتب ، او على مكتبة اخبار اليوم وعلى لرشيف اخبار اليوم وعلى مذكرات مسعد زغلول ، وارجع الى الصحف والمجلات القديمة التي كتبت فيها .

انها احلام كبيرة والعمر قصير . . ومع ذلك فسوف اكتب واكتب واكتب . .

اريد ان اموت والقلم في يدي ا

تفريجه على تسيع جنازتي

مسجن ليمان طوره

٦ نوفمبر سنة ١٩٦٦

صديقتي العزيزة

قبل ان اسجن بسنوات ، كنت احيانا اجلس وحدى افكر في اللامعقول ا افكر مثلاً في ان اسافر الى بلد بعيد ، ثم اربط حادنا ازمع انه وقع لى ، وانشر في الصحف ووكالات الانباء اننى قتلت في هذا الحادث ، وان جنتى اخفنت في قاع المحيط . . ولم يبق سوى ملابسى وجواز سفرى !

ثم اجلس في جزيرة مجهولة اترج على ما سوف يحدث بعد وفاتى . الذين سيبكون والذين يهللون . ماذا ستقول الصحف بعد وفاتى . ماذا سيفعل اصحقتى وقرائى .

ما هى القصص المختلفة والاقوال المخترعة التى سوف ينسبونها الى بعد وفاتى ؟ ويظهر ان ابواب السماء كانت مفتوحة وأنا يخطر برأسى هذا الخيال المجنون . وتهمتت الفكرة مع فاروق واحد « وهو اننى دفنت في قبر مملا وأنا ما زلت على قيد الحياة ! واسمع اصوات الذين يقفون حول القبر وانتبع مناقشاتهم . ولا يستطيع صونى ان يخرج من القبر ليشارك في المناقشة . ولم اكن اتخيل ان أغلبية الناس العظمى هى من الناس الطيبين . اننى اسمع من داخل قبرى زفراتهم وتهذاتهم . ولا يستطيع ان اطل برأسى من تحت الدراب لاشكرهم . ولا يوجد احد من اعالى الفقيد يتقبل المعزاء بالنيابة عن أسرة المرحوم ا ولست افكر اننى استمتع احيانا بهذه التجربة الفريدة . ولكنى اشعر بعذاب الذين تركتهم خارج القبر ، يتعذبون اكثر منى أنا الذى فى داخل القبر .

أشعر أحيانا بأننى مثل أهل الكهف الذين بقوا فى داخله ٣٠٠ سنة مع فارق واحد أن أهل الكهف كانوا ثلاثة أو أكثر ، وأنا أعيش وحدى فى سجن انفرادى . وليس معى كلب كاهل الكهف !! واكذب عليك اذا قلت اننى أشعر دائما بأننى وحدى داخل الكهف . اننى أحس فى كثير من الأوقات أن الذين يحبوننى معى داخل هذا السكف .

وهكذا لا أشعر بالوحدة أبدا . احساسى ببراءتى ، وإيمائى بالخصبات التى قدمتها لبلدى يجعلنى لا أحس بتعاسة . لا أظن أن المسيح كان تعسا وهو مصلوب على الصليب . بل لعله كان سعيدا بأن مسئولية خلاص هذا العالم سوف يحملها عنه آخرون !

اننى أشعر بأننى خدمت بلادى وثورة بلادى وشعب بلادى بأكثر من جهدى ، وأكثر من عمرى ، وبكل ما فى من دم وفكر وعرق وأعصاب . وعندما أمسك بيدي الصحف والمجلات التى أصدرتها أو اشتركت فى إصدارها ، أشعر بعزاء أن القلاع التى بنيتها لا تزال قائمة فى مصر وفى خارج مصر . . وعندما أرى أسماء تلاميذى تحتل الصفحات الأولى من صحف بلادى والبلاد العربية أحس بهائى ومخزى . وعندما أسمع أم كلثوم تغنى « مصر التى أحبها » أتذكر أن كلمات هذه الأغنية التى يرددها الملايين كتبها نثرا لأم كلثوم وحولها أحمد رامى شعرا . وأن قصيدة سلوا قلبى أو رباعيات الخيام أو السودان أنا الذى اخترت . لأم كلثوم أبياتها ، وأن قصيدة البهيمية اشتركت فى اختيار أبياتها ، وأنا الذى غيرت موسيقاها ، ووضعت مقطع دقات الدفوف فى بداية الأغنية وكان رياض السنباطى قد وضعها فى منتصفها . واتذكر أن فكرة أغنية السد العالى التى لحنها كمال الطويل . وعبد الحليم حافظ بدأت فى بيتى ، من أسطوانة أجنبية كانت عندى .

وهكذا ترين اننى كلما قرأت جريدة ، أو سمعت الراديو ، وجدت أن آثارى لا تزال على قيد الحياة لم تغفن معى . وهذا الشعور يبعثنى كثيرا . الذين يموتون هم الذين تموت آثارهم . وهكذا ترين أن الذين وضعونى فى القبر عجزوا عن أن يسدوا منفاذ النور . اننى أرغب نفسى فى جراب الظلال . . ضباب الزمن لم يغطها ، ولم يخف صورتى تحت التراب . . تراب الزمن !

كانت حياتي مرجيحة . ثعلو وتهبط . ترتفع وتنزل . ولم يكن
يهمنى الارتفاع او الهبوط ، كل الذى يهمنى ان الأرجوحة لا تزال
تتحرك . وليس عندي الآن وقت لاتعذب واتالم واتوجع واحترق .
اننى اخصص وقتى لأقرأ وأكتب . لأتذكر وأحلم . وبين ذكرياتى
واحلامى امضى أغلب أيامى .

يقول مثل صينى « انك لا تستطيع ان تمنع طيور الهم والغم من
ان تحلق فوق رأسك ، ولكن تستطيع على الأقل ان تمنعها من ان
تعشش داخل دماغك » ! ولا أستطيع ان أنكر ان الهم والغم لم
يحاولا ان يعيشا فى رأسى او يستقرا فى دماغى ..

ولكن زوحى لم تستسلم . ان رأسى ملئ بالذكريات الحلوة
والاحلام التى هى أحلى من الذكريات . وهى تتحرك بسرعة شريط
سينمائى فى فيلم سريع ، ولهذا فان حركة رأسى المستمرة تمنع
طيور الهم والياس ، وخفافيش الهم والظلام من ان تعيش
فيه .

اننى احيانا اسخر من المظالم : اننى مثلا تفرجت على تشييع
جنازتى . فقد أرادت الحكومة ان تجعل من الحكم على جنازة
رسمية . اشتركت فيها الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وكان
المفروض ان ينشر نعيى فى صفحة الوفيات ، ولكن الحكومة نهت
على الصحف ان تنشر النبا بالعناوين العريضة على ثمانية اعمدة
فى الصفحة الاولى . وكان المفروض ان يكون الماتم ليلة واحدة ،
ولكن الماتم استمر أربعين يوما . فى كل يوم تكتب الصحف عنى
وتهاجمنى وتلعننى وتشتمنى ! وكذلك تعليقات محطة الاذاعة
والتلفزيون . كل ذلك ليقاكد الناس اننى مت ، ودفنت ، ولن أخرج
من القبر الى الابد !

ولكن الذين رسموا خطة الجنازة والدفن والماتم ، نسوا ان
الله قادر على ان يحيى الموتى . وقادر على ان يجىء فى أى وقت
بיום قيامة جديد !

وانا اؤمن بأنه لابد ان تقوم القيامة فى مصر ، واذا كان ظهور
المسيح الدجال من عمليات الساعة ، فان الدجل الذى لاحظته

في سيلستنا وفي تصرغانفا ، وفي عمليات الارهاب المستمرة ، وفي
الاعتقالات ، وفي التفتيات وفي حكم الفرد كل هذا من علامات الساعة
التي تؤكد أنه لابد أن يجيء يوم يخرج فيه الموتى من القبور التي
حكم عليهم الدجوى ان يبقوا فيها الى الأبد !

من الطرائف التي حدثت لي أنهم يرسمون لوحات على جدران
القبر الذي فيه زنازين المسجونين السياسيين . وطلب منى مأمور
السجن أن أفكر في موضوعات لوحات صور يرسمها المسجونون
على الجدران لتزينها !

قلت لهم : اننى لا أنصور أن المسجون يزين السلاسل التي
تقيده بها !

واعتفرت عن تقديم افكار لتزيين القبر !

علقت على جدار زنزانتى مرآة صغيرة بحجم الكف . وهى مرآة
حقيرة جدا ، ومع ذلك استطعت أن أرى فيها وجهى لأول مرة
منذ شهور طويلة . لم اكن استطيع أن أرى وجهى الا في نافذة غرفة
الضابط . فهو الوحيد في العنبر الذى يوجد زجاج في نافذته .

عندما رايت وجهى في المرآة لطماننت . . اننى لم لتغير . ان
الشعر الأبيض زاد في رأسى . لا ازال أحفظك بابتسامتى وحيويتى
رغم الأحوال التي تعرضت لها . لا أظن أن المرآة تخدعنى . أنا
أشعر بأن قلبى لا يزال شابا . روحى مليئة بالحياة . الأمل يملأ
نفسى . كل هذا من علامات المشيطة .



ساقول المدجوى ان السفير المصرى فى امريكا اختارى للدفاع عن كرامه
الجيش المصرى فى ٢٤ محطة اذاعة وتليفزيون امريكى ، عندما ظهرت
صور المدجوى فى التليفزيون - يستسلم وهو قائد غزة الجيش الاسرائيلى
سنة ١٩٥٦ ويشكر الجيش الاسرائيلى على انسانيته !

الترابح أساس الملك!

ليمان طره

نومبر سنة ١٩٦٦

صديقي العزيز ...

الساعة الآن قبل السادسة صباحا . لأول مرة اسمع صوت العصافير في النافذة ، وكأنها تقول لي صباح الخير . لم اسمع صوت العصافير تغني سوى صباح اليوم . لست أعرف هل هي تغني أم تبكي ؟ تغني لنا أم تبكي علينا ؟ قلبي يحدثني بأنها تغني . أنها تحبل لي من خارج السجن كلاما واحلاما واماني ودعوات . ربما كانت تغني كل صباح ولم ألتفت لغنائها سوى اليوم . انني كنت في سجن المخابرات اسمع في الصباح صوت أم قويق . لست أعرف هل هي أم قويق حقيقة ، أم انهم يطلقون أصوات البوم كجزء من وسائل التعذيب . ما اعظم الفرق بين الغربان والعصافير . أو لعل هذا هو الفرق بين السجن الأول والسجن الأخير . لنا اسمع صوت عربات النقل القادمة من حلوان ، أو المنجحة الى حلوان . صوت ديك يصيح . ديبب اقدام تمشي . بدأت القاهرة تفتح عينيها وتستيقظ . ولكن السجن لا يزال نائما . انني انتهر فرصة نوم السجن لاكتب اليك في هذا الهدوء . ان لون الفجر يخترق الستارة المعلقة على النافذة . ضوء النهار لم يدخل بعد . ولهذا انا اكتب على ضوء شمعة . بعد لحظات سوف تمشي الاحذية الثقيلة فوق ارض السجن . معنى ذلك ان حراس الصباح وصلوا . في كل لحظة تتوقع صوت المفتاح الكبير وهو يدخل في ثقب الباب ، ويدخل وراءه حارس ، وأحيانا ثلاثة حراس ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول ، وقلبون الزنزانة رأسا على عقب بحثا عن ممنوعات . كل ما رتبته في الليل يتخبط في النهار . كل شيء نقلبونه ويعبثون به . في بعض الأحيان يجيء حراس مؤذبون يحرصون بقدر جهدهم على ان يعيدوا الملابس كما كانت بعد تفتيشها

آخرون يشبهون دخول الثور في متحف الخزف . غيرهم أشبهه بجيش الجراد عندما يهاجم حقلا من المزروعات . المنوعات على الشاي . ومنذ أن علمت أنه ممنوع اضريت عن شرب الشاي . والسكر وأنا ليس عندي سكر لأننى مريض بالسكر . والحشيش وأنا احمد الله على أننى لم أخفنه أبدا . ولكن أخطر المنوعات هو اللورق والقلم . وأنا أخفيهما عند مسجون يبعد عنى ١٣ زنزانة . مسجون غير سياسى يجهل القراءة والكتابة ، ولهذا لا يهتم أحد بالبحث عنده عن ورق وقلم !

من المنوعات أيضا الصور الجميلة في الصحف والمجلات . فإذا رأى الضابط صورة لفتاة جميلة ترتدى المايوه في صفحة كمال الملاخ بالأهرام قطع الصورة !

بدأ المسجونون يتجراون ويدخلون زنزانتى . فى الزنزانة متعبد واحد . أحيانا أجلس على السرير . ويجلس اثنان على طرف السرير . على المقعد يجلس مسجونان ، ثم يجلس البعض على السجادة المروثة على الأرض . وهكذا تتحول الزنزانة التى عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار الى « بيت الامة » !

السجن فى بعض الأحيان يحبس الأفكار . فتصبح الأفكار متكررة كأيام السجن . تسبح الحكاية الواحدة عشرات المرات . المسجون ينسى أنه قال لك حكايته فيعيد تلاوتها . من جديد . أنا أحرص على أن أتكلم مع كل زميل من زملائى . أقسم وقتى عليهم جميعا . أصبحت أحفظ كل قضية من ظهر غلب . ما أكثر المظلومين هنا . ان أشنع ما يصيب أمة أن يضيع العدل فيها . كان العدل أساس الملك فأصبح الكرياح هو أساس الملك . كان الحاكم راعيا ثم أصبح جزارا . كان الاشراف يضمنون المجرمين فى السجن ، وأصبح الآن المجرمون هم الذين يضمنون الاشراف فى السجن ! كانوا يضربون المثل بعدالة القضاء المصرى . والآن يقربون المثل بظلم محكمة الجوى ! كان القانون سيذا والحاكم خادما ، فأصبح الحاكم سيذا والقانون خادما ! القصص التى أسمعها هنا من انتهاك العدالة والعيب يلفتون تذكرنى بقصص محاكم التفتيش .

اعتاد زوار المسجونين السياسيين أن يحملوا لهم أخبارا مع
الاطعمة في الزيارة . أغلب الأخبار تقسم بالطلاق أن الفرج قريب .
الاهالي يحاولون أن يكذبوا على اقاربهم المسجونين ليخففوا عنهم
آلام السجن . من سوء حظي أنني بحكم مهنتي كمصحف أستطيع
أن أفرق بين الخبر الصحيح وبين الإشاعة الكاذبة . ثم أن اتصالى
مع نلاميذى خارج السجن تجعلنى أعرف الأخبار الصحيحة أولا
يأول . أن معلومتى أن الحال سيئ ، وإن تتحسن . الانجاء
الى بطش أكثر . لا توجد نية للإفراج ولكن للتضييق . الحكام
استعذبوا طعم الخلفيان ، لأنه يسكرهم . ولكنى لا أجرؤ أن أقول
لزملائي المسجونين السياسيين الحقيقة المرة . اننى أتركهم
يعيشون فى تصور أوامهم . أشفق عليهم أن أخرجهم من القصور
الباسمة لأعيدهم الى زفرانهم الكثيبة !

كثيرون من المسجونين الذين فى داخل السجن أسعد حالا من
أسرهم خارج السجن . أن متاعب الأسر المالية هى سبب تسعة
أعشار شقاء المسجونين ، فعندما ينقطع دخل عائل الأسرة يحدث
لها ما يحدثه سقوط قنبلة ذرية . فى الزيارة نسمع أحاديث بين زوج
وزوجته عن السوار التى رهنته . أو أنها حاولت أن تقترض خمسة
جنيهات فلم تجد من يقرضها . ثم تجيء فى المرة القادمة وتقول أن
ريفا خرجها . ويسألها الزوج كيف خرجها . فتقول أنه خرجها
والسلام . وتحسن من صوت الزوجة الذى اختلطت فيه الكلمات
بالدموع ، أنها بدأت ببيع السوار ، وانتهت ببيع مالا يباع !

وتسمع فى الزيارة أسر المسجونين السياسيين وهى تتحدث عن
أثاث البيت الذى باعته . فى الزيارة الأولى باعت الدولاب ، وفى
الثانية باعت الصالون وفى الثالثة باعت السرير ! ثم تسمع عن
زوجة أحد المسجونين السياسيين التى كانت تمعد زوجها ترسل
له تمناذنه فى الطلاق لأن لولاده سيوتون من الجوع ! أن الدجوى
حكم على كثير من الناس بالسجن . ولكنه حكم على أسر كثيرة
بالإعدام ! وقد سمعت مسجونا سياسيا يقول : يا بخت سيئة
تطلب الذى حكم عليه الدجوى بالإعدام !

ان مآسى أسر المسجونين السياسيين تصلح كل واحدة لتكون
مأساة تمثل على المسرح . . . وعندما يراها الناس لن يصدقوا ان فى
مصر من يموت من الجوع . . . وان لم احد المسجونين السياسيين
ماتت لانها لم تجد اجر الطبيب . . . وان زوجة مسجون سياسى آخر
ماتت وهى تلد لان الاسرة لم تجد فى البيت رايالا تدفعه للقابلة ا

ومن المجيب ان الذين اصدروا هذه الاحكام القاسية لم يفكروا
فى البيوت التى خربوها ، ولا الاطفال الذين شردوهم ، ولا الاسر
التى دمروها . . .

واذكر ان احد الكبراء قال لى ان عيب اسرة المسجون السياسى
فلان الفلانى انها تحقد علينا ا

وقعت فى يدى صحيفة امريكية بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٩٦٦
جاءت لاحد الزملاء وقد لفوا فيها حذاء ا قرأت فيها حكيا هاما
للمحكمة العليا فى امريكا ، وهو انه ليس من حق المحقق ارقام
شخص على ان يشهد ضد نفسه ، وان هذا الحق الدستورى يبدأ
منذ لحظة القبض على المتهم . . . وانه يجب على المحقق ان يبين
للمتهم بوضوح ، وقبل التحقيق معه ، ان من حقه ان يسكت ،
ويرفض الكلام . . . وان يوضح له ان اى شئ سيقوله الان قد يستعمل
ضده فى المحكمة . . . وان ينه رجل الشرطة المتهم عند القبض عليه
ان من حقه ان يكون معه محام يحضر التحقيق ، فاذا لم تمكنه حالته
المالية من توكيل محام ، فان على الدولة ان تدفع لجر المحامى .
وانه اذا لم يقدم المتهم اعترافه من تلقاء نفسه ، وبعد ان يعلم
بحقه الدستورى فى الامتناع عن الاعتراف ، فان الاعتراف يصبح
باطلا .

وعلى هذا الاساس حكمت المحكمة الامريكية العليا بالغاء حكم
الاعدالم على قاتل اعترف بخط يده ، لانه بقى خمسة ايام بدون
مخبر

وحكمت ايضا محكمة اخرى بالغاء حكم بالاشغال الشاقة ١٠

لائل معترف بخط يده ، لأنه مكث ١٧ ساعة مقبوضا عليه ، دون
أن يستطيع الاتصال بمحام أو بأحد من اقاربه !

وتذكرت كيف أُنفي مكثت في سجن المخابرات الايام الباقية من
يوليو ، وكل أغسطس ، وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر ، بغير أن
يسمحوا لى بالاتصال بمحام ، أو أن يعلم أحد من اقربائى أين أنا !

لو طبقت هذه القواعد الدستورية فى بلادنا لما بقى مسجون
واحد فى المسجون المصرية !

من الذئب قتل رئيس محكمة أمن الدولة

ليمان طره

نوفمبر سنة ١٩٦٦

عزيزتى ..

سيجىء يوم تضاء فيه الأنوار . وتكشف الأسرار ، وتظهر الحقيقة ، ويختفى الزيف والبهتان : سيعرف الناس جرائم بذلت جهود جبارة لإخفاء معالمها . ولكنى مؤمن بأنه سيجىء يوم يزاح فيه الستار عن خفايا أسدل عليها ستار الظلام . ولو عرف الظالمون أنه سيجىء يوم ينكشف فيه ظلمهم ، لترددوا ألف مرة قبل أن يرتكبوا ما ارتكبوه !

فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦١ عرفت القاهرة أن كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة انتحر ، بأن صعد الى سطح عمارة فى مصر الجديدة وألقى بنفسه منها ومات على الأثر !

ودهش الناس أن ينتحر رئيس محكمة أمن الدولة ! ودهش أكثر الذين يعرفون كامل لطف الله، ويعرفون أنه رجل قوى الأعصاب . ثم دهشوا أكثر وأكثر عندما علموا أنه اختار ليوم انتحاره يوم نظرت قضية مشهورة اسمها قضية المليونير بهوم المتهم برشوة الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة وعدد من كبار الموظفين ، وهى قضية ثارت حولها أقوال وأشاعات . وكان كامل لطف الله سراس هذه المحاكمة ، وكان قبل ذلك يقول لأصدقائه أنها قضية جامة جدا ، وأنها من أكبر القضايا التى نظرها فى حياته ! وحرص على أن يدمو ابنته الوحيدة سميحة وزوجها الدكتور نبيل وديع من أسبوط خصيصا ليحضرا هذه المحاكمة الهامة ، فتحضر الابنة الوحيدة من أسبوط وتفتاجا بأن أباهما انتحر !

وبدأت الصحف تتساءل هل انتحر رئيس محكمة أمن الدولة أم قتلوه ! وجماعة تدخلت الرقابة وأكدت للصحف أن رئيس المحكمة انتحر ، وأنه ممنوع الإشارة إلى مقتله ! وبعد أن كانت العناوين « مصرع رئيس محكمة أمن الدولة » أصبح انتحار رئيس محكمة أمن الدولة !

وقيل للصحف أنه ثبت من التحقيق أن كامل لطف الله كان على خلاف مع زوجته .. وأن هذا هو سبب انتحاره . . . وظهر أن كامل لطف الله منفصل فعلا عن زوجته ، ولكن الانفصال حدث في عام ١٩٥٦ فهل معقول أن ينتحر انسان في عام ١٩٦١ بسبب خلاف وقع في عام ١٩٥٦ أي منذ ٥ سنوات ! ؟

قد يقال أن رئيس محكمة أمن الدولة كان مفتونا بزوجه ملكة جمال ، وأنه رآها فجأة لتجدد الحب وانتحر . ولكن ظهر أن الزوجة لم تكن ملكة جمال ، بل كانت سيدة مفرطة في السمنة ، وكان ضغطها ٣٢٠ ، وكانت مريضة بالسكر وتصلب الشرايين وهبوط في القلب وترهل في الأعصاب . . .

وكان كامل لطف الله في تلك الأيام سعيدا لأنه أصبح جدا للمرة الأولى في حياته .

واهتم شقيقه القاضي منير لطف الله — المستشار فيها بعد — بالحادث ، وبدأ يتولى تحقيقه ، وظهر أن كامل لطف الله يحتفظ دائما بمسدس ، فلماذا لم يطلق على رأسه المسدس ، بدلا من أن يلقي بنفسه من سطح عمارة إلى أرض الشارع . ولاحظ القاضي أن ملباخ رئيس محكمة أمن الدولة شهد شهادة غير حقيقية تؤكد أن كامل لطف الله انتحر ! ثم فوجيء بالملبأخ يعترف بأنه تقاضى ٢٠٠ جنيه من شخص مجهول ليشهد هذه الشهادة !

وكان القاضي منير لطف الله يعلم أن شقيقه درس أوراق قضية فهموم دراسة دقيقة ووصل إلى نتيجة : هي أن المجرمين الحقيقيين ليسوا في القضية ، وأن المتهمين في القضية هم الأبرياء . . . ولأن القضية تمس شخصيات كبيرة في الدولة . .

وكان المستشار كامل لطف الله بقيم في نفس البيت الذي يقيم فيه خليل حسين عم الرئيس جمال عبد الناصر : وسمع عم الرئيس بما يقوله رئيس محكمة أمن الدولة . وذهب وأبلغ به الرئيس عبد الناصر .

وموحيء رئيس محكمة أمن الدولة ذات يوم بدعوته لمقابلة الرئيس في بيته بمنشئة البكرى . على بعد خطوات من شقة رئيس محكمة أمن الدولة وسأله الرئيس : هل حقيقة أنك ترى أن الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة برىء . .

قال كامل لطف الله : أعلم أن سيادتك خطبت في خطبة علنية واتهمته بأنه حرامى ، ولكن أوراق القضية تبين أنه برىء . . وضميرى كقاض يحتّم على أن أظهر هذه الحقيقة .

قال الرئيس : افعل ما يمليه ضميرك .

قال كامل لطف الله : وأحب أن تعلم أن القضية ستجىء بأسماء كبيرة .

قال الرئيس : لو كان اسمى موجود فى القضية هاتنى !

قال كامل لطف الله : إن من قراءة الأوراق تدل على أن بعض الوزراء « حرامية » .

قال الرئيس : قل لى على أسمائهم وأنا سأقطع رقبتهم !

قال كامل لطف الله : لا أستطيع أن أحكم على أحد قبل أن أنتهى من نظر القضية وأسمع الدفاع والاثهام . .

وانصرف كامل لطف الله سعيداً بهذا اللقاء . .

ثم حدث بعد ذلك أن هوجبت شقة كامل لطف الله وسرقت منها

أوراق القضية ، وعليها ملاحظات رئيس محكمة أمن الدولة بخط يده .

فمن هو صاحب المصلحة في سرقة هذه الأوراق .. لا يمكن أن يكونوا المتهمين الذين قال عنهم رئيس محكمة أمن الدولة انهم أبرياء ..

لابد انهم اشخاص عرفوا ان القضية سوف تصل اليهم . ولابد انهم بعد ذلك عرفوا بان يد العدالة ستصل اليهم ، ولهذا راوا ان يتخلصوا من رئيس محكمة أمن الدولة بخطفه في صباح المحاكمة ، والقائه من سطح العمارة !

ولاحظ الأطباء من اقارب كامل لطف الله ان تقرير الطبيب الشرعى مهلهل ، ولاحظوا ان الاسماء لم يحضر فوراً ، بل حضر بعد نصف ساعة .

وتردد بينهم ان كامل لطف الله مات بسم لا يترك اثراً ، وبعد ان تناول السم القوه من السطح !

وفجأة تلقى القاضى منير لطف الله رسالة بلا امضاء تقول له : « لا تتكلم ! والا فسوف يكون لك نفس المصير » .

وذهبت الطالبة سميحة كامل لطف الله الى عمها القاضى منير لطف الله تقول له : ائنى قررت ان التحق بكلية الحقوق ، واتخرج محامية ، واطالب باعادة التحقيق في مقتل أبى !

قال لها عمها هامسا : اسكتى ! لا تفتحنى عليك . لقد جاعنى تهديد بالا اتكلم والا فسيكون لى نفس المصير !

واطبقت الاسرة فمها رعبا !

وعرضت القضية على دائرة المستشار رياض رزق الله وبزات الدكتور السهنى وزملاءه .

اننى اعرف كامل لطف الله شخصيا . اعرفه وهو شاب . كان
قاضيا فى القاهرة ولفقت احدى الحكومات قضية ضد اخبار اليوم ،
وارسلت مظاهرات تحاول تحطيمها ، ثم اتهمت عمال اخبار اليوم
بانهم هم الذين تجهبوا وقتلوا احد المتظاهرين وقبضوا على ١٧.
من عمال ومحبرى اخبار اليوم ووضعهم فى السجن . عرضت
المعارضة على القاضى الشاب كامل لطف الله . جاءه من يبلغه ان
الملك يرغب فى مد حبس المتهمين . رفض القاضى ان يخضع لامر
الملك وافرغ عن المتهمين . عوقب القاضى الفزبه بنقله الى قنسا .
فشرت القصة فى اخبار اليوم . عاد كامل لطف الله بعد الثورة الى
القاهرة . هذا القاضى الجريء ليس بالقاضى الذى يخاف ، انه
رفض ان يخضع لامر الملك ، وهو بالتالى لا يمكن ان يخضع لتدخل
اى كبير فى الدولة يريد ان يوقف سير العدالة !

سيجىء يوم تجتمع فيه الجمعية العمومية للمستشارين فى هيئة
جمعية غير عادية ، وتؤلف لجنة تحقيق ، لتعرف من الذى قتل رئيس
محكمة امن الدولة !

ان الحقيقة لا يمكن ان تموت !



هبة الناهل يقول لمصطفى أمين : سوف اعارض في أن تكون الحكمة
سيرة .. ولكن الاوامر صدرت للدجوى بأن تكون الحكمة سيرة !

عنه الذي سره خزانة سفارة الكويت؟

سجن ايمان طره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

عزيزتي ..

اؤمن ايمانا عجيبا بأنه سيجيء يوم ، قريب أو بعيد ، ستفشاء فيه الاثوار على هذا الظلام الدامس ، وتتكشف الحقائق ، كل الحقائق ، ويذاح الستار عن كثير من الخبايا التي يتصور أصحاب السلطان انها لن تعرف أبدا .

في يوم ١٩ أكتوبر الماضي سرقت خزانة سفارة الكويت في القاهرة وهى خزانة اعتادت السفارة أن تودع فيها مجوهرات الكويتيين الذين يسافرون الى الخارج ويضعون هذه المجوهرات امانة لدى السفارة .

وفيها كذلك « رزم » من أوراق البنكوت ..

واستوقف النظر أن « رزم » أوراق البنكوت تحولت الى رزم من أوراق النخاف الذي يستخدم في تجفيف الحبر في السفارة . ووضعت في كل رزمة ورقتان مائتان احداهما اسفل الرزمة والاخرى فوقها ، ليظن من يفتح الخزانة انها ورق بنكوت !

ووضعت بدل قطع المجوهرات المسروقة مجوهرات مزيفة ، بنفس العدد والشكل والحجم ..

وابلغت السفارة اللواء أحمد مرتضى مدير أمن الجيزة وقامت الدنيا وقعدت . وانتقل محافظ الجيزة ورجال البوليس وشعبة البحث الجنائي ورجال النيابة .

وقيل لسفير الكويت في القاهرة ان الدولة كلها تبحث عن اللصوص
وسوف تسترد المجوهرات الثمينة والمبلغ الطائلة !

وكان أغرب ما حدث ان في السفارة عدة خزائن لم يمسها أحد ،
مما يدل على ان الذي فتح الخزانة بعرف أين توجد المجوهرات وان
الأوراق والمستندات الموجودة في الخزانة المسروقة لم تمس .. مما
يؤكد ان الغرض هو سرقة المجوهرات وليس سرقة مستندات
سياسية !

وفي يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٦٦ صدرت جريدة الاهرام ، وفيها
صفحة كاملة بعنوان « من الذي سرق خزانة سفارة الكويت »
سلطات الأمن لم تعثر على أى دليل يثبت ان احدا اقتحم السفارة
أو نسلل منها . اختفاء محتويات الخزانة في نظر سلطات الأمن
« سرقة محيرة » وليس حادثا غامضا وهذه هى الأسباب : أوراق
النشأف التى وضعت مكان ٨ آلاف جنيه نقدا .. من نفس النوع
المستعمل في السفارة ! كيف يمكن أن يدخل لص مرتين ليأخذ
المجوهرات الحقيقية التى تقدر بعشرة آلاف جنيه ثم يعود ليضع
مكانها مصوغات مزيفة !

وحاول تحقيق « الاهرام » أن يثبت ويؤكد أن السرقة تمت من
داخل السفارة وقالت بالحرف الواحد « أنه مما لا شك فيه أن
السرقة من الداخل ، يعنى أن شخصا من داخل السفارة هو الذى
ارتكب الجريمة أو على الأقل اشترك في ارتكابها . يؤيد ذلك أن
هناك ٧ خزائن أخرى في السفارة ليست فيها نقود ، ولذلك فإن
اللص سرق هذه الخزانة بالذات ، وهو بدون شك يعرف أن هناك
غيرها ولكن ليس فيها ما يسرق . يؤيد ذلك أيضا ما ظهر من
حقيقة « النشأف » وأن الجريمة تمت في وقت يعلم فيه السارق
أن صاحب الخزانة سافر الى لندن .. وأنه حتى بعد أن عاد
— منذ شهرين — فإنه يقضى فترة نقاهة في منزله ولا يتردد على
مكتبه . يعنى أن هناك وقتا لاعداد أوراق النشأف والمجوهرات
المزيفة .. واتهام السرقة التى لن تنكشف الا بعد فترة يكون فيها
السارق قد استرد انفسه وأعد أسلوب المراوغة .. أيضا كيف

يمكن لغريب أن يدخل من باب السفارة ، وهى حتى الساعة الثانية ظهرا خلية تشفى بموظفيها والمترددin عليها . وبعد الظهر حتى صباح اليوم التالي تغلق وبها خفير وعلى بابها حارس ؟ كيف يمكن الدخول « للمعاينة » ولاعداد النشاف والمجوهرات المزيفة ووضعها فى مكانها ثم الخروج بهدوء ؟ ان هذا لا يتأتى الا لشخص يعرف السفارة جيدا . ويعمل بها .. ويقف على كل ظروفها ..

وانتهى التحقيق بانهام موظفى وعمال السفارة وقال بالحسرة الواحد « من الذى يعمل بالسفارة من غير الدبلوماسيين .. اى من السعاة ؟ انهم ١٧ ساعيا — مصريا — وسودانيا — ولهم رئيس » .

انتهى التحقيق الخطير المنشور فى الاهرام .

وجاءت الأنباء أن الدولة قبضت على جميع السعاة المصريين والسودانيين .. وأن جميع الكويتيين من موظفى السفارة وزوجانهم تحت الرقابة الشديدة ، وكذلك تليفوناتهم لمعرفة السارق منهم !

ثم حدثت مفاجأة مذهلة ..

تلقيت رسالة مهريّة من احد تلاميذى خارج السجن ، وهو شخص اتق كل الثقة بصدق معلوماته أن السعاة المساكين ابرياء ، وأن موظفى السفارة الكويتية ابرياء ، وأن اللصوص ايضا ابرياء وأن السرقة تمت بأمر شخصية كبيرة فى الدولة . وأن عددا من كبار موظفى الدولة اشتركوا فى عملية السرقة !

وان الذى أمر بالسرقة هو صلاح نصر .. فقد جاءت أنباء تؤكد أن فى الخزائنة مجوهرات ثمينة جدا لا تقدر بثمن !

وتمت السرقة تحت اشراف صلاح نصر .

وتسلم صلاح نصر المجوهرات والمبالغ المسروقة ، وقسم المجوهرات الثمينة الى ثلاثة اقسام متساوية : اعطى القسم الاول منها الى شخصية معروفة فى الدولة واعطى القسم الثانى منها الى شخصية معروفة فى الدولة ايضا واحتفظ بالجزء الثالث من المجوهرات المسروقة فى خزانته !

وجاعتنى الأنباء بعد ذلك تؤكد هذه الرواية الخطيرة المذهلة التى
لم يحدث لها مثيل فى أى بلد فى العالم !

أعرف أن بعض الدول سرقت مستندات هامة من سفارات
أجنبية !

ولكن هذه أول مرة فى التاريخ تسرق دولة مجوهرات من خزانة
سفارة أجنبية !

ترى هل سيجيء يوم يكشف الشعب فيه هذه الحقيقة المذهلة
المرعبة .

وهل سيعرف الشعب حقيقة صلاح نصر والجرائم التى ارتكبها
أو أمر بارتكابها ؟

وهل سيجيء يوم يجرى فيه تحقيق معه فى سرقة سفارة الكويت
وأين ذهبت المجوهرات المسروقة !

هذا ما كان يمكن أن يحدث لولا الظلام الذى نعيش فيه ..

الحرية وحدها تضيء الأنوار ..

وفى الأنوار لا يمكن ارتكاب مثل هذه الجريمة الخطيرة التى لم
يسبق لها مثيل !

أما المفاجأة الكبرى فهى أن كاتب التحقيق فى الأهرام الذى يحاول
أن يضلل القراء ويخفى السارق الحقيقى هو مندوب جريدة الأهرام
عند صلاح نصر !



في تقصى الاتهام اسمع الدجوى
يطلو النهم الموجهة الى ا

أصابني .. تأكلني !

سجن ليمان طره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

تامت الدنيا وتعدت ا اتصل وزير الداخلية بمدير مصلحة
السجون وقال انه وصلت اليه معلومات بأنني أعيش في الليمان
مرفها ومنعما ! الصيت ولا الغنى !!! واسرع كبار موظفي مصلحة
السجون الى زنزانتى ليضبطوا الجريمة الفظيعة .. واكتشفوا
أننى أعيش كائ مسجون أقل من العادى .. وان حياى بسيطة
جدا .. وكما قال مدير الليمان أن هناك ألف مسجون في الليمان
يعيشون مثلى ! وقيل لى أن الذى أثار غيظ ولاية الامور أن التقارير
قالت أننى أضحك باستمرار في السجن ! وأن هذا الضحك دليل
على اننى مسموم ومرفه وأعيش كملك . ولو كنت أعيش ككلب كما
نصت النعلقيات لما ضحكت ولما ابتسمت ! وطلب منى بعض
الضباط أن اتظاهر بالحزن والبكاء لاسعد الحكام ! وقلت لهم اننى
لا أضحك وانما أسخر ! وسوف أذف على المشنقة وأنا أسخر
بالظالمين ، لأننى أعلم أن دورهم سيجىء بغدى !

وقيل انه لا بد من عمل شيء حتى لا ينزل كلام سيادة الوزير الى
الارض . وبهذا منعوا أغلب الاطعمة التى احضرتها في الزيارة .
وسمعت أنك بكيت . والذين رأوك تبكي تائثروا كثيرا ، وكانت
قلوبهم تنقطع وهم يصفون لى حزنك وتعاستك . ولكنى لم اتضايق
ابدا . اننى عودت نفسى الا أشكو من شيء ، ولا أحتج على شيء ،
ولا اطالب بشيء .. اننى على استعداد أن أعيش على العيش
الحاف ، ولو كان طعام السجن عبارة عن فول مدمس يوميا لما
ترددت في أن أكله كل يوم . اننى أستطيع أن أعيش على أى طعام .
ولجد لذة . أن أكيف نفسى في أى وضع . واحمد الله على أن التحقيق

الدقيق الذي جرى أنظره أننى أعيش فى مستوى دون كثر
من المسجونين . وقد فتنشوا غرمنى عشرات المرات ، ولم
يحدث مرة واحدة أن وجدوا فيها شيئا ممنوعا . ولقد سحبوا
الصندوق الذى كنت أضع فيه ملابسى ، والآن أضع ملابسى داخل
ورق الجرائد . وقد تضايقت فى أول الأمر ، ثم لم ألبث أن عودت
نفسى على أن ورق الصحف يصلح أن يكون دولابا أنيقا ! وسحبوا
المائدة والكرسى فجلست على الأرض . وسحبوا برنس الاستحمام ،
وتعودت أن أنشف نفسى بالفوطة . وعادوا يضيقون على الخناق
ويمنعون المسجونين من التحدث معى . وكل هذا وغيره مسائل
بسيطة جدا . الإنسان فى بعض الأحيان يعتبر أشياء تافهة من
شروط الحياة ، ولا يلبث بعد مدة أن يكتشف أنه يستطيع أن
يسغنى عنها ، ويعيش بغيرها . وكل هذه الأشياء التى حرمت
منها لا تساوى وصول خطاب من انسان أحبه !

أن وزير الداخلية لم يشغنى ! أحسست أننى أنا الذى ضايقت
عندما لم يجدوا فى زفزانى ممنوعات أو مخلصات ! استطعت أن
أعرف نأ حملة التفتيش قبل وصولها الى زفزانى بنصف ساعة .
اشترك كل زملائى المسجونين السياسيين فى عملية إخفاء المنوعات
.. أنهم لم يكتفوا بإخراج القلم والورق من زفزانى ، بل أخفوه فى
عبر آخر !

وأمر الوزير بمنع دخول الثلج ! وبعبارة سجاير واحدة استطاع
أحد الزملاء أن يلغى قرار الوزير ! كل ما هناك أن الثلج أصبح يعمل
الى الزميل فى زفزانته ، ويرسله الى زفزانى ! وقد أسنهر
حرماتى من الثلج عدة أيام . وعودت نفسى على شرب الماء العادى ،
وحسنت الله أننى وجدت ماء عاديا أشربه ، وتفكرت الأيام التى كنت
لا أجد فيها نقطة ماء فى صيف يوليو وأغسطس ، ولا أجد ما أشربه
سوى ماء التواليت !

ولم تضايق من أن الوزير منع خبز السكر وطعام السكر ، ومن
لوامره تجريد زفزانى من كل شيء وأساءة معاملتى لأكون عبدة لباتى
المسجونين !! ولقد أمضيت خمسين عاما من حياتى أدخل أعظم
القصور . وأقيم فى أفخم فنادق العالم . وأتناول طعامى فى أرقى

مطاعم الدنيا ، واستمتع بكل ما في الحياة من جمال ، فلا يجوز أن
أحزن لأننى أمضى بضع سنوات في زمزاة على البلاط ! لقد تعلمت
كثيرا في هذه الزمزاة . واستفدت من كل يوم أمضىته في السجن ،
لأعرف الحياة كلها . كانت حياتى ناقصة قبل أن أدخل السجن .
وطبعاً لن يوافق أصحابى على هذه الفلسفة . ولكنى مازلت مصمماً
على رأى من أنه لا بد أن هناك حكمة الهية لكل ما حدث لى . الله
يعلم اننى برىء . قد يعلم الله أن البلد سيتعرض لكارثة فأخفانى
في هذا المجرور حتى لا تصيبنى قنابل غارات . قادمة . ربما أبعدنى
عن الحكم والحاكمين حتى لا أصاب في مكائى بجانب القيادة أصابة
مباشرة ! ربما أراد الله أن يحفظنى مما هو شر من السجن فوضعنى
في هذا المخبأ .. في أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت الغارات
تنهال على باريس كان أهلها يفضلون الاختفاء في مواسىر المجارى !

اننى أعيش على معلومات السردين . السردين هو الشيء الوحيد
المصرح بدخوله الآن . وقد فهمت من تأخير إرساله أنه غير موجود
في السوق ! اننى أتفدى في بعض الأحيان « قول وبيض » .

هذه ثالث مرة أشهد فيها التلفزيون في أسبوع واحد . وزير
الداخلية نسى أن يمنع التلفزيون !! في التلفزيون أنسى اننى في
ليمان طره . أشاهد مباريات كرة القدم وأتصور اننى في الملعب .
ألعب مع اللاعبين ، وأجرى معهم ، وأسجل معهم الأهداف وتمضى
الساعة والنصف في مشاهدة المباراة كأنها دقيقة ونصف .

أرجو أن ترسل لى زجاجة حبر .. أن أصابى تأكلنى .. ومعنى
ذلك اننى أريد أن أكتب كثيراً !

المأدبة الإبطوية

سجن ليمن طره

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٦

يا عزيزتى ..

هذه آخر رسالة اخبها في عام ١٩٦٦ ، من سخرية القدر اننى كنت احلم بسنة ١٩٦٦ هذه ، واتصور انها السنة التى ساستريح فيها من الأعباء الكثيرة التى كنت اسقط تحت اثقالها . . كنت امسور اننى ساحصل فيها على اجازة طويلة . انطلق فيها الى انحاء الدنيا ، بفجر ان اشعر بمسئوليات ، ولا بضرورة موافاة الجريدة باخبار ولا ضربات صحفية كل يوم . كنت اعتقد انها ستكون سنة الراحة من عذاب العمل اليومى . لقد حملت على كنفى مسئوليات فى سن مبكرة جدا . كنت نائب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف : عندما كانت اكبر مجلة سياسية فى مصر ، وعمري ١٧ سنة ! وهكذا لم يكن لى شباب . ولم تكن لى اجازات . وكان تصميمى ان اعتزل رئاسة مجلس ادارة اخبار اليوم عندما اتم الخمسين . وكتبت فى اخبار اليوم معلنا اعتزامى على اعتزال العمل . وغضب الرئيس عبد الناصر . وقال لى كيف تعتزل العمل والبلاد تمر بظروف صعبة . وكيف تنشر فى الصحف انك قررت الاستقالة قبل ان اوافق على قبول الاستقالة . . وضحك يومها الرئيس وقال « انا لیس عندى استقالات . . عندى اقبالات فقط » ! ووافق الرئيس على ان ابقى فى العمل حتى بداية سنة ١٩٦٦ ولكنى فى سنة ١٩٦٦ كنت فى السجن !! وهكذا أصبحت سنة الراحة هى سنة الاشغال الشاقة ، وسنة الانطلاق هى سنة السجن ، وسنة الاحلام هى سنة الكابوس . كنت احلم بان هذه السنة ستكون مفترق الطرق بين عملى كصحفى مربي وعملى كصحفى عالمى . كنت انصور اننى سأبلا صحف العالم

بتحقيقات صحفية عالمية ، فاطير الى عواصم الاحداث ، واذا المطاف
ينتهى بى الى أن كل ما اكتب هو اخبار الزلزلة التى اقيم فيها !
ولا ادعى أن هذه السنة ضاعت من عمرى . فقد تعلمت فيها أشياء
كثيرة ، لم تعلمها لى الجامعات التى تخرجت فيها . ولا درجة
المجستير التى حصلت عليها . رأيت فى السجن عالما جديدا . كان
مجهولا لى . على الرغم من اننى توهمت أن عملى فى الصحافة أكثر
من ثلاثين سنة جعلنى أعرف كل خبايا الحياة . ولكنى أشبه برجل
وضع فى صاروخ ، وأطلقوه الى كوكب من كواكب الفضاء . وإذا
بى أكتشف عالما مختلفا . مخلوقات آدمية أخرى . لغة لم أعرفها
تقاليد وعادات . فهو مجتمع قائم بذاته . له مساوئه ومزاياه . قوانينه
ونظمه . أحلامه ومآسيه . ضحكاته ودموعه . ولا أزم أن العالم
ونصف العالم اللذين أمضيتهما فى السجن جعلانى أعرف كل شيء
عن أسرار هذا العالم الجديد ، فهو عالم واسع . يتوه فيه الباحث
عالم تحت الأرض . قاع المدينة . ولو أنهم طلبوا منى اليوم أن
اكتب كتابا عن حياة السجن لترددت . ما أعلمه أقل كثيرا مما يجب
أن أتعلمه .

كانت متعنى فى الحياة أن أزرع الأمل فى قلوب اليائسين . كنت
أرى القلوب اليائسة أشبه بالصحراء الجرداء . وأنا لا أحب
الصحراء . سعادتى أن أراها تتحول الى حقول خضراء ومزارع
يائنة . وكانت متعنى أن أقطع بسيارتى الطريق الصحراوى بين
القاهرة والاسكندرية ، وأحصى الكيلومترات التى تحولت من رمال
الى حقول . من العدم الى الحياة . والناس عندي كالصحراوات .
نعم انك تحتاج الى جهود جبارة لتحول الرمال الى أرض حدائق .
ولكنى كنت أجد متعة ولذة فى أن أقوم بهذه العملية . أن أحول
القائطين الى حالمين . أن أحول اليائسين المسحوقين الى أشجار
وأزهار وورود ! وأنا اعتقد أن فى روحى مياها كثيرة من التفاؤل
والإيمان تكفى لأن تروى أراضى كثيرة جرداء . وكنت أخشى أن
يسحق السجن تفاؤلى وإيمائى وصبرى وحبى للناس . والواقع أن
الذى حدث هو العكس تماما . تضاعف تفاؤلى . توطد إيمائى .
زاد صبرى . كنت أحب الناس كثيرا وأصبحت أحبهم أكثر . كان
بعض أصدقائى يتهموننى بالغفلة لأننى أقول دائما أن الأغلبية
العظمى من الناس طيبون والأقلية المسحوقة شريرون . وأنه لا يجوز

أحكم على كل الناس بخطايا بضعة أفراد . وكان بعض أصدقائي يعبرون رأي هذا سذاجة ويستهونني بأننى أحكم على الناس وأنا جالس فى برج عاجى . والمدة التى أمضيتها فى السجن لم تزعج هذه العقيدة ، بل قوتها . مما يساعدنى على الإيمان بهذا الرأي أننى أعطى دائماً عذراً للطبيعة البشرية . دائماً أعطى للناس عذاراً لأننى أقدر ظروفهم . ليست كل المعادن قادرة على أن تحتل نسبة واحدة من الحرارة . بعض الناس كالورق يحترقون إذا لمسهم عود ثقاب ، وآخرون كالذهب يتوهجون فى النار ! أنا مثلاً أجد لذة فى الاحتمال وفى الصمود . وغیرى قد يجد نفس اللذة فى الشكوى والائين . ومن الطبعى أن يجد كل مسجون فى السجن أشياء تضيقه وتنتد عليه الحياة . ولكننى انظر الى الأمور التى تضيقنى ففكرت الى أشياء صغيرة بسيطة تافهة ، لا نستحق الشكوى . الحرمان من الحرية فى رأى أشبه بمرض السرطان . والمضايقات الأخرى أشبه بالصداع أو الزكام . ومن غير المعقول أن أهتمل الأم السرطان ، وأشكو من متاعب الزكام ! بل على العكس أن متاعب الزكام تنسينى أحياناً آلام مرض السرطان . أشتغالى بحل مشاكل الصغيرة ينسينى المشكلة الكبيرة . كان من مشاكل الصغيرة مثلاً أنكم نسيتم فى الزيارة السابقة إحضار الصابون . وقرات فى الصحف أزمة اخفاء الصابون فعدرتكم . وعندى الآن صابونة أحافظ عليها ، لنستطيع أن نتحمل الى موعد الزيارة القادمة ! ومع بساطة هذه المشكلة وتفاهها إلا أننى أشعل نفسى بالاهتمام بها . غالف الصابونة بعناية فى ورقة سولفان . وأحسب المدة التى تستغرقها فى الذوبان . وفى بعض الأحيان أضع الصابون الملعون الذى يوزعه السجن . وبذلك أنسب لصابونة غسيل الوجه التى عندى بضعة أيام فى عمرها القصير . فالصابون مثل الإنسان يذوب من كثرة الاستعمال . وكل واحد منا « يرغى » ! .

أنا مثلاً أسخر من متاعبى وأفلسفها . وعندما تسخر من شيء يتضاؤل أمالك . يصغر وينكمش . أشياء كثيرة كانت تبدو لى فى الماضى كأنها من ضرورات الحياة ، ثم وجدتني محروماً منها . لا أبحث أن أشعر بأننى لست فى حاجة إليها . كل شيء ماضى أصبح لا قيمة له عندى فى التوازن . يكفبنى ما عندى من إيمان وعاطفة وصمود . هذه الأشياء كبرت فى داخلى . لم تتضاؤل . الخيال يحول الأشياء

الصغيرة الى اشياء ضخمة . الآن اتناول غدائي وعشائي معا في الساعة الخامسة . غدائي غالبا عبارة عن علبه سردين واحدة وعلبة خضار من كاتنين السجن . فاصوليا أو بسله . كنت في اول الامر افتح علبتي سردين ما دمت اكتفى بأكلة واحدة . ثم رايت الاكتفاء بعلبة سردين واحدة من أجل الاقتصاد .

اهداني مسجون مخدرات علبه « صوص هاينز » . واهداني مسجون آخر في قضية اختلاس زجاجة كاتشاب اضع الصوص هاينز على السردين ، واضع الكاتشاب على الفاصوليا ، وبذلك تتحول المائدة المتواضعة الى مائدة فاخرة ! ولم اكن اتصور في يوم من الايام اننى استطيع ان اعيش ٢٤ ساعة على علبه سردين ! ولم البث ان أحسست انها تكفينى وزيادة . كل ما أحاوله الآن ان أجعل علب السردين التى عندى تكفينى حتى الزيارة القادمة . وفي بعض الأحيان أوامر الصوص الذى اهداه المسجون لى للمآدب الرسمية ! نعم . . فانا اقيم لنفسى مرتين في الأسبوع مأدبة رسمية ، فاضيف الى علبه السردين قطعة جبن أو برتقالة . وهنا أطلق على هذه الأكلة الفاخرة لقب الأكلة الامبراطورية . وأكلها بلذة وشهية ، وكاننى اتناول غدائي في قصر فرساي على مائدة الملك لويس الرابع عشر !

قبل دخولي السجن كنت أتمنى أن ألقي طعام العشاء من قائمة حياتى اليومية . فشلت محاولتى المستمرة . الآن اشعر بسعادة لأن ضرورة الاقتصاد في السجن جعلتني اتعلم أن ألقي طعام العشاء ! وكان يحدث في الماضي أن أحس بالجوع أثناء الليل فأتوّم الى الفريجيدير واتناول قطعة من الجبن أو شوكلاته السكر . ولكن الآن اكتفى بالافطار والغداء ، وأحسد نفسي عليهما ، واتذكر أن هناك في العالم ملايين لا يجدون علبه السردين التى أفتحتها !

اول يناير سنة ١٩٦٧

هذه اول كلية اكتبها في العام الجديد . هذا الخطاب استغرقت في كتابته عامين ! بداته في سنة ١٩٦٦ وانتهيت منه في سنة ١٩٦٧ ، وفي خلال هذه المدة اصبت ببرد شديد ويسعال حاد ، لأنهم خلعوا

الشباك الذى ركبته فى نافذتى بحجة انه مخالف للتعليمات ! أمضيت ليلة لا أدق النوم لحظة واحدة ، بسبب السعال المستمر . ولكن اليوم أحسن والله الحمد . أمضيت ليلة راس السنة فى الفراش مع الحمى والأدوية والأسبرين والنوغالين ، ولكن المرض لم يكن بالسوء الذى كان فى سجن القناطر الخيرية ، مع غارق واحد وهو أننى فى سجن القناطر كنت أجد زملائى حوالى ، يقومون بخدشى ، ويضعون المكيدات على رأسى . أوامر الوزير إلا يتصل بى أحد من المسجونين . ولهذا توليت تهريض نفسى بنفسى وأمرى الى الله . زارنى الطبيب وقال لى : لو كنت مسجوناً عادياً لنقلتك فوراً الى مستشفى السجن . أما وأنت مسجون سياسى فلو فعلت لك أى شئ لمسيضموننى فى الزنزانة المجاورة !

من أسوأ الأمور أن يمرض الإنسان فى السجن ، ولقد بذلت كل مجهودى لأحافظ على صحتى ، ولكن البرد ، والنوافذ المفتوحة كانت أقوى منى فصرعنى !

الله معنا !



مصطفی امین

التمهة الخطيرة!

سجن ليمان طوره

٤ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

الشهر الماضى كان شهرا صعبا . ربما كان من أصعب الشهور
اللى مرت بى منذ أن دخلت الليمان . بعد أن كنت أحسست ببعض
الاستقرار وباليهدوء ، وبعد أن تصورت أنى رتبت حياتى هنا ،
فوجدت بأن كل شىء تخطب . . وفى عصور الظلام تقيد حرية
الأشراف ، وتطلق حرية النصابين والأماقين . وعندما تطلق الأتوا
يلزم الناس بيوتهم ، وينطلق قطاع الطرق واللصوص . وفى يوم من
الأيام ستعرف نمر أن كثيرين من النصابين المحليين والعالميين
اقتهزوا فرصة الإرهاب والسجون والمعتقلات والخوف العام ونصبوا
على الدولة بملابى الجنيهاات ! والحال فى السجن كما هو خارج
السجن . انتهر أحد النصابين الأماقين مرمى الإرهاب الموجود هنا
وتقدم الى المسئولين بتقرير سرى ادمى أنى أعيش فى السجن فى
عرف ونعيم ، بل اننى أعيش فى السجن خيرا مما كنت أعيش فى
بيتى ، وأن الأطباء يجاملوننى ، والموظفين يهتمون بى ، والضباط
يحسنون معاملتى ، والحراس يحيوننى التحية العسكرية . وأننى
المدير الحقيقى للسجن !

وصدقت رئاسة الجمهورية هذه الأكذوبة ، وانقلبت الدنيا رأسا
على عقب . وأصبح مطلوبا من كل من يعمل فى السجن أن يثبت أنه
يسئ معاملتى حتى يبقى فى وظيفته . وبدأ تحقيق مع الأطباء وثبت
أنهم أبرياء من حسن المعاملة . وجرى تحقيق مع الضباط وتبين أنهم
يعملون ليل نهار على أن يذكوا على الحياة ! وجرى تحقيق مع
الحراس فأقسموا أنهم جميعا الشاءيش ديووم ! وتقرر نقل مأهور

السجن عباس ليبب لأنه ثبت أنه ابتسم في وجهي ، وأنه كان في يوم من الأيام محرراً في القسم الرياضي بأخبار اليوم ! وأصبح حسن المعاملة تهمة ، يجب ن يدفعها الإنسان ، وينبرا منها كتهمة التعذيب في العصور غير الحرة ! .. ثم جاء وزير الداخلية ، وأهم بأن يسأل عن معاملتى ، ونرك الجميع يشعرون بأن المطلوب هو أن يجعلوا حياتى كالجحيم .. ووعده بعض كبار موظفى المصلحة أن يكوموا عند حسن ظنه !!

وأصبح السجن يعيش في هلع . خشية أن يوجه الى أى مسئول التهمة الخطيرة ، وهى أنه يحسن معاملتى . أصبح الحراس يخشون التحدث معى . أن المعصوب عليه من الدولة في عصر الارهاب يتحول الى مريض بالجرب ، يخشى الأصحاء الاقترب منه .

ولكن بعد أيام سوف ينسى الحراس تعليمات وزير الداخلية ، وسوف اتقنهم بأن الوزير هو المصاب بالجرب !

وهذه الاتهامات الظالمة هى التى تجعلنى أتمرد على الأنظمة وأتعمد مخالفتها ، ولقد كنت الوحيد في السجن الذى ينفذ الأوامر والتعليمات . الذى يقبل أى شيء بلا اعتراض . الذى لا يشكو ولا يحتج . ومع أن التحقيقات التى جرت أثبتت بجلاء أن هذه الاتهامات الظالمة لا أساس لها ، إلا أن سياسة التنكيل استمرت ! اتنى وجميع المسجونين السياسيين لا نأخذ حقنا ! لقد وصل خطاب مرى الى مدير الليمان يوم أن جئنا الى السجن يقول أن جميع المسجونين السياسيين أساءوا للوطن ، ولهذا يحرمون من جميع الامتيازات التى يتمتع بها القتلة واللصوص والسفاحون ! أن معنا جواسيس اسرائيل محكوم عليهم بالإشغال الشاقة المؤبدة ! وهم يقيمون في المستشفى الذى حرمت منه ، وتتدخل لهم أطعمتهم كما يريدون ، ويتجولون في أنحاء السجن بلا رقابة ولا حراسة . ويتحدثون مع المساجين كما يشاؤون . أن فيكتور وروبير وغيليب ، الاسرائيليين المحكوم عليهم في قضية لافون ، يعاملون كأسياء . والمصريين من المسجونين السياسيين يعاملون كمعبد . ذلك لأن جريمة الاسرائيليين أنهم أساءوا الى مصر ، وجريمة السياسيين

فهم أسعوا الى الحاكم . والخيانة العظمى في بلادنا هي اغصاب
للحاكم او معارضة الحاكم !

ان الذين يترون هذه الفسجة والاعاذيب حولي هم اول من يعلم
اننى منفلوم واننى برىء . واننى لم انسل بالحكومة الامريكية الا
بامر من رئيس الجمهورية شخصيا وبتكليف رسمى منه ، وان كل
امسالىنى معها كان يعلم رئيس الجمهورية . وهذه هي الحقيقة
التي عذبونى حتى لا أقولها في التحقيقات ولكنهم فشلوا . اننى
تحدثت كل هذا ، بعد ان قدمت لبلدى ما قدمت من خدمات ،
وما اعترف به رئيس الجمهورية امام مجلس قيادة الثورة ، وانا
احمل هذه المناصب الصغيرة اليوم واعتبرها ضريبة يجب ان ادفعها
لبلدى ثمننا لنجاحي . دفعت لبلدى قبل ذلك كل ما عندي من فكر
وعلم ودم واعصاب وقلم ولسان . ولم يبق عندي سوى حريتي ،
وشاء القدر ان اقدمها ايضا . انا واثق انه سيحيى يوم تعلن الحقيقة
كاملة . ويعرف الذين ظلمونى انهم حكموا على برىء ، وطعنوا رجلا
بخنجر في ظهره ، بينما هو يقدم لبلاده اعظم الخدمات . اشعر اليوم
باسى عندما اجد بلادى محرومة من القمح ، وقد مكثت سنوات
عديدة احصل عليه لبلادى بلا ثمن . وبذلك من اجل هذه المعونات
جهدا قدره رئيس الجمهورية واشاد به ، وتعمرت ان ما فعلته
لبلادى ولشعبها هو شيء لا يمكن ان ينكره الذين تنكروا لى . ولكن
آخر خدمة الغز علة كما تقول الحكم والامثال . . لقد كذبوا على
رئيس الجمهورية وقالوا له اننى قلت للامريكان الا يعطونا قمحا .
وكل الذين قرأوا اوراق القضية يؤكدون انه ليس موجودا فيها
هذا الكلام الفارغ على رغم كل التزييف والتغيير والتبديل في اشرطة
المنسجل . لا احد اليوم يجزؤ على ان يقول للرئيس الحقيقة !

ان السجن لا يعذبني . وانما الذي يعذبني ان بلادى تتعرض
لحصار اقتصادي ، واشعر في زنزانتي باننى عاجز ان افعل من
اجلها كل ما فعلته من قبل . كل ما اتناه ان تجد بلادى من يخدمها
اكثر مما خدمتها . . بشرط الا يضمه في نهاية الامر في الليمان !

ولقد قيل لى ان خطئي الاكبر اننى لا اشكو ولا احتج . لقد كان
الرئيس يتوقع ان اكتب له خطابا اطلب العفو ، وهو متفانيق لاننى

لم اكتب . انا ليس عندي ما أقوله لعبد الناصر ، لان كل ما أريد
أن أقوله لعبد الناصر يعرفه هو شخصيا أكثر من أى مصرى
آخر . كان عبد الناصر يستطيع أن يختار لى تهمة أخرى أشرف من
التهمة التى اختارتها لى مخابرات صلاح نصر .

ويعود اصدقائى ويقولون لى : 'إذا كنت لا تريد أن تطلب العفو ،
فلماذا لا تكتب اليه تشكو من سوء معاملتك ! وهم يعتقدون أن
الذى أثار هذا الجو ضدى أننى لا أشكو من شيء ، ولا أطلب بشيء ،
وأن هذا الموقف يثير نحوى الريب والشكوك !

أننى لم اتقدم بشكوى ضد الظلم الكبير الذى أصابنى ، فكيف
أشكو من الظلم الصغير ؟ ! أننى لم أشك من التهمة المهيئة الظالمة
الكاذبة التى وجهت لى ، ولا من الطين الذى القوه على ، ولا من
التراب الذى أهالوه على رأسى ، فكيف أشكو من متاعب صغيرة ؟
كيف أشكو أننى لا أجد طعاما أكله ، لأن طعام السجن لا يصلح
لمرض السكر والفقرس الذى أصبت به ؟ فكيف أشكو لأنهم يفلقون
باب زنزانتى ٢٢ ساعة كل يوم ؟ كيف أشكو أننى وقعت على قدمى
ورأسى وأصبت بأربعة جروح ، وبقيت أكثر من أسبوعين بلا علاج ،
لأننى ممنوع بأمر وزير الداخلية من الذهاب الى مستشفى السجن ؟
كيف أشكو من أننى المسجون الوحيد الممنوع من التحدث الى أى
مسجون آخر ؟ كيف أشكو من أننى أصبت ببرد شديد فى السجن
لأننى حرمت من دخول بطانية من بيتى ، فى نفس الوقت الذى
سمحوا فيه لبقية المسجونين بدخول بطانيات ؟

كل هذا هو ظلم صغير تافه ، بجوار الظلم الكبير الذى وقع
على . الذى احتمل العاصفة لا يجوز له أن يشكو من هبوب
الرياح . الذى لم تفرقه الموجة العاتية لا يجوز أن يخاف من الفرق
لأمم بعض رذاذ الأمطار ! لهذا أنا مصمم على ألا أشكو ولا أحتج
ولا أسترحم . أننى تركت مصرى لله وحده . إذا شاء أنقضى ،
وإذا شاء أبقينى فى هذا الجحيم . . وإذا مت فأننى أريد أن أموت
واقفا ، لأننى أرغض أن أمشى راكما ! وإذا كان ثمن الحرية أن
أقبل أحذية الطغاة ، فأننى أفضل زنزانة مع الكرامة ، على عرش
مع الهوان !

ويجب الا تتصوروا اننى تمس في حياتى هنا ، على العكس اشعر بان ضميرى مستريح . انهم يخلطون تواضعى بالاهمية التى يسبغونها على . يسعدنى انهم يضعون كل هذه الاهمية لمسجون ملقى في زنزانة ، ويخلقون حولى كل هذه الاوهام . انهم مثلا يراقبون كل نسخة من جريدة « الاخبار » تصل باسمى ، متوهمين ان محررى اخبار اليوم يرسلون لى خطابات داخل الصحف . وعلى هذا يصلنى كل عدد من جريدة الاخبار ومكتوب عليه كلمة « مراقب » اى ان الرقيب فحص النسخة وتاكّد ان ليس فيها خطابات سرية من المحررين ! ولابد انهم عرضوا النسخة على آلات خاصة ليعرفوا اذا كانت هناك رسائل مكتوبة فوقها بالحبر السرى ! آه لو علموا ان الرسائل تصل الى من تلاميذى تحدث انوفهم ، ولسنا بالسذاجة حتى نجعل رسائلنا داخل نسخ الاخبار !

ولو عرفوا الحقيقة لعرفوا اننى اطلب من تلاميذى الا يتصلوا بى ، لائننى لا اريد ان يتحمل واحد منهم اى متاعب من اجلي . اننى لا احافظ على اصديقاتى فقط ، بل احافظ على السجنان الذى يفلق على باب الزنزانة بالضربة والمفتاح . احافظ على الضابط الذى يشرف على تطبيق التعليمات الصارمة — لا اريد ان اكون سببا في ضرر اى انسان من اجلي .

والغريب ان الذين يقومون الآن بعمليات مدائية من اجل تهريب الرسائل هم اشخاص لم امرهم من قبل !

انهم تلاميذ جدد جندتهم في السجن !

ان مدرسة اخبار اليوم لها مروع في كل مكان . . حتى في الليمان !

خطة للهروب من السجن !

سجن ليمان طره

٢ يناير سنة ١٩٦٧

اختي المزيزة ..

اتبتك ، وارجو أن تكون السنة الجديدة سنة خير وبركة .

بدأ العام الجديد بتشديد المعاملة . ومنع ما كان مباحا . والعودة الى سياسة اغلاق الزنازة ٢٣ ساعة كل يوم . ورفض المكولات التي كانوا يصرحون بها في الزيارة . الغريب أنهم يسمحون لجميع المسجونين العاديين بكل شيء . ما عدا المسجون السياسي !

وحدث أن ذهبت الى محكمة الجنايات لحضور قضية صحفية مرغومة على اخبار اليوم عندما كنت رئيسا لمجلس ادارتها . وأركبوني سيارة لوري تهتز بشدة وعنف أثناء سيرها . وقعت على الأرض . جرح وجهي وساقى . أصبت بجرحين في ساقى . وجرح في رأسي وجرح في اصبع يدي . ولكني لم أحتج على وضعي في هذه السيارة التي تشبه المرجيحة . لم تلتئم الجروح بعد بسبب مرض السكر الذي يطيل في عمر الجروح . ولكن جروح الحياة وجروح السجن لا بد أن تلتئم في يوم من الأيام .

ونجعت عندما قيل لي أن الزيارة سوف تتم وراء السلك ، مع أن الطبيب أمر بأن تتم الزيارة في المستشفى . وكنت أنوى أن أرفض الزيارة في هذا الوضع المهيئ . وأصر الطبيب على أن أجروحى أثناء وقوعي في السيارة اللوري تمنعني من الوقوف أثناء الزيارة ، ولهذا همت المقاتلة في شرفة الضابط على :لا تستمر أكثر من خمس دقائق !

ثم صدرت الأوامر بالآ اذهب الى التلفزيون ، ولا اذهب الى المستشفى ، وبإخلاء الطابق الذى أنا فيه مرة أخرى ، وخصص الطابق لخمسة مسجونين سياسيين . اثنان منهم مريضين بالسل ، وثالث مريض بالقلب ، ورابع مريض بالكلى وأنا ! ومنعوا اتصال أى مسجون سياسى أو غير سياسى بى . واحضروا لى حارسا من أشد حراس السجن ، ويسمونه « قفل » لأنه لا يتفاهم مع أحد ، ولا يقبل مناقشة ، وهودكتاتور صغير يجد لذة فى أن يستبد بنا . ولكنى أحاول ألا أصطدم به . ان الطبيب صرح لى بالمشى ساعة . ويحدث بعد ربع ساعة من ابتداء الفسحة ان يعلن الشاويش انتهاء الفسحة ، فلا أعترض ، وأطيعه طاعة عبياء ، وأجد لذة فى الخضوع لاستبداده . ان الطغاة الصغار ضعفاء فى داخلهم ، هم فيكور من الخارج وأصغار من الداخل . لا يتحملون ضربة واحدة . يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا . يسعدهم أن يضعوا أقدامهم فوق رقاب المظلومين فترتفع قامتهم . لقد رأيت فى خارج السجن كبراء ووزراء من أمثال هذا الشاويش . وهم نقاعات هوائىة الاصطدام بها يزيدا طغيانا ، ويفيدها عند الطغاة الكبار . هذا الشاويش وأمثاله يجب أن نتركهم للزمن حتى يدوسهم بالأقدام !

لقد جاء شعراوى جمعة وزير الداخلية لزيارتى فى الزنزانة ، وسألنى اذا كنت أريد شيئا فقلت « متشكر » وسألنى اذا كنت أشكو من شيء فقلت « متشكر » وعاد يكرر السؤال وعدت أقول متشكر ! ودهش الضباط اننى لم أطلب تحسين المعاملة . لم أطلب معاملتى معاملة القتلة واللصوص والسفاكين . والواقع اننى شعرت بأن شعراوى جمعة لا يملك أن يفعل لى شيئا ! اننى لا أريد أن أعطيه لذة الرقص ، أو أعطيه متعة اننى أطلب منه أو أرجوه !

وكنيت بعيد النظر ، فقد ظهر أنه جاء الى زنزانتى ، لا ليسأل عنى صحتى . وإنما ليفتش عليها ، وليعرف هل أعيش فى ترف ، ثم وجد بنفسه أنه لا يوجد شيء مخالف ، واكتفى بأن طلب التشديد فى المعاملة .

ثم حدث أن أحد الحشاشين أبلغ المسؤولين أن هناك مؤامرة لاخطافى من السجن ، وفوجئت بتشديد الحراسة على ، وبمدير الليمان يدخل زنزانتى فى الساعة الواحدة صباحا ، ليتأكد أن قضبان

الحديد في زنزانتى سليمة ولم أفسرها بمنشار ! وموجئت بحالة ذهول في الليمان ، في كل خطوة أخطوها ، وقد ضحكت كثيرا من هذه الأوهام . ولابد أن هذه العاصفة سوف تهدأ بعد فترة من الوقت .

ولكن هذه الأكذوبة أحدثت أثرها . موجئت بعد أيام بأن زميلى المسجون عيد عبيد وهو ابن شيخ قبيلة كبيرة في سيناء ، ومحكوم عليه بالسجن المؤبد في قضية مخدرات . موجئت به يقول لى أنه وضع خطة كاملة لتحريرى من السجن . وأن اشاعة خطفى ، وتشديد الحراسة على ، هى الفرصة الذهبية لتنفيذ خطة الهروب .

وموجئت به يقدم لى خطة متكاملة ، بالخرائط والرسوم ، وبعدد السيارات التى سوف تشترك في عملية الهروب ، وكيف أعد مفتاحا لفتح أبواب زنزانتى وزنزانته ، وفتح باب العنبر ، وفتح باب السجن ، والسيارة التى سنهرب بها الى المعادى ، والطريق الذى سوف نسلكه الى البحر الأحمر ، وكيف سنمعب البحر ، والمكان الذى سنختبئ فيه في سيناء . ثم كيف يمكن بعد ذلك الهروب الى أى بلد اسلامى أو أوروبى يقبلنا كلاجئين .

درست الخطة فوجدتها خطة رائعة . ولكن أذهلتنى دقة التفاصيل ، وأنه لم يترك أى شيء للصدفة . .

وقال لى أن الخطة تتكلف حوالى خمسين ألف جنيه .

قلت له : اننى لا املك مليها واحدا .

قال : انا وأصدقائى سندفع هذا المبلغ ولن تدفع قرشا !

قلت : وماذا يجعلك تقوم بكل هذه المخاطرة وكل هذه التضحية ؟

قال : ايمائى بانك مظلوم .

قلت له : ان الخروج من السجن لا يهمنى ، وانما الذى يهمنى هو اثبات براءتى . لو هربت من السجن فأتنى بذلك سأؤكد التهمة الظالمة التى يعلم الله اتنى بربى منها . ان الذى يهمنى أن يفتتح الذين ظلمونى بأنهم ظلمونى . السجن نفسه لا يؤثر فى ، وانما

الذى يؤثر في هو الظلم . هو ان اقدم هذه الخدمات الضخمة لبلدى ،
طوال عمرى ، ثم ينتهى بى الامر الى ان تلصق بى هذه التهمة
الظالمة . عزائى اليوم ان الاغلبية العظمى تعلم اننى برىء ، وكل
ما اتمناه هو ان يعرف هذه الحقيقة الذين خدعوا بالتلفيق والاكاذيب
ضدى .

قال لى شيخ العرب عيد عبيد : ان هروبك سيمكنك من الدفاع
عن نفسك واثبت براءتك .

قلت : اننى اطمح فى ان اثبت براءتى وانا مسجون .

وكان الصديق عيد متحمسا لتنفيذ الخطة . وقد عرض الفكرة
على بعض اخوانه واعوانه خارج السجن فتحمسوا لها .. بل ان
بعض الذين يعملون فى داخل السجن ابدوا استعدادهم للاشتراك
فى الخطة ..

واغرب ما حدث ان الدولة هى التى اوحى لهم فكرة تهريبى ،
فلولا الاحتياطات التى اتخذت لمنع خطى من السجن ، لما خطن
ببال أحد أن يفكر فى تدبير عملية الهرب .. واعجب من هذا أن بعض
الذين كلفتهم الدولة بالتشديد فى مراقبتى ، كان أول من اقترح على
عيد عبيد فكرة تهريبى .. وكان حماس عيد لى لاعتقاده أنه مظلوم ،
وأن قبيلته أدت الى مصر فى سيناء خدمات وطنية كبيرة ، وأنه جزاء
هذه الخدمات لغقت له قضية تهريب مخدرات .

قال عيد : اذن سأهرب وحدى .

واقنعت عيد بأن يعدل هو الآخر من الهرب ، ويحاول أن يثبت
براءته من داخل الزنزانة ، ويدأنا معا نعد خطة اقناع المسؤولين
ببرائته ونحن داخل الأسوار !

وهكذا ترين ان الازمات لا تجعلنا نركع على ركبنا . انها على
العكس تزيد رغبتنا فى التحدى والانتفاض . اننى استقبل الازمات
والمحن بابتسامة ، وما دامت هذه الابتسامة على شفتى فاننى قادر
على ان احتمل اضعاف اضعاف ما انا فيه .

كنت اتصور أن الذين وضعوني في السجن اكتبوا بالظلم الذي ادى الى دخولى السجن . ولكن يبدو انهم لا يكتبون بذلك . ابيدهم تمتد الى داخل الزنزانة تحاول أن تضيق على الخناق . كنت اذهب يوميا الى مستشفى السجن لعمل تحليل للسكر ، ولعمل اشعة على العمود الفقرى ، وصدر امر بالا اذهب الى المستشفى ، وان يجىء ممرض الى زفرانتى لتسلم البول ، وحمله الى المستشفى . وصدر امر بإلغاء العلاج بالأشعة . كل مسجون في السجن من حقه أن يتكلم مع مسجون آخر ، ولكنى الوحيد الممنوع بأمر وزير الداخلية من أن اتحدث الى أى مسجون في الليمان . وهذا هو الذى يجعلنى أجد لذة في تحطيم أوامر الوزير ، واللف حول تعليماته ، والسخرية بقراراته . آه لو علموا أنه لولا تعنتهم في التنكيل بى ، لما تفننت في الهزء بهم ومخالفة قراراتهم الالهية ! وهم يتصورون أنهم يقتلوننى بإغلاق باب الزنزانة ٢٣ ساعة كل ٢٤ ساعة .

آه لو علموا أننى انتهز هذه الساعات التى أنفرد فيها بنفسى ، لأقرأ ما منعونى من قراءته ، وأكتب ما لا يتصورون أننى أكتبه . لولا الظلم والقهر والالم والضغط والإرهاب لما كتبت أحسن ما كتبت في حياتى !

محتفل سياسي صوم ٤٠ سنة!

سجن ليمان طوره

٤ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

رايت سطور خطابك مليئة بالاسى ، لانك رايتنى يوم الزيارة
ارتجف من البرد . خطابك ملأنى بالدفع . حرارته أشبه بجهاز
تدفئة فى زنزانتي المظلمة ! جسمى كان يرتجف من الخارج . اما
روحى فهى مليئة بحرارة الايمان . دى يتجمد من برد السجن ،
ولا يلبث أن يذوب ويسيل ، بفضل ما أشعر به من حب . . الشمس
تشرق فى بلاد القطب الشمالى مرة كل ستة أشهر . وانا ارى
الشمس مرة كل شهر عندما يزورنى الذين احبهم . اراهم ، المسهم ،
اتحدث اليهم . انا احسن حالا من سكان القطب الشمالى !

عندما ارتعش من البرد فى الليمان القارص ، احاول أن ادفع
نفسى بالخيال والافكار . اقول مثلا أخى على يقيم فى لندن الآن ،
والبرد هناك لا يحتل ، ولما كنا توأمين فيجب أن أشاركه البرد
الذى يحس به وهو يمشى فى شوارع لندن التى يغطيها الجليد .
صحيح أن الجليد فى شوارع انجلترا ، والثلج فى مراشى فى الزنزانة ،
ولكن يمكن التجاوز عن عدم تطابق هذا التشبيه فى سبيل أن احس
ببعض الدفع ! عندما يتضاعف احساسى بالبرد اصبر نفسى باننا
الآن فى شهر يناير ، ولم يبق من شهور البرد سوى شهر واحد
وهو شهر فبراير وينتهى البرد ، ويبدأ الربيع . صحيح اننى اغلظ
نفسى فى الحساب فنحن لا نزال فى اول يناير ، والربيع لا يجرى الا
فى الاسبوع الاخير من مارس ، ومعنى هذا أن المسألة هى ثلاثة
شهور من البرد لا شهر واحد ، ولكن احس وانا ارتعش من البرد

داخل الزنزانة القاسية أن مصلحتي أن ألقى منطلق الأرقام لأوهم نفسي بأنني في طريقي إلى الدفء أصبت في المدة الأخيرة ببرد شديد ، وكان صوت سعالني يشبه زئير الأسد في أول أفلام شركة مترو جولدوين .

وحدث أن كنت أشعل عود كبريت ، وعلى الرغم من أنه مكتوب على العلبة « شركة النيل للكبريت . كبريت أمان » فقد انفجر عود الكبريت في عيني ، ولكن الحمد لله لم تصب عيني ، وإنما أصيب جفن عيني . وبالإضافة إلى الجروح التي في أصبعي وفي جبهتي ، وفي ذراعي أصبحت أشبه بمشوهي الحرب ، فإذا أضيف إلى ذلك مرض السكر والقرص والضغط والروماتيزم والعمود الفقري فقد أصبحت أشبه بمستشفى عام !

أنني أقاوم كل هذه الأمراض ضاحكا ، ساخرا من نفسي ، فلما أكره الشكوى ، ولا أحب أن أذهب إلى الأطباء ، وقبل دخول السجن كان الأطباء هم الذين يجرون ورائي ، ولم يكن أنا الذي أجري وراءهم ، ومازلت أتبع هذه العادة ، ويظهر أنني ورثتها عن أجدادي من بقايا مصور الجاهلية ، وأنا أعلم أن وزير الداخلية لا يريد أن أذهب إلى الأطباء في مستشفى السجن ، خشية أن أعلم منهم ما يجري في البلد . والمسكين لا يعرف أنني أعرف كل ما يجري في البلد وأنا جالس في زنزاني لا أتحرك . وحتى إذا أمكن منع الرسائل التي تهرب لي فسوف أعرف ما يجري في البلد . يكفي أن أحلق في وجوه المسجونين السياسيين الذين يزيدون كل يوم لأعرف حقيقة ما يحدث في مصر ! أن معتقل طهره امتلأ بالمسجونين السياسيين والمعتقلين السياسيين ، ولم يعد فيه موضع لقدم . رجال من كل نوع . نشاط معاد . وفديون . أخوان . شيوعيون . يمينيون . يساريون ، أساتذة جامعة . طلبة جامعة . أطباء . مدرسون . علماء . مهال . أن البعض يقول أن المسجونين السياسيين والمعتقلين وصلوا إلى مائة ألف ، وأنا أقدرهم بكثير من خمسين ألفا . ذات يوم رأى بعض كبار المحامين المعتقلين ولدا في داخل المعتقل يبلغ من العمر ١٤ سنة ، وتصوروا أنه ابن أحد الضباط ، ولكنهم لاحظوه موجودا في المعتقل في الأيام التالية . وتقدموا منه يدافع من الفضول وسألوه :

— من أنت ؟

قال الولد : معتقل سياسى !

سأله المحامون فى ذهول : أنت معتقل سياسى ؟

قال : نعم .

فسأله : وكم عمرك ؟

قال : ١٤ سنة !

قالوا فى دهشة : معتقل سياسى وعمرك ١٤ سنة .

قال الولد ببساطة : نعم . . وهذه هى المرة الثانية التى اعتقلوني فيها ! وقد مضى على فى المعتقل الآن ثلاث سنوات !

وقص عليهم الولد ، انه فى المرة الأولى كان عمره ٤ سنوات ، وكان يقيم مع أسرته فى حى شبرا ، وكان ذلك فى سنة ١٩٥٤ ، وجاءت الشرطة العسكرية تقبض على شقيقه وكان من الاخوان المسلمين ، ولم تجد الشقيق ، فقد هرب الى الحسيد . فما كان من ضابط الشرطة الا أن قبض على الطفل البالغ من العمر ٤ سنوات ، وأودعه فى قسم الشرطة ، وقال انه سيفرج عنه عندما يظهر شقيقه الهارب . وبقي الطفل فى القسم يلعبه الجنود والضباط شهرا كاملا الى أن عرف الشقيق الهارب ما يحدث لشقيقه الصغير ، فتقدم الى القسم وسلم نفسه ، وعندئذ فقط أفرجوا عن الطفل وعاد الى اهله .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار جمهورى بالتبض على جميع الاخوان الذين اعتقلوا سنة ١٩٥٤ . . وكان الطفل قد كبر وأصبح عمره ١٤ سنة . . وجاءت الشرطة وقبضت عليه من جديد وأودعته المعتقل !

وصمم اساتذة الجامعة المعتقلون على أن يعلموا هذا الولد الصغير ، فكانوا يتناوبون على التدريس له ، حتى نال شهادة الإعدادية بتفوق .

وكتب الاساتذة مذكرات الى ولاية الامور بامضاء الولد يتظلمون
من قرار اعادة اعتقاله ، ويروون ما حدث .. ولكن أحدا لم يقرأ
ولم يهتم أن يقرأ .. لأن كل الذين في المعتقلات والسجون مظلومون !!

شعرت بسعادة لا حد لها عندما قرأت اعلانات فيسلم معبودة
الجماهير ، وعرفت أنهم أفرجوا أخيرا عن قصتي ، بعد أن سجنوها
أكثر من عامين ، واشترطوا لعرضها أن يحذف اسمي من الفيلم
كمؤلف الرواية . أن ولاية الامور سذج حقيقة . أن قصتي نشرت
مبسلة في مجلة المصور ، ونشرت بعد ذلك في كتاب طبعته دار
الهلال ونفدت طبعته في أيام . والناس كلها تعرف أنني مؤلف القصة .
وكل من يتفرج على الفيلم سيفكر أنني أنا المؤلف . أن حذف اسمي
هو اعلان عني . لا أصدق أن مراعاة اقوياء لهم النفوذ والسلطان
والهيل والهيلان يخافون من مسجون مقيد في الأغلال في زنزانة !
أنهم يخشون أن الناس سوف تفكرني ، وهم يريدون أن ينساني
الناس ، وكلما تصرفوا هذه التصرفات الصبيانية سوف يتفكرني
الناس أكثر ! أشعر بهناء عندما يضربوني كل يوم . لأن هذا دليل
على أنني لازلت على قيد الحياة ..

وأنا زاهد في ذكر اسمي . كان اسمي يظهر في الصفحات الأولى
من صحف الشرق الأوسط منذ أكثر من ثلاثين سنة . وكثيرا ما كنت
لا أوقع ما أكتب . أو أخترع امضاء أوقع به على ما أكتب . أنا
لا يهمني أن يظهر ما أكتب تحت اسمي . كل ما يهمني أن ينشر
ما أكتب . هذه أكبر متعة أشعر بها . عندما كنت في السادسة
عشرة من عمري كنت أشعر بسعادة لا حد لها عندما كان الناس
يقرأون ما أكتب بلا امضاء ويؤكدون أن الكاتب هو التابعي أو فكري
أباطة أو عبد العزيز البشري . لقد مكثت من عام ١٩٢٨ الى عام
١٩٣٨ أكتب بلا امضاء . الذي يحدث اليوم أنني عدت الى أيام
طفولتي . أصبحت أشعر بنفس السعادة ونفس النشوة . وفي
لحظة شقاوة فبنت أن تصدر الحكومة أمرا للنقاد بأن يشتبوا
القصة ويهاجموها ، وبذلك يزداد الإقبال عليها !

أنهم يقولون لي أن ايماني الراسخ ، وضحكي الدائم يضايقان
بعض ولاية الامور وأنهم يقولون « ما دام لا يزال ضحكك طليق

يفضحك في الايمان « ! اى المفروض ان ابكى لاستحق العطفة .
الراكمون على ركبهم لا يخيفون احدا ، وهم يقولون ان ارتفاع باب
الخروج من السجن « واطى » فيجب ان احنى راسى حتى اخرج !
ولا اعرف ماذا افعل . . ان الله خلقنى طويلا ، ولو ركعت على قدمى
مسابقى اطول من المطلوب . المطلوب اقزام . او رجال يزحفون
على بطونهم . او رجال بلا عمود فقرى . . كل هذه الشروط غير
مقومة . ولهذا اعتقد ان سجنى سيطول ، فلما ان يطيلوا ارتفاع
الباب ، واما ان يقطعوا راسى لتستطيع قائمى ان تخرج من باب
السجن !

وعلى كل حال انا مؤمن بان الله معنا ، وانه لن يتخلى عنا ، وانا
اعرف ان هذا الايمان الغريب يضايق الذين يريدون ان « يؤدبونى » .
ولكن هذا الايمان يمتزج بدمى . لئنى اتصور انهم اذا وضعونى
على المشنقة ولفوا الحبل حول رقبتى فسوف اقول : انا متفائل !

انا لا احسب عمري بالسنوات التى اعيشها . اننى اعتبر ان
التاريخ كله هو عمري . حياتى كانت اطول من اللازم واعرض من
اللازم . الاعمال التى قمت بها اكثر من عمري . العواصف التى
تعرضت لها ، واتعرض لها الآن ، وسوف اتعرض لها فى المستقبل
لا تخيفنى . لا تشقىنى بل تسعدنى . انها تؤكد اننى ما زلت حيا ،
واننى لم انته بعد . لو كنت انتهيت لما هبت هذه العواصف
والزوابع . انا اشكر العواصف ولا الومها . ارحب بها ولا اهرب
منها .

صوت العواصف فى اذنى اشبه بالطبول تعلن قدوم موكب الحرية !

آخر خطابي على بلادي حدث الزمعة

سجن ليمان طوره

٣٠ يناير سنة ١٩٦٧

أخي العزيز ..

لم اكتب لك منذ وقت طويل .. آخر خطاب كتبتك لك منذ حوالي العام . في كل لحظة اشعر بأن أصابعي تاكلني ، لتكتب اليك كل يوم خطابا . ما باليد حيلة . تعليمات وزير الداخلية الا اكتب لك . ولهذا غسوف احاول أن أهرب لك هذا الخطاب . شاء القدر أن يفترق التوأمين اللذان لم يفترقا أبدا . جمعنا الله في بطن أمنا وعندما أخرجنا من بطن أمنا كانت الدنيا بالنسبة لنا هي بطن أمنا . بقينا خمسين سنة ملتصقين أشبه بتوأمين سيام . ثم جاءت هذه العملية الجراحية لتفصل بيننا . عندما أجريت عملية مماثلة للتوأمين الملتصقين مات الاثنان على الأثر . شاء الله أن نعيش . ولعل الله يرتب لنا في المستقبل أن ينهي هذه المحنة وتلتصق من جديد . في بعض الأحيان اتصور أنني أظلم . غير معقول أنه مضى على في السجن سنة ونصف . وأنه بعد ثلاثة شهور سيكون قد مضى على فراقنا عامان كاملان ! قرأت عن اللاعقول . كنت أسخر من قراءاتي . ولكن شاء القدر أن أعيش فيه . أهم ما يهيك هو حالتي النفسية . الواقع أنها عالية جدا . أكثر مما تتصور . إذا كان الحاضر ضدي للمستقبل معنا . التاريخ سوف ينصفنا .

كنت أعيش قلعا على بلادي . كنت أخاف عليها . كنت اعتقد أن أي شيء يصيبها سوف يصيبني . أن أول رصاصة ستطلق عليها سوف تقتلني وتقتلك . لأننا كنا نحارب في الصف الأول دائما . من الطبيعي أن الذين يحاربون في الصفوف الأولى هم الذين يقتلون

أولا . حينما برصاص العدو . وحينما برصاص الذين يحاربون في الصفوف الخلفية . ومع ذلك فعندما أصابتنى الرصاصة لم أحتد على أحد . سواء أصابتنى عن قصد أو عن غير قصد . اننى أحببت بلادى وأحببت كل من فيها، حتى الذين أصابونى برصاص دمدم !

كثيرا ما قلت للرئيس عبد الناصر اننى أخاف عليه من المعارك المتوالية . لا نكاد نخرج من معركة حتى ندخل معركة . كنت أقول له اعط البلد فرصة ليسترد أنفاسه قبل أن تدخله معركة جديدة . وكان يقول لى أنه يحب المعارك ، وعندما يلاحظ أن البلد حادىء ولا حركة فيه يقتل معركة ليتحرك كل شيء .

وكنت أقول له أننا فى حاجة الى بضع سنوات لبنى بلدنا من الداخل . لارتفاع مستوى معاشنا وفلاحينا المطحونين المهزومين . . فكان يقول ضاحكا ان المعارك الخارجية الذ من المعارك الداخلية . الثانية نتائجها لا تظهر الا بعد عشرين سنة والاولى تظهر نتائجها فى اليوم التالى !

وكان عبد الناصر يتضايق أحيانا من اصرارى على أن ندرس كل خطوة قبل أن نخطوها ، فكان يسألنى : انت خائف ؟

وكنت أقول له : أنا لست خائفا على نفسى أنا خائف على البلد .

ومع اننى فى السجن ،فاننى أعيش مع بلادى لحظة بلحظة . . كأننى لا أزال أشارك فى معاركها ، أتمنى لها النصر . أطلق عليها : أخشى عليها من الهزيمة . كل ما أشعر به هو الأسف . اننى لا أستطيع أن أشارك فى معاركها ، لسبب خارج عن ارادتى . أن يدى مقيدتان بالسلاسل ، ولا تستطيعان أن تحملا مدفعا دفاعا عنها !

ومع ذلك فاننى أنتهز كل فرصة لأحذر من الخطوات الطائشة . أخشى على عبد الناصر من الذين يزينون له المغامرات ، وهم لا يعرفون أن أعدائنا يتربصون بمصر ، وسوف ينتهزون أول فرصة لضربها . هذا الكلام قلته لهيكل فى كل مرة جاء لمقابلتى ليبلغه الرئيس . ولكن

هيكل هز كفيه استخفافا . وهو يتصور أننا قادرون على أن نسحق اسرائيل والولايات المتحدة . أن الذى درس التاريخ يعلم أن ما أصاب هتلر وموسولوى كان نتيجة عدم حصولها على معلومات حقيقية عن قوة أعدائهما . أن اتصالى بلوال هذه السنين بالرئيس جعلنى أعرف أن أجهزة معلوماته لا تقدم له الحقيقة ، وإنما تقدم له مايسعده أن يقرأه . فإذا اختار مثلا أحد الأشخاص لمنصب كبير تافست الأجهزة في وصف الصدى الطيب دى الراى العام ، وإذا غضب الرئيس على شخص ورفقته من وظيفته انهالت التقارير على الرئيس تقول أن الشعب من الاسكندرية الى اسوان يلعن سنسفيل هذا الموظف المرتشى الجاهل الحقير !

حالتى الصحية جيدة . واجب السجن أن يحافظ على صحته بأى ثمن . الويل له إذا مرض . مقاومة البرد كانت مسألة عويصة . كنت أتعرض للبرد في شقتى بالزمالك وفيها تكييف ساخن وموقى عشرات الألحفة والبطاطين . وزناتنى أشبه بالثلاجة أو الفريجدير . ومع أن البطاطين ليست كافية فقد تغلبت بقوة صمودى وإيمائى على زمهرير الشتاء . ولم أفهم معنى كلمة زمهرير عندما كنت في الاتحاد السوفينى ، أو عندما كنت في إنجلترا والولايات المتحدة . ولكنى عرفته جيدا وأنا في زنزانتى في ليمان طره . أصبحت بالبرد مرة واحدة ، من الغريب أن أصابنى كانت في نفس موعد أصابتك بالبرد . من الطريف أنه غير مسموح لنا بارتداء معاطف . ولا ارتداء بدل صوف . المسموح به ارتداء بدنة من الدmour الخفيف ، وأخفى تحتها بول أوفر . في الوقت نفسه أرى الحراس يرتدون بدلا من الصوف ومعاطف ثقيلة جدا ، ومع ذلك يرتعشون من البرد أكثر مما ارتعش ا تحديت البرد حتى الآن . هزمنى مرة واحدة . لم يبق من الشتاء القارص سوى شهر واحد . كلما تشرق الشمس في الصباح أشعر بأننى أبعد تدريجا عن الثلاجة . عندما كنت أشعر بقسوة البرد كنت أذكر زملائى المسجونين في الطوابق الثلاثة التى تحتى ، وهم ينامون على الأسفلت وبعضهم اضطر أن يبيع البطاطنة ليشتري سحائر . وبعضهم أشعل النار في البطاطنة ليتدفأ على حريقها . ومن الغريب أن في السجن آلاف السراير . ولكنهما موضوعة في المخازن . بل أن بعضها كسروه ، ليصنعوا منه درابزين يحيط بحدائق السجن الفسيحة لتزج الحداثق . والنوم على السرير

في السجن نعمة كبرى . لا يتمتع به الا المريض الذي على وشك الموت ! وفي كل اسبوع يجيء الطبيب ليكشف على المريض سري هل هو يستحق السرير الذي ينال عليه ! فلماذا شعر الطبيب بأن المريض تحسن ، سحب منه السرير وأعادته الى الأرض . وفي كل مرة يجيء فيها الطبيب ، كنت أخشى أن أكون شفيت من السكر والنقرس والعمود الفقري والروماتيزم فأنام على الأرض . وهكذا ترى أن أمراض كانت نعمة في السجن وليست نقمة !

ومن الغريب أنه كان في سجن مصر سرير لكل مسجون ، ثم حدثت أن حطم بعض المسجونين سرايرهم . فحسب قرار بمنع السراير !! ومن القواعد الموجودة في السجن أن النعمة تخص والنقمة تعم . فلماذا أخطأ مسجون واحد من مئات المسجونين الذين يتهمون في غير واحد ، عوقب مئات المسجونين بذنب المسجون الواحد .

وحدث مرة أن كنا أكثر من مائة بشهد مباراة الكرة في التلفزيون ، وارتفع صوت لحد المسجونين ، وعقابا له أخرجنا الضابط جميعا من غرفة التلفزيون ، ولم نكمل مشاهدة المباراة !

لست أعرف كيف اشكرك على أطعمة السكر . أنك في الواقع أنقذتني أكون شاكرا لو كررت شهريا إرسال هذه المعلبات . لقد أرسل لي الأخ سعيد فريحه معلبات غراخ بالكسكسي . وأنا لم أثق بالكسكسي طول حياتي ، واضطررت أن أكله وأمرى الى الله . اضطررت شهورا طويلة أن أعيش على السردين . ثم اختفى السردين فعشت على البيض المقلى وابتعت على الفول المدمس في الصباح والظهر والعشاء !

من طبيعة السجن أن لا استقرار فيه . القلق هو الاستقرار . تعليمات اليوم تلغى غدا . وتعليمات الغد تلغى بعد غد . لقد حدثت أن سمحوا لي بدخول طعام مرض السكر مرتين في الشهر ، ثم ألغوا هذا النظام . ثم أعادوه . ثم تقرر ألا يدخل لي أي طعام . ثم تقرر ألا يدخل لي سوى ثلاث معلبات مرتين كل شهر . وتصور مريضا يعيش على ست معلبات صغيرة في الشهر ! ثم تغير النظام بعد أن احتج الأطباء . وقالوا إن معنى هذا القرار أن أموت من الجوع .

ثم قدم تقرير من أحد النصابين بأننى أعيش منعما فى السجن . وعلى الأثر صدر قرار بمنع أى طعام من أن يدخل لى فى السجن . ثم ظهر من تحقيق الشكوى أنها كاذبة فتقرر السماح لى بدخول بعض المعليات ! وهكذا . . . أننا كل يوم فى حال ولعل من نعمة الله أننى لا أشكو أبدا من المال ، لأننى أتوقع فى كل لحظة شيئا جديدا مختلفا . ومع ذلك فأننى لم أشعر بالجوع أبدا . كنت أجد دائما بدا كريمة تمتد لى من وراء القضبان تحمل طعاما شهيا ! كانت السماء أحيانا تمطر كباب حاتى وسمكا وفراخا . . . وطعمية !

أننى أحمد الله على أننى أحسن بكثير من أيامى الأولى . الفرق كبير بين النوم على الأسفلت والنوم على السرير . بين أيام كنت أدخن فيها نصف سيجارة ، وبين الآن وعندى ما يكفينى من السجائر بين أيام كنت لا أعرف إذا كنت ساجد ما أكله أم سأعيش طوال اليوم على الطوى ، وبين الآن وأنا عندى معليات كسكسى !

حاولت أن أكل طعام السجن فلم أستطع . أكل السجن هو علة يأكلها المسجون ثلاث مرات كل يوم . وقع فى يدى اليوم خطاب سرى أرسله كبير أطباء السجن الى مدير المصلحة يقول فيه « قضت التعليمات بأن يقدم للمسجونين خضروات طازجة . وفى الشهور الأخيرة لم تقدم سوى فروع الفجل . فنرجو الأمر بإرسال خضروات حفظا لصحة المرضى ، وخاصة لضرورة وجود فيتامينات » .

تصور . . أن الوف المسجونين السياسيين وغير السياسيين مكثوا عدة شهور لا يأكلون الا فروع الفجل !!

انظمة السجنون فى حاجة إلى إعادة دراسة شاملة كاملة . من الأسف أن أكثر المثقفين فى مصر دخلوا السجنون وخرجوا منها ، ولم يقدموا أية مقترحات لاصلاحها . فانا مثلا لا افهم لماذا يرفضون أن ينسام السجنون على سرير ، أو على مرتبة . ولماذا لا يسمحون بدخول البطاطين ؟ أو يسمحون ببيع البطاطين فى الكانتين ؟ ولا افهم لماذا يمنعون دخول الشاى . بينما الشاى المطبوخ يباع فى الكانتين ويقدم للمسجونون باردا وبشكل ردىء ، بحيث يفضل السجنون أن يصنعه بنفسه ويشتره من السوق السوداء . والفكرة من السجن

أن يتعلم المسجون كيف يحترم القانون ، والعكس هو الذى يحدث
فهو يتعلم يومياً كيف يخالف القانون يخالف القانون ليجد غطاء .
يخالف القانون ليأكل . يخالف القانون ليحصل على مسابونة
ليستحم . يخالف القانون ليكتب خطاباً . يخالف القانون ليشرب
فنجانا من الشاي . يخالف القانون ليضيء النور فى زنزانته .

كان من أكبر متاعبى أن النور ينطفئ فى الساعة التاسعة من مساء
كل يوم . وأبقى فى فراشى مستيقظاً فى الظلام الى ما بعد منتصف
الليل وكنت أضع على وجهى فى طريقى الى جردل البول . ثم استعنت
بشمعة ثم ظهر أن الشمعة ممنوعة .

وبعد مجهودات ومفاوضات ومباحثات وافق المدير على بقاء
النور فى زنزانتى طول الليل باعتبار أن زنزانتى ملحقة بالمستشفى ،
كما جاء فى الأمر الجمهورى ..

وهكذا أصبح لدى وقت أكبر للقراءة والكتابة . وحدث الله على
هذه النعمة . ولكن لا أكاد أحمده الله على نعمة حتى أفتأ بأن هذه
النعمة فى خطر . حدث اليوم أن استدعانى المأمور وقال أن وزير
الداخلية تلقى تقريراً أثنى ألقى صحف العالم ، وأن الاتجاه ،
الى منع الصحف إطلاقاً عني . ونزل على الخبر كالصاعقة .
وأكتب اليك هذه السطور ولا أعرف ماذا سأفعل من غير صحف ،
سأعود الى تهريب الصحف من جديد ، وسوف أعيش أيامى فى نزع
خشية أن يضبطوا الجرائد والمجلات فى زنزانتى .

اننى أحياناً أتصور أن وزير الداخلية لا عمل له فى الحياة الا أن
يتعقبنى داخل الزنزانة .

أن هناك تعليمات مشددة حول طريقة معاملتى بالذات . كل
مرضى السكر فى المستشفى ما عداى . أنا لا أسير الا وخلفى شوايش
وهو نظام متبع مع المحكوم عليهم بالاعدام فقط . المسجونون
العاديون تدخل لهم الأطعمة أما أنا فلا .

المسجونون تدخل لهم البطاطين . وأحضرت لى زينب بطاطين
من البيت فمنعوا دخولها . عندما أذهب الى المحكمة فى قضية صحفية

مرفوعة على أخبار اليوم ، يفسعوننى فى سيارة ، يتقدمها موٲوسىكل
ووراءها سيارة نجدة ، ثم سيارة فيها ضابط مباحث ومعه تليفون .

وعندما أصل الى المحكمة أجد فى انتظارى تسعة ضباط .
يسمح لكل مسجون يذهب الى المحكمة بأن يجلس مع أسرته ،
يمنعون أسرئى وحدى من الحق الذى تتمتع به أسرة كل مسجون .

لا أعرف ما هو السبب فى هذه « الامتيازات » . أنهم يحيطوننى
بأهمية لا استحقها .

لقد اعترف لى أحد كبار الضباط الذين كانوا فى حراستى بأنه فى
حيرة ان الأوامر ان يخفونى عن الناس ، حتى ينسونى ، ويتصورا
لئنئى مت .. وفى الوقت نفسه ينقلوننى الى المحكمة فى موكب
ويخصص . ٤ جنديا وضابط لاستقبالى فى المحكمة .

الرواية لم تتم فصلا !

ليمان طره

٢٤ فبراير سنة ١٩٦٧

يا عزيزتى ..

كنت أعارض فى حضور ابنتى رتيبة وابنتى صفية لتزورائى فى السجن . مضى على أكثر من عام وأنا أعارض فى حضورهما وأنت طحين وهما تلحان . كنت أشفق على الطفلتين الصغيرتين أن ترياينى فى ملابس السجن . وكنت أشعر بوحشة شديدة لهما . وأقاوم خشية أن يؤثر هذا اللقاء المؤلم على نفسيتهما . أنا أرى البهيلة التى يتعرض لهما أولاد وأطفال المسجونين الذين يزورون آباءهم فى السجن . لا أريد أن أرى سجانا يدفعهما بيده . أو أن تشهدا ضابطا وهو يتوقح على أمهما .

كنت لا أريد أن أزيد تعاستهما . كنت أخشى أى عذاب جديد أو اهانة تلحقهما . أن ذلك سوف يزيدنى عذابا لم يكن من أحلامي أن أرزق أولادا . كنت أرى الأطفال جيودا تمنع الحركة وأنا أريد أن أعيش حرا . شعور الأبوة يولد الخوف والتردد . أحيانا يزداد حب الأب فيحوله الى جبان . كنت أحب الا أفتقد شجاعتى وجراتى كنت أرى أن حياتى فى الصحافة هى مغامرة كبرى ، لا يجوز أن أمشى فى النار وفى يدى طفل . كنت أشهد فى طفولتى الذين يذهبون الى المنافى والمشائى والسجون ، لا يخافون على أنفسهم . وإنما يخافون على أطفالهم لا يكون حياتهم وإنما يفرغون الدموع على الذين ستركونهم وراءهم . أفكر حديثا جرى بين أم المصريين صفية زغلول فى ثورة ١٩١٩ مع أحد القداميين القدامى ، فقد كان مكلفا ببهمة كبيرة ، وقبل أن يذهب الى المهمة جاء إليها فى بيت الأمة يقبل يدها ، وينال بركتها . وإذا بها تسأله : هل لك أولاد ؟ فيقول : سبعة .

فتصيح أم المصريين : لا .. لن تذهب أنت . يجب أن نختار
شابا ليس له أولاد !

يومها ارتعشت لما سمع . وتصورت أن عدم وجود أطفال
هو الفرق بين البطولة والجبن .

ولكن الأب الغدائي رفض أن يطيع أم المصريين ، وأصر على أن
يؤدى بنفسه المهمة ، وذهب والقي القنبلة في المكان المطلوب ،
وتبض الانجليز عليه ، ونفذوا في الغدائي حكم الاعدام ..

يومها أخذتنا أم المصريين معها ، وزرنا أرملة الغدائي وحولها
أولادها السبعة ، في بيتها البسيط المكون من غرفة واحدة في شبرا .

وقالت صفية زغلول : ساكون أنا أب اولادكم السبعة .

لعل هذا الحديث ترك رواسب في قلبى الطفل . عاشت هذه
الرواسب معى تنبهنى الى أنه يجب ألا أنجب أطفالا . ولكن شاء
القدر أن أنجب بنتين وأن أعرضهما لما كنت أخشاه على أبناء
الآخرين وعشت أياما طويلة فى قلق . أرجو أن تتم زيارة البنات
على خير ولا تترك فيهما أى عقدة أو آلام . وكنت أخشى أن أضعف
أمامهما بعد مراقبنا الطويل وكنت أخاف أن تنهار البنتان أمامى .
وهكذا أمضيت عدة ليال أفكر فى هذا العذاب المنتظر . وكنت
أقول لنفسى أنك أنت التى وضعتنى أمام هذا الأمر الواقع . ولكن
الله سلم . كانت البنتان فى منتهى الشجاعة . ولاحظت عند نهاية
اللقاء أن ذنوبا بدأت تترقرق فى العيون ، غادرت ظهري وأسمرت
فى الخروج من الغرفة .

نسيت أن أقول لك أننى ذهبت الى المحكمة . وتنزهت فى شوارع
العاصمة ، كان معنا أحد المسجونين ، أمرنا بأن نذهب لنأخذ
من محكمة فى ميدان التحرير ، وهكذا مررت فى ميدان الأوبرا وشوارع
شبابليون . ولم نجد المسجون فى ميدان التحرير . وانتظرنا نصف
ساعة . ثم قيل لنا أنه فى محكمة روض لفرج . ومررنا على
شوارع الجلاء . وخفق قلبى وأنا أمر على دار أخبار اليوم ..

ورأيت البناء الجديد لجريدة الأهرام . أسفت أن اخبار اليوم لم تنفذ مشروع البناء الضخم الجديد الذى أعدناه لها قبل تأميم الصحافة . واصطدمت سيارتنا بتاكسى بقرب المحطة واضطربت سيارات النجدة والحراسة . وتصوروا أن التاكسى جاء يخطفنى . وقبضوا على سائق التاكسى المسكين . ووقفنا بعض الوقت للتحقيق مع المجرم الأثيم سائق التاكسى ولسؤاله هل هو عضو فى العصابة التى ستخطفنى ! ووقفنا بعض الوقت والتف الناس حولنا . ثم استأنفنا السير الى محكمة روض الفرج ولم نجد المسجون . وعندما نهر من جديد على اخبار اليوم والأهرام وأقرا الفاتحة للصحافة المصرية !

وفى كل مرة كانوا يأخذونى الى المحكمة ، كنت أتمنى أن يهروا بى تحت النفق الجديد فى كوبرى قصر النيل . وكنت لا أستطيع أن أطلب من الضابط أن يهرب بى فى هذا النفق حتى لا يتوهم أن العصابة المزعومة تنتظرنى هناك لتخطفنى . ولم أحدث أحدا عن هذه الأمنية طوال ذهابى الى المحكمة وعودتى منها . وفجأة وجدت السائق ينحرف بنا ، ويهر تحت نفق كوبرى قصر النيل . وهكذا يحقق الله لى الامانى الصغيرة ؟ أننى اعتقد أنه سيحقق لى الامانى الكبيرة . هكذا عودتى الله .

تحسن الجو فجأة . لا أعرف السبب . قال لى الدكتور كمال تاسم مدير القسم الطبى أنه صرح لى بثلاث طلبات لطعام السكر من كل نوع فى الأسبوع . أصبح مسموحا لى بأن أتحدث مع المسجونين المعادين وغير مسموح التحدث مع المسجونين السياسيين . ألغيت معاملتى كما يعامل المحكوم عليه بالإعدام ، ولم يعد يمشى ورائى شاكوش يتابعنى كظلى . كنت قد غفشت أن أبقى فى زنزانتى ١٤ يوما ورفضت مغادرتها ، احتججا على القرار ، بالأمشى فى ردهة السجن الا وحدى ، بعد أخلائه من جميع المسجونين . الجميع فى دهشة من قوة أعصابى . أمسكى الخشب .

لم أتبين أننى بقيت مدة طويلة فى السجن الا عندما نظرت الى ثعل حذائى . أن نعلى زوجى الأحذية اللذين عندى ذابا من كثرة

المشي . سوف أحاول أن أركب لهما نعلين جديدين هنا ؛ إذا فشلت
فسوف أطلب حذاءين سوداوين من المنزل ؛ وأن ترسلني الحذاءين
لتركيب نعل كامل . لا نصف نعل فقط .

ان كل خطاب يصلني منك ، أو من أصدقائي ، وأحبائي ، وتلاميذي
هو أشبه بقصيدة حب . ليس فيها قواف ولا موازين . ولكن
فيها عاطفة هي موسيقى الشعراء . أنا عندما أقرأ خطابتكم
أقرأها عدة مرات . كل مرة أجد أنها أشبه بخطاب جديد .

انني لست في حاجة الى كلمات كثيرة لأعرف مشاعركم . كلمة
واحدة بها من حرارة الحب ما يغني عن خطاب طويل . وعندما
تحدثون عن شوقكم أرى في هذه الحروف القليلة قصة كبيرة فيها
وصف الضنى والعذاب والشقاء والسهد والحرمان والقلق الذي
تميش فيه أسرة كل مسجون سياسي . خطاباتنا ليست أسلاكاً
تشحننا الى بعضنا . إنما صور صغيرة للعناء الذي يعيش فيه
الشعب . وعندما أطل على هذه الصور الصغيرة وأحدق فيها ،
تكبر الكلمات ، وتنفذ الحروف ، وتتدأى المعاني ، وتتحول الصورة
الصامتة الى صورة بالألوان لكل ما يجري في البلد من مظالم .
صور ملونة . صور تتكلم وتبكي وتصرخ وتنوح . والذي يجري
بيننا ليس خطابات . أنه حوار . لا ينتهي أبداً . هي قصة هذا
الشعب يكتبها الأحرار والعبيد في وقت واحد . يشترك فيها
المقيدون بالسلاسل الحقيقية ، والمقيدون بسلاسل الخوف وأصفاد
الارهاب !

اننى اشعر أحيانا باننى أشبه ببطل مسرحية .. وانطلقت
رصاصة في صدر بطل الرواية . وسقط على الأرض مضرجا
بدمائه . ثم انسدل الستار . وتصور بطل الرواية أن المسرحية
انتهت . ولكن الجمهور بقى جالسا في كراسيه ، لأنه واثق من
أن الرواية لم تنته ، ولابد أن يفتح الستار من جديد ..

وسيفتح الستار من جديد ..

ان روايتى لم تتم فصولا !

رسالة سرية من إلى صليحي

سجن ليمان طره

اول مارس سنة ١٩٦٧

أخي العزيز

أمضيت معك وقتا رائعا . تلقيت في عيد ميلادنا خمسة خطابات منك في يوم واحد . كانت هذه أعظم هدية في عيد ميلادي . لم أتخيلها ولم أحلم بها . قرأت خطابين منها في يوم عيد الميلاد . الخطابات الثلاثة الأخرى سلمت لي بعد أربعة أيام . لم أتضيق من التأخير . من وقت طويل جدا لم تصلني خطابات منك . كانت الأكلة دسمة بحيث لا يمكن أن أحملها كلها في يوم واحد . عندما سلموا لي الخطابات الثلاثة الأخيرة فكرت أن « أمزمز » بها . أي أقرأ في كل يوم خطابا واحدا . لم أستطع أن أتاوم جومى الشديد لأخبارك . التهمتها كلها في ليلة واحدة . هكذا أمضيت وقتا طويلا معك . مشيت الشوارع معك . أكلت معك . ضحكنا معك . عشت في برجك العساجى معك . ومما يؤسف له أنى محروم من لذة الكتابة اليك باستمرار . أننا افترقنا من قبل . كنا نتكاتب بانتظام . عندما كنت أنا في القاهرة وأنت في الجامعة في إنجلترا كنت أجعلك تعيش حياتى ، وتجعلنى أعيش حياتك . كنت أصحبك الى الصحف والمجلات التى أمهل بها في مصر ، وكنت تصحبنى الى الصحف التى تتردد عليها في إنجلترا ، والى الجامعة والى اجتماعات حزب العمال . وعندما كنت أدرس في أمريكا وأنت تدرس في إنجلترا أو تعمل في مجلة آخر ساعة في مصر كنا نتكاتب كأننا نؤلف كتابا . وكانت كارثة الكوارث أن نتأخر في كتابة الخطابات بسبب انشغالنا في امتحانات الجامعة . أما الآن فقد مضى علينا حوالى العامين في هذا الفراق المرير . لم نستطع أن نتبادل سوى بضعة سطور . عزأؤنا أن رابطة النواثم تجعلنا لسنا

في حاجة الى خطابات لتسمع نقات تلويننا . هذه النقات اشبه
بنقات تلفراف مورس الذي ينقل الحروف والكلمات .

وهكذا نتبادل يوميا عدة خطابات روحية .

دهشت لائك تسألني في خطابك هل أعجبتني معليات طعام
مرض السكر ؟ كتبت عدة مرات لزينب ابدي أعجابي بها وشكري
عليها ، واطالب بالمزيد منها لو كانت هذه المعليات موجودة
منذ اول الامر لوفرت على كثيرا من العذاب والجوع والفول اما
طعامك الصحي فهو شيء آخر . أنك عرفت ما أنا في حاجة اليه
بالضبط . اخترت الحجم الصغير الذي اتمناه . وانا الآن اوفر في
هذا الطعام . فلا آكله بانتظام . حتى لا يجيء وقت تفرغ فيه نجاة
ولهذا أبدل واغير في الطعام . مرة سردين . ومرة فول مدمس .
ومرة طعمية . ومرة بيض . وانا افطر في الصباح البيض باستمزان
يصرفون لي ثلاث مرات في الاسبوع خمس بيضات . وذلك لاني
مريض بالسكر ومقرر للمريض بالسكر فراخ . وحيث أن الفرخة
غير موجودة فيصرفون لي خمس بيضات بدلا من الفرخة . بحكم
أن الككوت يخرج من البيضة ..

وعندما احتاج الى بيض اشترى البيضة بسيجارة بلمونت .
البلمونت هي العملة الصعبة المعترف بها في السجن . أنت تغسل
الهدوم بالسجائر وتكوى الملابس بالسجائر ، وتدفع أجرة تنظيف
الزناينة بالسجائر ، وتفتح باب الزناينة في غير المواعيد المقررة
بالسجائر ايضا . ومن المؤلم أنك تجد بعض المسجونين المرضى
يبيعون طعامهم مقابل سيجارة . يفضل الواحد منهم أن يحرم
نفسه من رغيف الخبز في مقابل سيجارة بلمونت ..

قبل دخولي السجن كنت اشرب الشاي كل صباح . بعد
دخولي السجن امتنعت عن شرب الشاي . لم اشرب فنجانا واحدا
لأن الشاي ممنوع . واذا ضبط الشاي عند مسجون وضعوه
في « جب » التأديب . وانا افضل أن اذهب الى التأديب من أجل
خطاب اكتبه أو مقال اكتبه . لا من أجل فنجان شاي !

انا استيقظ في الصباح عند صلاة الفجر . أشهد شروق الشمس .
أذيل انه سيحيى يوم تشرق فيه شمس الحرية على محر كلها .
يوما سينتهى الظلام . سينتهى الخوف . لن يتكلم الناس وهم
يهمسون . لن يلتفتوا حولهم قبل أن يعلقوا كلمة . سيعود الناس
يطمئنون الى بعضهم البعض . ستعود الثقة بين الناس . سيعود
للقاتلون احترامه . لن تبقى البنادق موجهة الى صدور الشعب
بل ستوجه الى العدو كل مرة تشرق الشمس تقول لى أن الحرية
قادمة في الطريق .

اننى استمع الى الاذاعة من ساعة معلقة الى جانب زنزانتي .
صوتها مزيج ترتطم الأنغام بالقضبان فتحول صوت المطربة نجاة
الهامس الى صوت يشبه الرعد ، استمع الى القرآن وأحاديث
دينية ، وعناوين الصحف ونشرة الأخبار . أحيانا السجان
المكلف بالراديو لا تعجبه عناوين الصحف ، فيخلق الاذاعة وأحرم
من سماع هذه المناويل ، أو نشرات الأخبار ، أحيانا تأخذ
السجان نومة فينسى أن يفتح الاذاعة فلا نسمع القرآن .

عندى فى غرغتى تواليت عبارة عن قصرية خاصة بالمستشفيات .
وذلك أن دورة المياه موجودة فى الطابق الأرضى وزنزانتي فى الطابق
الرابع ومريض السكر يذهب كثيرا الى دورة المياه . وغير معقول
أن أنزل أربعة طوابق ، ثم اصعدا كلها أردت أن اذهب الى
دورة المياه . غير مصرح أن أبقى فى زنزانتي أية أطعمة أو معلبات
كل معلباتى موجودة فى مخزن . يحدث أحيانا أن أنسى قبل
أن أغلق الزنزانة أننى محتاج لكبريت أو محتاج لسجائر ، وعندئذ
أقع فى حيص بيص ..

رتبت حياتى هنا . كيفت نفسى على ظروف السجن . أصبحت
الاشياء الصغيرة تسعدنى . اشياء كانت تبدو لنا تافهة فى عالم
الحرية . وجود السيارة التى ادخنها يسعدنى .

وجود ما أكله اليوم يسعدنى . وصول خطاب يجعلنى أسعد
رجل فى العالم . فى كل يوم أنتظر شيئا . أنتظر خطابا . أنتظر

تهريب خطاب الى خارج السجن . أنتظر تهريب طعام الى داخل السجن . أنتظر وصول لفة فيها صحف ومجلات . أنتظر رسالة فيها اخبار عما يجرى في البلد . وهكذا يطير اليوم في الانتظار واللهفة ، والتوقع والترقب . كأننى اتمنى كل لحظة أغنية أم كلثوم « أنا فى انتظارك » . فلا أشعر بالملل . لا أحس بالضيق . ولا العن الزمن . ولا أتعبل الأحداث ..

أئننى أتابع الاخبار ، التقطها . أجمعها . أناقشها . أعلق عليها . أحاول أن أعرف أخبار الغد من ثانيا أخبار الأمس . أشعر بأننى ما زلت فى مكتبى بأخبار اليوم . لا تزال الأنباء تجيء لى من كل مكان . من أصدقائى من تلاميذى من الصحف والاذاعة . من أنواه الناس . لا أظن أننى فى عزلى أكثر جهلا بأحداث بلادى من الذين يعيشون فى عواصم الاخبار . كثير من التنبؤات التى أحدث بها نفسى أو زملائى المسجونين السياسيين تحدث فعلا بعد أسبوع أو أسبوعين . أشعر بسعادة عندما أجد أننى ما زلت أستطيع أن أستنتج الأحداث قبل وقوعها . وأننى لم أفقد فى السجن ملكة التمييز السياسى أو التفكير الدولى .

ولكنى اتمنى أن أكون هذه المرة مخطئا فى تقديرى وفى نبوءاتى . أننى أشم رائحة كارثة فى طريقها الى بلدنا . كارثة سياسية أو كارثة عسكرية أو كارثة اقتصادية لا أعرف . المهم أن بوصلة الأحداث تشير الى هذا . لا أعرف هل ولاة الأمور عندنا يشعرون بها ، أو يتنبهون اليها ، أو يستمدون لها ؟ جو الارهاب يجعل الشعب يفقد النطق ، ولكنه فى الوقت نفسه يجعل الحكام يفقدون الرؤية !

انتصاراتهم الوهمية على ضحاياهم تعبهم عن الهزائم الحقيقية التى يعيشون فيها . الدولة التى تقوم على الخوف لا تستطيع أن تصمد ، وإنما تستطيع أن تركع . من تتبع تعليقات الاذاعة وما تكتبه الصحف لاحظ أن الحكام مخبورون بالسلطان . خبرتى أن السلطان كالخبر القليل منها قد ينمش . والكثير منها يذهب بالمقل ! هل معنى هذا أننى وحدى الذى أرى الحقيقة لأننى لا أشرب الخمر . أم أن هناك غيرى يرى الذى أراه ، ويخاف أن ينطق بالحقيقة ، وينبه الى الكارثة المنتظرة خشية أن يجد نفسه معى فى ليان طرده !

أرجو أن أكون مخطئاً هذه المرة في تقديري السياسى ، وأن يكون
جو الزنزانة الكتيب هو الذى لون فكرى بهذا اللون الأسود
القاتم المشائم .

أننى أسمع صوت أم كلثوم باستمرار . عشرات الأغاني التى
أسمعها لى معها قصص وذكريات ، أنا أسمع صوت أصدقائى فى
الإذاعة . صوت جميع تلامذة أخبار اليوم . أصواتهم اخترقت
الجدران والأسوار ووصلت الى فى زنزانتى . أنا أسمع هذه الأصوات
بطريقة تختلف عما يسمعه الناس . كل كلمة أفهم معناها . ماذا
وراءها . ماذا قال وماذا لم يقل !

استدعائى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء السجن ،
وقال لى بجفاء : أخلع جاككتك . .

وخلعته . .

قال لى بجفاء أكثر : أرتد على سرير الكشف .

ورقدت فى ذهول . .

وأمسك سماعة الكشف ووضعها على صدرى ، ومال برأسه
على وقال هامساً :

— مندى رسالة لك . .

قلت هامساً : ممن ؟

قال : من أم كلثوم . أنها تقول لك أسمع حفلتها الليلة فى الراديو
أنها ستغنى أغنية الاطلال . فيها بيتان موجهان اليك ؟

قلت : ما هما البيتان ؟

قال : لا أعرف ! أننى قابلتها منذ صديق لى ، وعندما عرفت
أننى طبيبك فى السجن كلفتنى أن أحمل لك هذه الرسالة السرية !
ومدت الى زنزانتى وانتظرت حتى جاءت حفلة أم كلثوم وبدأت
بم كلثوم تغنى أغنية الاطلال . .

وفى اول الامر لم اجد شيئاً !
ثم وجدت البيتين ..
اعطني حريتي ! اطلق يديا
اننى اعطيت .. ما استيقيت شيا
آه من قيدك ادمى معصمى
واحسست ان هذه الابيات تمثل صورتي وأفكارى
ولم تكن أم كلثوم فى حاجة الى رد .. لأن « الرد خالص » .

حارس الجنة - في السجن !

سجن ليمان طره

١٨ مارس سنة ١٩٦٧

عزيزتى

خفتت الأصوات . ثم سكنت . أغلقت أبواب الزنانات . ملا
زنائتى الصغيرة صمت رهيب . الساعة حوالى الرابعة بعد
الظهر . لن تفتح أبواب زنائتى الا صباح اليوم التالى . اى بعد
حوالى ١٦ ساعة . هذه فرصتى اليومية لاخلو بنفسى . الاذاعة
سكنت هى الأخرى . لا أسمع الا دبيب اقدام الحارس يروح ويجىء
أمام الزناتين . ثم أسمع صوت مسجون من الدور الأرضى يصيح
« المسجون فلان وفلان وفلان سيدخلون جهنم السوداء
وجهنم الحمراء » و « فلان وفلان وفلان سيدخلون الجنة » ا فى مثل
هذه الساعة من كل يوم يعلن هذا المسجون قائمة بأسماء مسجونين
سيدخلون الجنة ، ومسجونين سيدخلون النار . ويفرح الذين
سيدخلون التعميم . ويحزن الذين سيدخلون الجحيم ! ومن الغريب
ان هذا المسجون الذى جعل نفسه حارس الجنة يهودى اسمه
أورى محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ! والمسجون الذى
يعطيه سيجارة يدخله الجنة ، والمسجون الذى لا يعطيه سيجارة
يدخله النار . وهو ثمن زهيد جدا لدخول الجنة . ولكن فى السجن
يرتفع ثمن السيجارة وتشجع ، ويفضل البعض منهم ان يذلخوا
جهنم ومعهم سيجارة !

ولم يفكر احد المسجونين فى ان ينازع هذا المسجون اليهودى على
لقب حارس الجنة ، وينتزع منه هذه التجارة . فقد سلموا امرهم
الى الله . ورضخوا لحكم هذا المسجون الذى استطاع بذلك ان
يقيم لنفسه تجارة رابحة بغير رأس مال !

- ٢٥٧ -

ثم يبدأ صراخ المسجونين يطلبون من الحارس أن يضيء النور في الزنازين . بدأ الظلام يطل برأسه من القضبان . المسجونون يريدون أن يبدأوا في طهي طعامهم . لا أحد يرضى أن يأكل طعام السجن البارد الذي لا طعم له . كل مسجون يحاول أن يجعل طعامه ساخنا ومستساغا ، الطعام يوزع على المسجونين عند الظهر . الجو البارد يحول الفول المدمس الساخن أو الفول النابت ، أو الكرات المخبوخ أو فروع الفجل الى شيء من الدندرة أو الايس كريم مخلوطة بالتراب . ومن هنا يواجه كل مسجون بمشكلة النار . النار ممنوعة . والطعام لا يمكن أن يؤكل باردا ، ويتمنى المسجون لو أن حارس جهنم أدخله الى النار فعلا حتى يستطيع ان يطهى طعامه أو يسخنه على لهيب النار . ولما كانت الحاجة كم الاختراع فقد حول بعض المساجين السياسيين الملبات الفارغة الى « وابور جاز » يسمونه « التوتو » يضيفون اليه بعض خيوط الفزل، ويسكبون فوقها قليلا من الغاز ، ثم يشعلون النار ، ماذا امامهم فعلا وابور غاز أو بوتلجاز !! ولكن « التوتو » لا يحل مشكلتهم ، بل يبدأها - التوتو ممنوع . ومن يوم لآخر يهاجم الحراس الزنازين ، يصادرون كل « توتو » فيها ، أو كل علب فارغة ممكن أن تتحول الى توتو . ويدوس الضابط بقدمه على التوتو حتى يتحطم نهائيا . ولا يكاد يخرج الضابط حتى يبدأ المسجون بصنع « توتو » جديد . والغاز ينترقه المسجونون من المطبخ . وللغاز بورصة مثل بورصة القطن أو بورصة الأوراق المالية وأسعار الغاز ترتفع وتنخفض طبقا لنجاح المسجونين أو فشلهم في سرقة الغاز من المطبخ . وعندما لا يجد المسجون أمامه « التوتو » يشعل الصحف . ولقد اشتغلت بالصحافة سنوات طويلة . والقيت محاضرات ودروسا كثيرة عن فوائد الصحافة . ولكني لم أعرف من قبل أن المسجون يفضل الصحيفة ليحرقها على أن يقرأها . وهنا أزمة في ورق الصحف . إدارة السجن تسترد الآن الصحف بعد قراعتها من المسجونين لبيعها بالآلة . ويفعل بعض المسجونين شيئا غريبا عندما لا يجدون توتو . بعضهم يحرق البطاطين التي يغطي بها في البرد ويستعملها بدلا من وابور الغاز . يفضلون أن يناموا وفي بطونهم طعاما ساخنا ويرتعدون من البرد ، على أن يغطوا بالبطاطين ويشعرون بالدفء ، وفي بطونهم طعام بارد . تستغرق مشكلة الطعام ساعات طويلة . من تفكير المسجون كل يوم : لماذا يأكل مشكلة . وكيف يطهى

طعامه مشكلة . وكيف يحصل على الغاز اللازم مشكلة . وكيف يخفى النار بحيث لا يتسرب الدخان من نافذة الزنزانة مشكلة المشاكل . وقد حلت لنفسى مشكلة الطعام ، وعودت نفسى على أن اتناول الطعام باردا . .

وبعد أن تسكت عملية الطهى ، وغسل الأطباق ، يسود السجن هدوء مهيبت ، وفجأة يخترق هذا الظلام صوت مسجون يصيح « عاوزين نروح يارب » ! ومع أنه صوت مسجون واحد ، إلا أنه يرن فى الأذن كأنه صوت كل مسجون . أن مئات المسجونين يرددون هذا النداء فى سريرتهم . ولكن هذا الصوت وحده هو الذى ارتفع فى السجن ليصير عن مشاعرهم كلهم . ويعود الصمت والسكون . وفجأة يرتفع صوت آخر فيه لوعة وحسرة وأسى وانكسار ويقول « أولادى وحشونى قوى ! » تهتز أسوار السجن التى لا قلب لها لهذا الأتني . وتحس أن فى كل قلب مأتبا . ويعود الصمت رهيبا كئيبا . كان كل من فى السجن يشيع جنازة . يمشى وراء نعش . وكأنه هو داخل النعش . هو الميت والمشييعون معا . . !

ويرتفع صوت مسجون ينادى أحد الحراس الواقفين فوق الأسوار لينادى الحارس المسئول عن الإذاعة أن يفتح الراديو لنسمع القرآن . ويدوى صوت ميكرفون السجن بالقرآن الكريم . ويعود الى زنانات السجن هدوء مريح . وآيات القرآن أثسبه بمناديل تجفف الدموع من العيون ، وتمسح الدم من جراح الأرواح . تلاوة القرآن تترك فى قلوبهم رهبة ومهابة وجلالا وهدوءا وراحة واطمئنانا . هى مكمدات توضع فوق جروحهم . مسكنات تخفف آلامهم . كثير من هؤلاء المسجونين لا يروا الله الا فى السجن . . ولد آيائهم الحقيقى فى داخل الزنزانة . أنهم لا يخادعون الله . إنما يؤمنون بأن أحدا على الأرض لن يستطيع أن يقتزعهم مما هم فيه . يد واحدة هى التى تستطيع أن تفتح باب السجن . ليست يد القضاة ، ولا يد الحراس . وإنما هى يد الله ، ومن هنا لما أسمع اسم الله فى داخل اللبمان أكثر مما أسمع فى المسجد أو الكنيسة أو دور العبادة . الله هنا بلا علماء دين ولا قسيس ولا وسطاء . بعض هؤلاء يسمعون القرآن ولا يفهمونه . ولكنهم يشعرون بأنهم يسمعون صوت الله . الخائفون منهم يطمئنون اليائسون يحلمون . .

التعساء يرون شعاعا من النور في الظلام . أنهم غرقى في بحر واسع لا ساحل له . ولكنهم يؤمنون بأن هذه الآيات هي لطواق النجاة ، تحبلهم الى شواطئ الأمان . وقد لا تكون الشواطئ على الأرض ، وانما في السماء .

ومع ذلك فهم شواطئ على كل حال !

هناك مشكلة أخرى يواجهها المسجون هي مشكلة النوم . الولى المسجونين ينامون على الأرض . المريض هو المحفوظ الذى ينام فوق مرتبة ، والمريض جدا هو السعيد الذى ينام على سرير ومرتبة . عند هؤلاء لا يتجاوز خمسة أو ستة اشخاص بين خمسة أو ستة آلاف مسجون ! هنا عدد قليل جدا يعد على أصابع اليد ينام على مرتبة فوق الأسفلت . عندما اشتد البرد في هذين اليومين جاءت قوة من الحرس الى المنبر الذى نقيم فيه ، سحبوا المراتب من الذين ينامون فوق المراتب ، وتركهم ينامون على الأسفلت . ثم جاء المرضى الى مستشفى المنبر الذى أقيم فيه وسحب المرتبة من تحت مريض التيفود ، وتركه نائما على السرير بغير مرتبة ! وهكذا أصبح الحديث فى السجن كله عن المراتب . كنا فى أحد دواوين الحكومة حيث لا حديث بين الموظفين الا عن الدرجات والعلاوات . واصبحت مشكلة كل سجين كيف ينام فى هذا البرد . كيف يجد بطانية يضعها تحته وبطانية يضعها فوقه . أو يضع البطانتين فوقه وينام على الأسفلت ! من الغريب الا تثار هذه المشكلة الا عندما يشتد البرد القارس ، وبعد أن تحولت الزنزانات الى فلاجات . وأغرب من هذا أن لدى إدارة السجن مراتب وسراير وبطاطين تكفى جميع المسجونين . ولكنها ملقاة فى المخازن . بينما المسجونون ينامون على البلاط . وإدارة السجن معذورة ، والأطباء معذورون ، فاللوائح والتعليمات تعتبر النوم على سرير حديد ترما ما بعده ترفة كالنوم فى جناح ملكى فى فندق شبرد أو هيلتون ! .

وعندما اشتد البرد منذ بضعة أسابيع جاءت قوة من الحرس وسحبوا البطاطين الزائدة من المسجونين . وكان بعض المسجونين قد اشترى بطاطين زيادة ، بسعر عالية سجائر بلونت للبطانية . وجمعوا البطاطين الزائدة ، ووضعت فى المخزن ، ونام المسجونون

على الأسفلت وهم يرتعشون ... ثم بدؤوا يبيعون البطاطين
للمسجونين من جديد ! وكلما احتاج رئيس المرضى لمبلغ من
المال طلب سحب البطاطين لتبدأ بعد ٢٤ ساعة عملية البيع
والشراء !

ومن الطريف أن الأهرام والأخبار والجمهورية نشرت بالمناوين
الكبيرة منذ شهر أن شعراوي جمعة وزير الداخلية زار لبنان
طره وأمر بأنه ابتداء من ذلك اليوم لن ينام مسجون واحد على
الأرض . بل سينامون على سراير من الواح الخشب !

وصدق القراء الطيبون تصريح الوزير !

وقال لي أحد الضباط ساخرا :

— ستوزع البطاطين على المسجونين كما توزع الحريات على
الشعب !

قلت : لست أفهم !

قال الضابط : ألا يقال للشعب كل يوم أنك تتمتع بالحريات
ولا يرى الشعب أى حرية .. هكذا يقول لكم الوزير سوف تتمتعون
بسراير ، ولن تروا السراير !

وفعلا لم ير المسجونون السراير ! بل الذى حدث أنه في اليوم
التالى للتصريح الوزارى الخطير ، بدلا من أن توضع سراير الخشب ،
جاء الحراس وسحبوا البطاطين من المسجونين وناموا على
الأسفلت !

وهكذا استمتعوا بالحريات !

المسجون هنا يدعو الله أن يصيبه بالمرض ليستريح من لعنة
الاشغال الشاقة وكسر الأحجار في الجبل ، أو ليجد مرتبة لينام
عليها ، أو ليجد طعاما كافيا . أصبح بعض المسجونين يحاول أن
يصاب بالسل ، ويمضهم يحاول أن يصاب بالجرب ، وآخرون
يضعون أصابعهم تحت مجلات مطار السكة الحديد في الجبل ، أو
في تروس بعض الآلات التى يعملون عليها ، ليعفوا من العمل
الشاق في كسر الأحجار .

وتنفق الدولة الوف الجنيهاً في علاج المسجونين المسلولين والمرضى ، مع انها لو صرفت لهم السراير والمراتب والبطاطين لوفرت مئات الالوف من الجنيهاً .

أخشى أن اكون اطلت عليك في وصف الحياة في السجن . اننى احرص دائماً على أن تعرفوا صورة الجو الذى أعيش فيه . اننى أرى أباى وحولى كل لحظة صوراً كثيفة للتعاسة والبؤس والذل والشقاء . قلبى لا يبكى على نفسى ، بل أبكى للآخرين واتعذب لعذابهم أرتمش من البرد لأجلهم . أشعر كل يوم بأننى أجرمت في حقهم عندما كنت مطلق السراح ، ولم أقم في صحفى بحملات من أجل اصلاح السجون . الله شاء أن ادخل السجن لأرى بعينى ، وأمس بنفسى ما كان من المستحيل أن أصدقه أو أتصور أنه يحدث في القرن العشرين . أخشى أن يكون السجن هو صورة للمجتمع . وما يحدث هنا هو نفس ما يحدث في المستشفيات العامة والمصحات والملاجئ . بل ربما في القرى والريف . أننا في هذه السنوات أطعمنا الشعب كلالاً . الوعود كلام . والمشروعات كلام . والاصلاحات كلام في كلام !

وسوف نستيقظ ذات يوم ونكتشف أننا لم نخدع الشعب فقط . . بل أننا خدعنا أنفسنا أيضاً !

المريض في السجن

سجن ليان طره

١١ أبريل سنة ١٩٦٧

عزيزتي

اليوم عيد رأس السنة الهجرية ، احتفل السجن بهذا اليوم المبارك احتفالا غريبا . صدرت الأوامر بالغاء فصحتنا اليومية في فناء سجن السجن لهذه المناسبة السعيدة ! المفروض في الأعياد أن يمنح المسجون حرية أكبر ، ولكن قائد العنبر رأى أن يحول العيد الى قيود أكثر ومضايقات أكثر . بعض الطغاة الصغار يحتفلون باذلال الضعفاء . انها عقدة العبيد الذين يصبحون طغاة صفارا . ويستثمرون عبيدا لطفاة أكبر منهم .

أمضيت اليوم في استقبال عدد من زملائي المسجونين الذين جاءوا الى زنزانتى لتهنئتي بالعيد متحدثين التعليقات بأن زنزانتى منطقة حرام ممنوع الاقتراب منها . أمضينا الوقت نضحك وتبادل الذكريات . سألنى أحد المسجونين السياسيين اليائسين : هل لنا مستقبل ؟ قلت : نعم ! قال : والطغاة الصغار الذين يستبدون الآن هل لهم مستقبل ؟ قلت : لهم ماض ! قال : كيف ؟ قلت : المستقبل للحرية . قال : اننى أعتقد أنه لا مستقبل للحرية في بلادنا . قلت : لابد أن تشرق شمس الحرية ! قال : متى ؟ قلت : بعد ثلاث سنين . بعد خمس سنين . بعد عشرين سنين لا أعرف . قال ستكون قد متنا جميعا في زنزيننا . قلت : أن نموت قبل أن ننفذ الذين ظلمونا ! قال : سأكتب هذه النبوءة عندي ! قلت أكتبها وسوف أكتبها أنا أيضا . !

ان مشكلة الطعام قد حلت . زملائي المسجونون يغفروننى بهدايا.

كل مسجون تزوره أسرته وتقدم له طعاما يصمم أن يشاركه فيه .
في هذا الأسبوع أكلت يوما فراخا ومحشى ، وفي يوم ثان فاسوليا
باللحم ، وفي يوم ثالث فراخا . ومما يؤسف له أنني أتبع رجيمًا
حادا ، ولا أستطيع أن أكل الدبسة والنشويات والحبوى والأطعمة
الفاخرة ، وأحضر لى أحد المسجونين ملوخية وأصر على أن أجلس
معه وأكل منها . اعتذرت عن عدم أكلها لأننى لا أكلها أبدا
أكلتها وعمري سبع سنوات وأصبت بمغص فلم أنقها بعد ذلك .
دهش السجين وقال أنني أول آدمي أقابله في حياته يرفض أن يأكل
الملوخية ، وأن حماره هو الآخر يرفض أن يأكل الملوخية ، وهكذا
وجدت زميلا لى لا يأكل الملوخية !! ومسجون آخر أحضر لى كبدة .
وثالث أحضر لى لحمه رأس . ورابع أحضر لى « فطير مثلثات » .
وقلت لهم أن مرضى بالنقرس يمنعنى من أكل هذه الأطعمة . وأكد
لى أحد المسجونين أن لحم الرأس فيها من الفيتامينات والهرمونات
والبنسلين أكثر مما هو موجود فى صيدلية مستشفى قصر العبنى !
ويظهر أن صيدلية قصر العبنى ليس فيها أدوية على الإطلاق !

المصرى كريم بطبعه . الفقير يسعده أن يقتسم معك رغيف العيش
الواحد الذى يملكه . أنه يشعر بأنه يملأ بطنه عندما تملأ أنت
بطنك بطعامه . هذه النخوة والشهامة والكرم والمروءة التى بدأت
تختفى بحكم الإرهاب خارج السجن ، لا تزال موجودة بكثرة داخل
السجن . الصداقة لا تزال موجودة . كتمان السر . الثقة .
الشجاعة محبوبسة معًا فى الزنازين . وبهذا نراها هنا بكثرة .
كنا نسمع فى الماضى قصصا كالأساطير عن غروسية أجداننا . عن
بجار يعرض نفسه للموت من أجل جاره . عن صديق يضع كل
ثروته ضمانة لتجارة صديق ، وتضيق الثروة ولا يلوم الصديق .
عن أسرة يموت عائلها فتجد العون يمتد إليها من كل يد فى القرية .
هذه الأساطير لا تزال تعيش داخل السجن رغم العنف وسوء
المعاملة وشظف العيش والاستبداد والقسوة ، وأنظمة السجون
التي وضعها غلاة من المجرمين لتطبق على مجرمين أقل إجراما !

أننى أعيش فى السجن مع شخصيات غريبة . أجده متعة فى
قراستها . المسجون الذى يتولى الآن تنظيف زنزانتى هو قاتل متهم
بقتل خمسة أشخاص . وهو شخصية وديعة طيبة . فى منتهى

الرفقة والدمائة . واعتقدت انه مظلوم . ولكنه أكد لى انه لم يقتل خمسة اشخاص . وانما قتل سنة ! وهو لا يعرف لماذا قتلهم . انه قتلهم لله ! رآهم يهينون فى القبط صديقا له . السديف نسعيف لم يستطع ان يرد الاهانة . كل ما فعله انه بكى وقال يا رب انتقم لى ! اعتقد صاحبنا القائل ان النداء موجه له . اختبأ فى الذرة واطلق بندقيته على الخمسة فقتلهم جميعا . قبض على نصف القرية لان أحدا لم يتصور ان فى امكان ولد صغير ان يقتل خمسة اشخاص ذمعة واحدة . ائكر الكل واعترف هو وحده . حكموا عليه بالاعدام ، واستبدل حكم الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة لسفر سنة !

الذى يحمل لى البيض كل يوم هو شاب محكوم عليه بالمؤبد ،لانه قتل احد اصدقائه ، وقطع جثته الى اجزاء صغيرة . الشاب يبدو وديعا . ليس فى ملامحه شيء من ملامح السفاح او سفك الدماء الذى تحدث عنه العالم فرويد . وجهه اشبه بوجه طفل . كل اجرامه يظهر فى انه يجد لذة فى سرقة طعام المسجونين او مضالطهم فى الحساب ! لا احد يجرؤ على ضبطه خشية ان يقتله ويقطع جثته الى اجزاء صغيرة .

المسجون الذى يسمح بلاط الردهة امام زناتتى كان مسجوننا فى جريمة سرقة . وكان محكوما عليه بالسجن ثلاث سنوات . ثم لاحظ ان احد الحراس يسمى معاملة المسجونين ويبطش بهم ويتعمد اذلالهم . ولم يصب هذا المسجون بشيء من هذا البطش والهوان ، ولكنه غضب من اجل مظلومين لا يعرفهم ، ولا يعرف اسماءهم ، فتقدم نحو الحارس وراح يطعنه بسكين حتى اسلم الروح ، وحكم على الشاب بالسجن المؤبد . ومن الطريق انهم يسمونه فى السجن « أبو الأنوار » باسم الحارس الذى قتله !

واتمنى فى ردهة السجن مع بعض المسجونين ، ومن بينهم عز الدين عبد القادر الذى أطلق الرصاص على الزعيم مصطفى النحاس ، لأنه وقع معاهدة سنة ١٩٣٦ وحكم عليه يومها بالسجن ثم صدر عفو عنه . وبعد ذلك سافر الى العراق واصدر كتابا ضد الحكم الحاضر ، ثم التقى فى المغرب بالرئيس جمال عبد الناصر فترحب به الرئيس ودعاه الى العودة الى مصر ، وصديق عز الدين

وعاد الى معسر ، فقبض عليه في المطار ، وقدم الى المحاكمة وحكم عليه الدجوى بالمؤبد ، وهو حفيد الزعيم احمد عرابى . وكلما يرانى يضحك ويقول : من سخرية القدر ان يجتمع حفيد عرابى وحفيد سعد زغلول في سجن واحد !

ومعنى رجل مؤدب لطيف اسمه محمود مصطفى ، وهو من اعيان محافظة القليوبية . هدده أحد قطاع الطرق بالقتل ، فأطلق عليه الرصاص دفاعا عن النفس ، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات . وتحسن أن هذا الرجل لا يستطيع أن يقتل فرخة . وتعجب أن يكون مثل هذا الرجل الوديع قاتلا . وتسأله فيقول لك أنه شخصيا لا يعرف كيف حدث هذا . لا يصدق أنه قتل . لقد رفع البندقية ليهوش بها فانطلقت الرصاصة ! ان عددا غير قليل من الذى اعترفوا بانهم قتلوا يقولون انهم فعلوا ما فعلوه في لحظة جنون . ربما لا تستبر أكثر من دقيقة واحدة . وبعدها فيفتقون ليكتشفوا هول ما فعلوه . بعضهم لا يصدق أنه فعل ذلك . انهم ينصحون من يفضب بأن يعد من واحد الى عشرة قبل أن يطلق مسدسه أو بندقيته ، وهم يؤكدون أنه سوف يعدل عن القتل قبل أن يصل الى عشرة ! ويبدو أن حياة كل واحد منا « ثانية » مجنونة ، يتوقف فيها العقل ، وسيء الحظ هو الذى تطول لديه هذه « الثانية المجنونة » لتصبح دقيقة ، وعندئذ تقع الكارثة !

وصلت الى نتيجة غريبة من أحاديثى مع المسجونين . الاغلبية الكبرى منهم من الناس الطيبين . وهم لا يقتلون طيبة وخلقاً ونبلًا من أشخاص خارج السجن لم يرتكبوا جرائم . أو ارتكبوا جرائم ولم يضبطوا . أو ضبطوا ولم يحكموا . الناس هنا صورة كاملة للمجتمع . اغلبيتهم أخيار . قليل منهم أشرار ، جرائمهم ليست جرائم أصيلة ، بعضهم أصيب بالجريمة كما يصاب الانسان بمرض طارىء . المرض ليس مزمنًا . فهو لا يبقى مجرماً طول حياته .

في الطابق الرابع الذى أقيم فيه خمسة من المسجونين السياسيين المرضى . وجعلوا هذا الطابق المستشفى السياسى حتى لا ينقلونا الى مستشفى السجن ونتمتع ببعض الحرية . جارى في الزنزانه هو الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين

والمستشار السابق في محكمة النقض والابرار . عمره حوالى ٧٥ سنة . انهم صرفوا له بذلة سجن بيضاء حقيرة . منعو عنه ادويته التى يعالج بها . مضى عليه عامان كاملان لم يسمح خلالها لزوجته أو اولاده بزيارته . مضى عليه عامان ممنوع من أن يكتب لأسرته خطابا أو يتلقى منها خطابا . لم يسمحوا لأسرته بأن تحول له « امانات » في السجن كما يسمحون للمسجونين القتلة واللصوص والسفاحين ! لا يملك مليها ليشتري صابونة ! لا يملك مليها ليشتري سيجارة ! يأكل طعام السجن الذى ترفض أن تأكله الكلاب ، بلا شكوى ، وبلا ثمر ، بل يحمد الله على هذا الطعام اللذيذ !

بهرنى هذا الرجل بصموده وإيمانه وصبره . انه اقوى من السلاسل والقيود . أصلب من قضبان الحديد في زنزانته . لم يفقد أبدا ابتسامته . ولا نظرة السخرية بكل الطغيان الذى يراه حوله . ولا يسمحون له أن يذهب الى الطبيب رغم امراضه المتعددة . ولا يسمحون له بأن يجيء بطبيب على حسابه . ان المسجونين السياسيين لم يعاملوا في أي عهد من العهود ، حتى في عهد الاحتلال البريطاني ، بهذه المعاملة الوحشية . في كل يوم يتلقى السجن أوامر شغبوية وتحريرية بالبطش بالمسجونين السياسيين ، وتضييق الخناق عليهم ، والامعان في التفتيش بهم !

وقد كنت امضى أغلب وقتى مع المسجون حسن الهضيبي في زنزانته ، ماذا اغلقوا علينا الزنازين التقينا في نافذة الزنزانة وأكملنا الحديث بين القضبان الحديدية .

والى جوارنا تاجر من السويس مريض بالمalaria ، وصاحب جراج مريض بالسسل ، وعامل نسيج من المحلة تحطم عموده الفقرى من التعذيب ، وهو عبد الغفار الششتاوى ، العامل بالمحلة الكبرى ، وبعد ذلك بزنازين المسجون السياسى محمد صفقى عبد العزيز ، وهو موظف بشركة لقطان ، هذبوه في السجن الحربى بطريقة وحشية ، حتى حطبوا عموده الفقرى ، وأصبح عاجزا عن الوثوق على قدميه ، وعاجزا عن المشى ، ويحمله زملاؤه على مقعد ، وينزلون به أربعة طوابق ليذهب الى دورة المياه ، ثم يحملونه بعد ذلك أربعة طوابق الى فراشه في الزنزانة .

وبتقريبنا أيضا المسجون السياسى سامى سلام ، وهو موظف في
الأوبرج ، ومريض بالتيفود ، وتهمة أنه كان مرشحا وزيرا للخارجية
في انقلاب عسكري بلا عسكر !!

ثم بعد ذلك خمسة وثلاثون زفزانة مغلقة . أنتى أمضى يومى كله
مع هؤلاء المرضى . ومن سوء حظى أنتى لا أطيق أن أرى انسانا
وهو يحقن بحقنة عادية ، حتى ولو كانت حقنة بنسلين . وشاء
قدرى أن يكون كل جيرانى من هؤلاء المعذبين المرضى . رؤية هؤلاء
في ألامهم تعذبنى أكثر من عذاب السجن ، ويتضاعف عذابى عندما
أرى الإهمال المتعمد في علاجهم أو العناية بهم . كثيرا ما سمعنا أن
الرحمة فوق العدل . هنا لا نجد رحمة ولا عدلا . بل قسوة وظلم .
هنت واستبداد . لو أن لجنة حقوق الانسان دخلت الليمان وراة
كيف يعامل المسجون السياسى لأغوى على أعضائها من هول
ما يرون 4

أشهر لحظة رياضية

سجن ليمان طره

٢٨ أبريل سنة ١٩٦٧

عزيزتى

كنت اليوم في مستشفى السجن ودخل علينا الضابط محمد كمال الدين يقول :

— انتم هنا والدنيا مقلوبة !

— ماذا حدث !

— وجدنا أن عدد المسجونين يزيد واحدا عن العدد الرسمي الموجود . صدرت الاوامر بأن يذهب كل مسجون فوراً الى زنزانته ، ونطلق عليه بالضربة والمفتاح ، ونخلى جميع ردهات السجن من المسجونين ..

وهروا لنا عائدين الى الزنازين ..

وراح الحراس ينفخون في البورى علامة الخطر ! والحراس يجسرون فوق الاسوار حاملين بنادقهم ومدافعهم الرشاشية ثم يزومون بصوت غريب كالصوت الذى يصرخ به طرزان فى انسلام للسنيما . وقيل فى اذاعة السجن أن هناك « كبسة » .. ومعنى كبسة فى لغة السجن أن شيئاً غير عادى قد حدث !

وبدا الضباط يحصوننا واحدا واحدا داخل الزنازين المخلقة ، وبعد ساعتين في هذا الجو الغريب المريب تبين أن العدد تمام ، وأن أحد الحراس أخطأ في العدد وأضاف مسجوناً . وبعد ذلك أعلنوا انتهاء « الكيسة » . ونفخ الحراس في البورى معلنين أن كل شيء تمام . وتساءلت إذا كان كل هذا يحدث لو زاد عدد المسجونين ، فماذا يحدث لو نقص عددهم ، وهرب فعلاً مسجون !

وفي أثناء عمليات العد والاختصاص راح المسجونين يتذهبون ، ويقولون أن أحد الناس هرب من خارج السجن إلى داخل السجن . وأنه سيجيء يوم قريب يهرب الناس فيه من السجن الكبير إلى السجن الصغير ! وبعض المسجونين بدأ يؤكد أن مصر كلها أصبحت ليماناً كبيراً . وأن المعاملة في ليمان طره أحسن كثيراً من المعاملة في الليمان الكبير . . . وأتينا في داخل ليمان طره أكثر أماناً وأطمئناناً ممن هم خارج الأسوار . . . فالتاس من خوف السجن في سجن !

التقاليد هنا عندما يهرب مسجون واحد من داخل السجن أن يعاقب جميع المسجونين الذين لم يهربوا ! تحرق جميع ملابسهم الخارجية والداخلية ، ولا يبقى للمسجون سوى غيار واحد ، تداس أظمتهم بالأقدام . يحرمون من مشاهدة التلفزيون والسينما والمباريات الرياضية من أجل جريمة مسجون واحد يعاقب خمسة آلاف مسجون براء . ولهذا فأننا أدعو الله ألا يجن أحد المسجونين ويهرب ، وعندئذ ستكون مصيبة المسجونين سوداء .

ثم رائحة « شياط » في الجو السياسي المصري . لا أعرف حتى الآن من أين يجيء هذا الشياط ؟ الأنبياء تصلني من مختلف المصادر تؤكد أن الطفليان مستقر ، والطفأة الصغار يزددون جبروتا . في كل بيت مسجون سياسي أو معتقل سياسي أو شهيد في حرب الزيم . أو جريح أو موضوع تحت الحراسة . أو مرغوت من ظيفته ، أو مهدد في رزقه . انفتحت شهية الطفأة ، وهم في كل يوم يريدون ضماناً أكثر . في أول الأمر كان يشبعهم أن ياكلوا ضحية كل يوم . . . أصبحوا اليوم لا يكتفيهم ألف ضحية . الشعب يعيش في جو من الخوف . لا أحد آمن على نفسه ولا على حريته ولا على رزقه . ألوف الناس يهاجرون إلى الخارج . وأكثر منهم يحاولون الخروج ويفشلون . لو فتحت أبواب مصر الآن لفر أغلب المتعلمين فيها .

انهم من جميع الفئات . من جميع الطبقات . فيهم عمال وفيهم اصحاب اعمال . كل يوم يتلقى احد المسجونين هنا خطابا من شقيقه لو ابنه يقول انه يريد ان يهاجر . كبر مصيبة يصيب بها الشعب ان يحس بان لا مستقبل له ولا امل له . المستقبل فقط لاصحاب النفوذ والسلطان . لاهل الثقة . ان اغلب اهل الثقة للأسف من الجهلاء وانصاف المتعلمين . وهم الآن الذين يديرون المصانع والمؤسسات والدوائر الحكومية ، وهذا سر الانهيار الذي اصاب كل شيء . والذي سوف يؤدي الى الكارثة الكبرى !

ان من حق الحاكم ان يزوج ابنته لمن يثق به ، ولكن ليس من حقه ان يسلم الدولة للجهلاء لالقيء الا لانه يثق بهم !

وقد اثبتت الايام ان هؤلاء الجهلاء ليسوا اهل ثقة . ولو اجرينا تحقيقا واسعا عن حالة مصانعنا قبل ان يتولاها اهل الثقة وبعد ان نولاها اهل الثقة ، لعرفنا الفرق بين التقدم والخراب ، وبين الربح والاملاس !

وعندما يصبح كل « اهل ثقة » ذانا محسونة لا تمس ، تختفي الحقائق ، ولا يجرؤ احد على ان يشير الى الفساد الموجود في كل ميدان .

ان اهل الثقة يحولون انتصارات هذا الشعب الى هزائم ، وارياحه الى خسائر ، وأمجاده الى كوارث !

اتنى اتابل هنا يوميا مسجونين جاؤا من مختلف قطاعات الدولة ، كل واحد منهم يحمل لى قصة عن الفساد والرشوة واستغلال النفوذ ، وكل القصص بمعنى واحد . ان الظلام المفروض على البلد هو الذى شجع اللصوص والمختلسين وتجار المال الحرام !

وانا اعتقد ان احدا لا يجرؤ على ان يبلغ الحاكم بما يراه ، لانهم يتصورون انه ستقطع رقابهم اذا فضحوا اهل الثقة ، كما قطعت رقاب آخرين ..

ان الخوف جعل هذا الشعب يطبق فيه مرغها ، يصمت في وقت
يجب فيه الكلام . يسكن في عصر يستوجب الحركة . يغمض عينيه
في يوم يجب أن تفتح فيه جميعا عيوننا على ما سوف ينتظرنا !

ان الذي أخشاه ان الكارثة المنتظرة لن تصيب الذين ظلموا «
بل ستصيب مصر كلها !

يجب أن ندعو لمصر . .

فأنا ما زلت اشم رائحة « شياطين » وأخشى أن شيئاً ما يحترق !!

منع الحقيقة من الدخول

سجن ليمان طره

١٥ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

عندما يصل هذا الخطاب اليك ، يكون قد مر عامان كاملان على مراقبى انا واخى . هذا هو الذى يسمونه غير المعقول . من كان يتصور أن يفترق التوأمين عامين كاملين ؟

لم افترق عنه طوال حياتى مثل هذه المدة . عندما كان يتلقى العلم فى انجلترا كان يحضر كل عام الى القاهرة لفمضى الصيف سويا . عندما كنت ادرس فى امريكا ويدرس هو فى انجلترا كنا نلتقى فى أوروبا أو نلتقى فى مصر . فى أيام مراقبنا كنا نتكاتب باستمرار . اكاد اعرف كل خطوة خطاها كل نكتة سمعها . كل شخص قابله . الآن مضى علينا عامان كاملان دون أن نتبادل سوى بضع كلمات . عذاب السجن ليس فى قيوده وفضائه وزنائه . أنه فى حرماننا من الأشخاص الذين نحبهم . نحن لا نعيش فى قصور أو بيوت أو شقق . نحن نعيش فى لقاء من نحب . من غير هذه اللقاءات نكون اشبه بالذى يعيش فى العراء . اذكر آخر مرة انفردنا فيها معا . كان قلبى يحدثنى انه فراق طويل جدا . كنا نتكلم همسا . لاننا كنا نعرف انه توجد أجهزة تسجيل فى مكاتبنا وبيوتنا . قلت له اننى احس ان اصحاب السلطان يدبرون لى شيئا . اذا ارسلوا اليك واستدعوك لا تحضر ! اذا عرضوا عليك خطابا بامضائى لتحضر لا تصدق ! ساكون تعرضت لضغط هائل حتى يرغفونى على ان اكتب اليك وادموك الى الحضور . يوما كان لدى احساس غريب بان الذين حول الرئيس يحملون سكاكين وخناجر يريدون ان يغمدوها فى ظهري ، لقد كانوا يقولون ان ثلاثة فقط فى مصر لديهم رقم تليفون جمال عبد الناصر السرى بجوار فراش نومه

يستطيعون أن يوقفوه في أى وقت ، وكان هؤلاء الثلاثة هم عبد الحكيم عامر وسامى شرف وأنا . وكانوا يغطوننى على هذا الشرف العظيم . ولم أشعر فى يوم من الأيام أنه شرف عظيم . كنت أتصور أنها مسئولية عظيمة . وكنت أعتقد أن واجبى نحو بلدى وواجبى نحو جبال عبد الناصر أن أبصره بكل الأخطاء التى تحدث باسمه . ولم أشعر فى خلال فترة طويلة أن الرئيس يضيق بأن يسمع الحقيقة . وذات يوم فى أواخر سنة ١٩٦٤ قال لى سامى شرف : أن كل الذين حول الرئيس اتفقوا على ألا يقولوا له أى كلام أو أى أخبار تضايقه ، وذلك لأنه فى حالة مرضية تجعل الانبئاء السيئة تزيد حالته سوءا . قلت له : ان واجبى أن أخبر الرئيس بالأخطاء التى تحدث . قال : اذا سمعت أخطاء فأخبرنى أنا بها ولا تخبر الرئيس . قلت : أتنى أعتقد أن الرئيس أئتمنى على أن أقول له الحقيقة ، ولا أستطيع اذا سألنى أن أخفى عنه الحقيقة .

وهذا الكلام لم يعجب الذين يريدون عزل الرئيس عن الحقيقة ، وإقامة حصار حديدى حوله . أن الرئيس لا يقابل إلا أشخاصا معدودين . ولا يتصل إلا بأشخاص معدودين . ومن السهل أن يتفق هؤلاء فيها بينهم ويعدموا بريئا ، أو يسجنوا مظلوما ، أو يشوهوا حقيقة ، أو يدفعوا البلد الى كارثة . أن الذين حول الرئيس يكرهون بعضهم بعضا . كل واحد منهم يريد أن يقطع رأس زميله . كل واحد منهم يريد أن يصل الى أذن الرئيس فوق جثة زميله . أنهم يحولون الرئاسة الى قصر يلذ : دسائس ومقالب ومؤامرات كما كان يقوم بها الاغوات والجواري فى قصر السلطان عبد الحميد . ومن الذى سيدفع ثمن كل هذا ؟ مصر طبعاً . اننى اعترف أن حالة الرئيس الصحية كانت سيئة ، ولكن اخفاء الحقيقة عنه ، حتى يصحم بها ذات يوم قد يقضى عليه . ولقد كان رأى دائما الذى قلته للرئيس فى كل مناسبة أن العلاج الوحيد هو فتح جميع النوافذ ، وهو اطلاق الحريات ، وهو إلغاء الرقابة على الصحف ، وهو اعطاء مجلس الأمة حرية المناقشة والمعارضة ، وبذلك وحده تصل الحقيقة الى الرئيس بلا تشويه ولا تنميق ولا تزويق . اننى أعتقد أن التقارير التى تصل الى الرئيس من الأجهزة ليست نظارات معظمة يرى بها ما يجرى . انها هى عصابت سوداء يضعونها فوق عينيه لكى يحجبوا عنه الحقيقة ، كم من مرة اطلعنى الرئيس

على تقارير سرية وصلت من بعض الأجهزة واذهلنى ما فيها من كذب وجهل ونشوييه للحقائق . واذكر مرة ان الرئيس اطلعنى على تقرير من احد الأجهزة بقول ان احد السفراء العرب يجلس في نادى الجزيرة وبشتمه ويتكلم عنه بأسلوب لا يلىق ! وكنت اعلم ان هذا السفير غادر مصر منذ شهر ، وكان التقرير يؤكد ان الحادث وقع قبل ذلك بأيام قليلة . وطلعت من الرئيس ان يحقق هذه الواقعة وظهر ان السفير فعلا غير موجود في القاهرة ، وان كل ذنبه انه قبل سفره قال عن احد كبار معاونى الرئيس انه حمار ! وهكذا اصبح من يشتم احدا من هؤلاء الالهة الصغار كأنه شتم رئيس الجمهورية !

اننى افكر كثيرا في اخى . اعرف انه مسجون مثلى . صحيح ان الزنزانة التى يعيش فيها في لندن اكبر من الزنزانة التى اقيم فيها في لبنان طره . اشعر بان عذابه اكبر من عذابى ، ووحدته اضعاف وحدتى . وهمومه اكثر من همومى . اتصوره يمشى في غرفته ذهابا وايابا ، يمشى وحده . فقد اعتدنا ان نقطع الغرفة معا . نمشى معا . نفكر معا . احيانا لا نتبادل الكلمات .

ولكننا نتناقش بغير صوت ! اتصوره وهو يحس بالعجز لانه لا يستطيع ان يفعل لى شيئا . يشعر بالمرارة لانه لا يستطيع ان يحدثنى . أو يسمع صوتى . انا لا اشعر هنا بهذا العجز وهذه المرارة .

انا اسمع صوته في خيالى . اتحدث في اليه تكرياتى واحلامى . اسمع انفاسه . اسمع نبوذه . اقرا في عينيه كل خواطره . الله اعطى التوابع قوة غريبة . لا اشعر بعذاب هذا الفراق الحقيقى . احس اننا دائما معا . لولا ذلك لتحطمت تملها . احساسى اننى لم نفترق ابدا مع كل هذا البعد ، مع كل هذه المسافة ، هو الذى يعطينى قوة الاحتمال . الحب الذى بيننا هو القنطرة التى توصلنى اليه باستمرار . هو الكوبرى الذى اعبر عليه بعد ان تحطمت كل الجسور . اننى اقطع هذه المسافة الطويلة في لحظة . البحار والدول والمدن التى تفصلنا مجزت عن ان تبعثنا . لست محتاجا الى برقيات أو خطابات منه لاننى اراه بجوارى في الليل والنهار . الذين يقيمون في غرفة واحدة ليسوا في حاجة الى تبادل الخطابات .

كل مباراة كرة يحضرها في لندن كأننى شاهدها . كل برنامج في التلفزيون يراه هناك ، استمتع به هنا ، كل كتاب يقرؤه كأننى قرأته . الرابطة بين التوأمين المتشابهين غريبة . أشعر بأننى نصف محبوبس ، ونصف مطلق السراح . نصف مقيد ، ونصف حر ، أقيم في الزنزانة نصف اليوم . النصف الآخر من اليوم أمضيه في شخصه هو . هذا شيء لذيق فعلا . لا أظن أن مسجوناً سوى يستمتع بهذه المتعة . الله عندما أعطانى نعمة أن يكون لى توأم أعطانى شيئاً كثيراً . أعطانى متعة إلا أعيش حياة واحدة . أعيش حياتى وحياة أختى التوأم معا . أمضى فى السجن نصف الوقت . وأمضى فى الحرية النصف الآخر . ويقتدر هنائى بهذا الشعور أحس بعذاب أختى . رحلة خيالى تختلف عن رحلة خياله . خيالى يحملنى دائماً الى الحرية وخياله يحمله الى الزنزانة . استمتع بانطلاقه . ويتعذب بقيودى . الله جعلنا متشابهين فى كل شيء : فى القامة . فى الملامح . فى الصوت . فى التفكير . وحتى فى مرض السكر ومرض النقرس . وأحمد الله على أنه لم يجعلنا متشابهين فى دخول السجن كان هذا سوف يشقبنى كثيراً كان سيحرمنى أن أمضى نصف يومى خارج السجن . كنا نقول فى الماضى أنه عندما يدخل أحدهما السجن سيجب الآخر لزيارته . وتبادل المكان . دون أن يتبين الحراس الفرق . وكنا نضحك كثيراً لهذه الفكرة . اليوم نحن نحققها فعلاً فى كل ساعة . وفى كل لحظة !

أنا فى الزنزانة لحظة ، وفى لندن اللحظة التالية ، وهو فى فندق ماى غير بلندن لحظة ، وفى زنزانة بسجن ليان طره فى اللحظة التالية . هذا الشعور العجيب يخفف عنا آلام الفراق المرير . ثم ان أيماننا الذى لا حد له . وتناولنا الذى لم يتزلزل فى أهلك الساعات وأقسى الأزمات .

أحياناً كنت ألح على أختى فى أن يتناول دواءه بانتظام ، لأننى أعرف أن علاجه يشفىنى . أمر على أن يستشير الأطباء الاختصاصيين لأن هذه الاستشارة تجعلنى أطمئن على نفسى . أطلب منه أن يعنى بصحته لأننى أعرف أن كل ساعة يطول فيها عمره تطيل عمرى . الأمر الذى يعذبنى لأننى أشعر بأنه يتعذب أضعاف عذابى . صحيح أننى فى سجن ، ولكن فوق أرض بلدى . هذه الأرض التى أحبها وأعشتها تدفئنى .

أسير موتها وكأننى أطمح فى سماء أحلامى . هواؤها هو مجموع
أنفاس الذين أحبهم ويحبوننى . أرى من نافذة زنايتى نيلها
وخضرتها وأهلها فأنسى كل الآسى . أما هو فيعيش على أرض
غريبة بعيدة . فيها صلابة الصخور وقسوة الأحجار . ليست فيها
نعومة أرضنا التى تغوص فيها أقدامنا وكأنها نقبلها وتحضنها .
يحس حوله بعواطف مترجمة . ولا يحس بالعاطفة المصرية الأصيلة
قيودى لا تضغط على يدي . وحريته فى بلد غريب تضغط على عنقه
وتكاد تخنقه . أعرف جيدا مبلغ شقائه ، لأننى أعرف كم نحب
بلادنا .

حيلة إقبال في شقة

سجن ليمان طبره

٣٠ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتي

امضى الوقت في سماع الأخبار من اذاعة السجن . نحن مقبلون على معركة . اتتبع باهتمام اخبار المعركة التي تخوضها بلادى . اننى اتمنى ان تنتصر مصر باذن الله في هذه المعركة . على الرغم من كل ما فعله حكامنا بنا وبانفسهم وبالبلد .

تعود بى دائما الذاكرة الى معركة عام ١٩٥٦ التي كان لى شرف الاشتراك فيها . قيودى اليوم تمنعنى من ان اخوض معركة اليوم . ليس عندى الا ان أصلى لمصر داعيا لها بالنصر . اعتبر كل نصر لمصر هو نصر لى . كل هزيمة لها ستكون هزيمة لى .

وعندما يخوض الوطن معركة ، يجب علينا ان ننحى جانبا آلامنا الشخصية ، وننسى متاعبنا ، ولا نذكر سوى بلادنا ، كم تمنيت ان يسمح لى بالاشتراك في هذه المعركة بقلبى وفنى وخبرتى وحياتى ، كما فعلت في كل معاركنا الماضية ، على ان اعود الى السجن بعد انتهاء المعركة ..

انظر حولى فاجد المسجونين السياسيين ، والمعتقلين السياسيين - والموضوعين تحت الحراسة ، والمبوثين السياسيين ، والمنفيين عن بلادهم ، والمطاردين في رزقهم ، واتسائل هل يمكن ان يحارب بلد ينصف اهله . هل يمكن ان تحارب ونصفنا مسجون أو معتقل مكتم أو منكوب أو مدعوغ بأنه عدو من اعداء الشعب . في كل بلاد العالم عندما تقرر دولة ان تحارب توحد صفوفها ، وتضمد جراحها ،

وتجعل الشعب كله كتلة واحدة ، لا تمضي الوقت في فرز الناس على الفرازة . هذا اشتراكي وهذا غير اشتراكي . الذين يحكمون لم يقرأوا التاريخ ، لم يعرفوا أن الاتحاد السوفيتي عندما حارب أخرج عن المسجونين السياسيين . لا يعرفون أن نابليون عندما حارب أطلق سراح المسجونين العاديين .

- أحب الا تتألموا لأنهم في هذا الوقت بالذات ، وفي وقت تحشد فيه الجيوش العربية لتستولى على إسرائيل ، تطلب رئاسة الجمهورية 'خارجي من شقتي . أن هذا الطلب المستبد لم يؤلمني . ولكنه أذهلني .

أنني قبلت تأميم أخبار اليوم ، وهي حياتي ، برضا ، هذا التصرف الغاشم لم يؤثر على نفسيتي أبدا . أنا دائما على استعداد لأن أقدم كل شيء لبلادي . الذين على استعداد لأن يحدوا لمصر بحياتهم لا ييخلون عليها بأرزاقهم وبيوتهم .

وكم كنت أتمنى لو أن ابنتي رتيبة وصفية في سن الجندية ، لاطلب اليهما أن تحملا سلاحهما وتذهبا الى ميدان القتال . أننى أفضّل أن تموت ابنتاي في وطن حر على أن تعيشا في بلد مستعبد .

ولقد فوجئت بعد أيام بمأمور الليمان يستدعيني على عجل لمقابلته . ويدفع الى بأوراق وقال لى : ان رئاسة الجمهورية تطلب منك أن توقع هذا فوراً . .

وقرات ما في الورق ماذا به عبارة عن تنازل من شقتي وما فيها من أثاث ومفروشات !

قلت : كيف اتنازل من شقتي وأنا أقيم فيها منذ ١٨ سنة أى منذ عام ١٩٤٧ وأدفع أيجارها باستمرار ؟

قال المأمور : هذه أوامر من رئاسة الجمهورية . .

قلت : وماذا تريد أن تفعل رئاسة الجمهورية بهذه الشقة .

قال المأمور : تريدها للمعركة !

قلت : وماذا تنفع هذه الشقة التى فى شارع صلاح الدين بالزمالك ،
للمركة التى فى اسرائيل !

قال المأمور : لا تسأل أسئلة كثيرة .. وقع التنازل عن الشقة ؟
قلت : لابد ان أعرف لماذا تنازل ؟

قال : ان أحد كبار الضباط وهو يجهل لقب فريق ، أعجبه الشقة ،
واستأفى من الرئيس ليأخذها فاذن له !

قلت : ولكن الشقة مغلقة ومفتاحها معى . كيف دخل هذا الضابط
الكبير شقتى وتفرج عليها وأعجبه !

قال : انت تريد ان تحقق مع رئاسة الجمهورية !

قلت : لا سمح الله .. ولكنى أريد ان أعرف .. فهذا بيتى !
قال المأمور : أنك اذا رفضت التنازل عن شقتك فسوف تغضب
رئاسة الجمهورية !

قلت : وماذا تستطيع أن تفعل رئاسة الجمهورية أكثر مما
فعلوا بى ! انه محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة ؟ .. ولا أظن
انهم سيحكمون على بالاعدام لأننى رفضت التنازل عن شقتى !

قال المأمور : المسألة مستعجلة جدا ..

قلت : اعطنى الورقة

وناولنى الورقة وهو يتصور اننى سأوقع على التنازل ، ولكنى
كُتبت عليها . « اننى أرفض التنازل عن شقتى . اننى فى دهشة
انه فى الوقت الذى أقرأ فيه فى الصحف أن الجيش المصرى يحتشد
فى سيناء ليستولى على اسرائيل ، أجد أحد كبار ضباط الجيش
المصرى يحتشد فى الزمالك ليستولى على شقتى ! وانه بدلا من ان
يكون فى غرفة العمليات فى سيناء أجده فى غرف منزلى يماينها
ويعاين أئاثها ! »

ووقعت على هذا الاقرار !

هذا التصرف جعل قلبي ينتفض . إذا كان هذا تصرف بعض كبار
قوادنا أثناء المعركة فكيف نحارب المعركة ، وكيف تكسب المعركة !
اهتمام ضابط كبير ، بل اهتمام الدولة في هذه الساعات الخطيرة
بالاستيلاء على شقة مظلوم دليل على عدم جدية المعركة !

أحسست أنني أستطيع أن أحكم على أشياء كثيرة من الورقة التي
أرادوا مني أن أوقعها . في هذه الورقة قرأت تقريرا سريا من
حقيقة حالتنا واستعدادنا الحربي ، ما كنت لأستطيع أن أعرفها
لو كنت حرا ، أو كنت أجلس في غرفة العمليات !

أننى أعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يعلم بهذا التصرف الحقير
الصغير ! ولكن ما الذى يضمن أن الوفا مثل هذا التصرف تحدث
الآن لمواطنين آخرين ، وأن البعض أشاع في البلد جو الحرب ،
لا ليحارب ، بل ليسرق وينهب ويستولى على شقق الآخرين !

ومع ذلك يجب ألا تصرفنا هذه التصرفات عن واجبنا نحو بلادنا .
من واجب كل عربي أن يشارك في هذه المعركة بشيء . أى شيء .
حتى ولو كان صغيرا .

إن مجبوع الأشياء الصغيرة يصنع شيئا كبيرا . لم أشعر
بعذاب السجن كما شعرت به في هذه الأيام . في ألتساء معركة
بور سعيد كنت أشعر بأنتيكتف في الصف الأول .

كم يحزننى أننى ألتف الآن في الصف الأخير . أحس ما يحس به
الجندي القديم ، أن يرى بلاده في معركة ، وهو مقعد لا يستطيع
أن يتحرك معها . وهو أبكم لا يستطيع أن يحمل سلاحه دفاعا
عنها . ليس عندي سوى أن أدهو لمصر من كل قلبي ..

الاعتقال المأمور أننى فقدت حقاى

مسجن ليمان طره

٢١ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

حدث اليوم ان كنت جالسا مع بعض المسجونين غير السياسيين ،
وسألنى ادهم عن رايى فى الحرب ، فقلت له اننى غير مطمئن لما
أقرا عن حشد الجيش المصرى فى سيناء ، واننى أخشى ان تنتهز
اسرائيل هذه الفرصة وتهزم جيوشنا . واننا اخترنا وقتنا سسينا
للحركة ، وان الراى العام العالمى ضدنا ، وان المفروض قتل ابن
تتحرك عسكريا ، ان نكسب الجو الدولى سياسيا ، وليس من
المصلحة ان نحارب فى جو عدائى ..

وبعد ان انتهى الحديث بدقائق استدعائى مأمور اليمان الى
مكتبه وسألنى :

— هل صحيح انك قلت امام المسجونين ان الجيش المصرى
سينهزم !

قلت : نعم

قال : كيف تقول هذا ؟ لم تقرا الصحف التى تؤكد اننا سنستولى
على اسرائيل فى ثلاثة ايام ؟ لم نسمع الاذاعة التى تقول ان جيشنا
هو اكبر قوة ضاربة فى الشرق الاوسط ؟ لم نسمع ان ام كلثوم
ستغنى حفلتها القادمة فى تل ابيب .

قلت : وهذا هو الذى جعلنى اقول ان الجيش المصرى سينهزم !

قال : انت جنتت !

قلت : هذه هي معلوماتي . ان قيادة الجيش غير قادرة على الحرب .

قال : لا تقل هذا الكلام لاحد ! اننى أخشى أن يبلغ الجهات العليا ..

قلت : انا أريد أن يبلغ الجهات العليا . أريد أن أقول اننى اتوقع في هذه الظروف الهزيمة . وسوف أستمّر أقول اننى ضد الحرب الى أن تبدأ الحرب ، وعندئذ سأؤيدها ، لأننى لا يمكن أن أقول رأيي هذا ونحن نحارب . ولكن واجبي نحو بلادى أن أنبهها الى الشرك الذى ستقع فيه ..

ونظر الرجل الى بدهشة ، وكأنه ينظر الى رجل فقد عقله ! وبعد ذلك عقد قائد العنبر اجتماعا للمسجونين السياسيين ، وخطب فيهم ، وقال انه يسكن على الكورنيش ، وهو يرى أسلحة وتخاثر ومدافع لا أول لها ولا آخر ، وهى تمر قادمة من حطوان في طريقها الى الجبهة ، وأن هذا يجعله واثقا من النصر !

وعجبت أن يحكم هذا الضابط على معركة في اسرائيل ، وهو ينظر من نافذة بيته في شارع الكورنيش . ومهبت أنه مكلف من يطمئنا .. ولكنه زادنى تشاؤما . واجتمعت بالاستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للأخوان المسلمين في زفافته ، وفوجئت به يقول لى أنه هو الآخر يتوقع الهزيمة ، وأن الهزيمة مؤكدة . وأن معلوماته عن كبار ضباط الجيش أنهم يصلحون للاستقبالات والتشريفات والجلوس في المكاتب والنسر وراء كبار رجال الدونة في المواكب ، ولكنهم لا يصلحون لقيادة الجيش .

قلت له : اننى فكرت في أن أكتب للرئيس عبد الناصر أقترح عليه أن يؤلف جبهة وطنية في هذا الظرف العصيب . أن انجلترا الفت وزارة قومية من كل الأحزاب أثناء الحرب . أن الرئيس روزفلت في أمريكا جاء باثنين من حزب لمعارضة وجعل أحدهما وزيرا للحربية والثانى وزيرا للبحرية . الموقف الحاضر يقتضى ألا يستقل فرد واحد برأيه . يجب أن توحد كلمة الأمة قبل المعركة ..

قال الأستاذ الهضيبي : لن يقبل عبد الناصر اقتراحك . .

قلت : لماذا ؟

قال : لأنه يخشى إذا انتصر أن يواسمه شريك في هذا المجد . .

قلت : وإذا انهزم ؟

قال : إذا انهزم فسكنون أنا وانت والمسجونون في السجون
المسؤولين عن هذه الهزيمة !

طبول النصر يرحم هـ يونيو

مسجن اللبمان طره

٦ يونيو سنة ١٩٦٧

عزيزتى :

فى صباح يوم ٥ يونيو لم تفتح أبواب الزنازين كالمعتاد . منعنا من الذهاب الى دورة المياه . صدرت الاوامر بمنع المسجونين من الذهاب الى الجبل لتكسير الاحجار كما يحدث كل يوم . انقلبت سماعات اذاعة الراديو فلم نسمع الاخبار كالمعتاد . جو غريب مريب ، قال لى أحد الحراس من طاقته فى باب زنزانتى هامسا ان الحرب قد قامت . لم انهم العلاقة بين اغلاق أبواب الزنازين علينا ومنعنا من الذهاب الى التواليت وبين قيام الحرب !

تعلقنا فى نوافذ الزنازين . ورحنا نسترق السمع للاشاعات والاستنتاجات . قال أحد المسجونين ان انقلابا قد حدث . وقال مسجون ثان ان عددا من المسجونين هربوا من عنبر أربعة . وقال مسجون ثالث ان تمردا حدث بين المسجونين فى طابور الجبل ، فنتقرر منع جميع المسجونين من الخروج . لم أستطع أن أقول الحقيقة خشية أن يكون الحارس أسر الى بخبر كاذب !

بعد ثلاث ساعات حضر الرائد محمد كمال الدين أركان حرب اللبمان وفتح زنزانتى وحدى . قال لى انه مكلف من مدير اللبمان بأن يفتح زنزانتى وحدى ليبلغنى ان الحرب قد بدأت واننا اسقطنا حتى الآن ٧٨ طائرة اسرائيلية ، وان قواتنا دخلت حدود اسرائيل وانها الان فى طريقها الى تل أبيب .

وسكت الرائد كمال الدين ، ونظر الى عينى ، وكأئنه يقول لى :
هل ما زلت تقول ان الجيش المصرى سينهزم ..

قلت له : لا اصدق كل هذه الأنباء .

قال الرائد : هذا بلاغ حربى اصدرته القيادة العامة للقوات المسلحة واذيع في الإذاعة ..

قلت له : انا اعرف كيف تكتب البلاغات الرسمية ولهذا لا اصدق هذه الأنباء ..

واغلق الرائد محمد كمال الدين باب الزنزانة آسفا حزينا لاننى لا ارى الحقيقة الواضحة كشروق الشمس ، وهى ان الجيش المصرى انتصر فعلا ، وانه فى طريقه الى تل ابيب .

غير اننى كنت قرأت كثيرا فى التاريخ ، وبحكم عملى الصحفى الطويل اصبحت استطيع ان اشم رائحة الخبر ، وافرق بين الخبر الصادق ، والخبر الذى لفقته الجهات الرسمية .

وكانت لى آراء عن الحالة فى الجيش تخالف رأى كثيرين من المسئولين وكنت لا أخفى هذا الرأى فى أحاديثى مع الرئيس عبد الناصر ، الذى كان يقول لى دائما أن معلوماتى فى هذه الشأن غير دقيقة ، وأن الحالة فى الجيش مطمئنة جدا ..

وكان من رأى اننا اعدنا قيادة عسكرية لتحكم ، ولم نعد قيادة لتحارب . واننا اعدنا الجيش ليحافظ على النظام لا ليحارب ! وانه كلما تلقى المسئولون تقريراً بان أحد الضباط الشبان له شعبية فى الجيش ، أو انه محبوب من زملائه الضباط ابعده على الفور من الجيش ، وأن كثيرا من الضباط الذين درسوا فى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وأظهروا كفاءة فى عملهم العسكرى ابعدهوا عن الجيش وعينوا سفراء ، أو وزراء ، أو وكلاء وزارات أو مديرى مصانع أو رؤساء مجالس شركات ! وانه جاء وقت جعلنا الجيش يعمل فى كل شيء الا فى المسائل الحربية ، فكلفناه ببناء السد العالى ، وكلفناه بإدارة الاتوبيسات فى شوارع القاهرة ، وكلفناه بتنظيم مستشفى قصر العينى ، وكلفناه بشئون التموين ، وارسلنا وحدات من الجيش لتحاصر قرية كرداسة فى محافظة

الجيزة ، لأن الفلاحين رفضوا أن يسمحوا لبعض الجنود بالتبض على أحد الأهالى . وأرسلنا وحدات من الجيش الى كمبشيش باعتبارها معركة حربية مع أسرة الفقى ! وهكذا أبعدنا الجيش عن مهمته الحقيقية وهى الحرب والاستعداد للحرب . . وفى وقت من الأوقات نسى بعض قسود الجيش أن العدو هو إسرائيل ، وانها اعتبروا العدو الأول هو الشعب المصرى ، فاشتريت الشرطة العسكرية فى عمليات وحشية فى أثناء تطبيق الحراسة ، وخرج من الجيش عدد من أحسن ضباطه لأنهم اصهار أو اقارب أسر وضعت تحت الحراسة ، أو لأنهم اقارب بعض المسجونين السياسيين أو المعتقلين السياسيين . وعاش الضابط المصرى فى جو من الارهاب والجاسوسية والتقارير السرية ، وأصبح كل ضابط قلنا على مستقبله وعلى حريته وعلى حياته . وتبض على عدد كبير من الضباط ، وزج بهم فى السجن الحربى وفى المخابرات ، بلا ذنب ولا جريمة ، سوى وشاية ، أو نكدة ، أو كلمة ، قاتلتها زوجة الضابط فى احدى الزيارات . وعاش الجيش فى جو من الرعب والارهاب . ولم يتنبه المسئولون الى أن الخائفين لا يستطيعون أن يحاربوا ، وأن كل من يحارب يجب أن يتجه بصره الى الامام ، لا أن يلتفت حواليه وخلفه ليحمى نفسه من الذين يكتبون التقارير السرية عنه .

وجاء وقت لم يعد كبار الضباط مهتمين بالتدريب والتعليم والثقافة العسكرية ، بقدر اهتمامهم بارضاء رؤسائهم . فقد أصبحت الخطوة هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى المناصب العليا . وأصبحت قوة الشخصية والشجاعة والجرأة والزهة فى المناصب ، وعدم الركوع امام الرؤساء هى جرائم تستوجب الإحالة الى المعاش وأصبح اهتمام كثيرين من كبار الضباط موجها الى الخروج من الجيش لتولى مناصب السراء والوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الادارات . . وتوهم القائمون بالأمر غينا أن الجيش ممكن أن يحكم وأن المدنيين يمكن أن يحاربوا ! فلا استطاع العسكريون أن يحكموا ، ولا استطاع المدنيون أن يحاربوا .

ولقد سألت مرة الرئيس جمال عبد الناصر عن السبب الذى يجعله يسند المناصب المدنية الكبرى الى العسكريين ، ويفضلهم على المدنيين . . فقال لى لأن المدنى عندما يتلقى الأمر يضعف الوقت

في مناقشته . أما العسكري فعندما أمره أن يدخل في الجدار ،
يدخل في الجدار بدون مناقشة أو تردد !

قلت له : وماذا يستفيد البلد من دخول العسكريين في الجدران ؟
قال الرئيس : نحن في ثورة . والعسكريون قادرون على تنفيذ
الأوامر بسرعة وبجراحة وبغير مناقشة . . أما المدني فهو بطبيعته
متردد وبطيء . ونحن لا وقت عندنا للتردد والبطء !

والواقع أن الانفداع لم يكن انطلاقا . والتسرع لم يكن سرعة . .
فإن كثيرا من أخطائنا كان من الممكن تلافيها لو درست ونحست .
ولو أن هذا الحشد العسكري مثلا بحث ونوقش لتلافينا الكارثة .
ولكن الذي حدث أن الرئيس أمر . . واستجاب القواد للأوامر
بلا مناقشة ، ودخلوا في الجدران !

ثم أن الجيش المصري أرسل في السنوات الأخيرة في مهام غير
حربية وإنما في مهام سياسية ، فقد أرسلنا قوات مظلات الى الكونغو
ومعها تعليمات بأن تساعد حكم الرئيس لومومبا . . وحاولنا أن ندير
سياسة الكونغو وكانت الكارثة أن سقط حكم لومومبا . .

وأرسلنا الجيش المصري الى الجزائر ، في خلاف بين الجزائر
والمغرب ، ولم يكن معقولا تكليف الجندي المصري بقتل جندي
عربي ، لخلاف بين حكومتين !

وأرسلنا الجيش المصري الى العراق ليسند حكم الرئيس
عبد السلام عارف وليست مهمة الجيش المصري أن يتدخل في
الشؤون الداخلية لبلد عربي ، وخاصة أنه قيل أن الرئيس العراقي
غير مطمئن للجيش العراقي ، ولهذا أرسلنا له الجيش المصري .
فكيف نضع الجيش المصري في موضع الرقيب على الجيش العراقي ،
— وكيف نقبل أن يعرف شعب العراق أننا نساعد الرئيس العراقي
بحراب مصرية ؟

ثم كانت معركة اليمن . وقد تصورنا في أول الأمر أننا نكسبها
بمائة جندي من قوات المظلات . ثم ارتفع العدد الى ألف . ثم عشرة

آلاف . ثم اغلب قوات الجيش المصرى . . وقيل لنا أن الغرض من هذه الحرب هو أن يتدرب الجيش المصرى على القتال استعدادا لحرب اسرائيل ، ثم ظهر ان طبيعة الحرب مع سكان اليمن : وطبيعة الأرض ، وطبيعة الجبال تختلف عن طبيعة أرض اسرائيل ، ولم تسند مصر من هذه الحرب الا خسارة شبابها وخسارة ٤٠٠ مليون جنبه لو انها انفقتها على شعب مصر لعاش كل فرد فيها في رخاء ، وأصبح لكل عامل فيها بيت ، وأصبح كل فلاح يملك قطعة أرض يزرعها !

ولقد كانت معلوماتى عن افعال القيادة في الجيش المصرى وعيها تخالف المعلومات التى لدى الرئيس عبد الناصر . . وتخالف التصريحات الوهمية التى كانت الرقابة تصر على ان تنشرها الصحف بالعناوين الضخمة في صفحتها الاولى . وتخالف المقالات التى كان الخبراء العسكريون يقولون فيها اننا اكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط .

عندما دخل الرائد محمد كمال الدين الى زنزانتي ليبلغنى انباء الانتصارات الهائلة ، تذكرت على الفور يوما كان الأستاذ محمد فهمى السيد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية يتعشى معى فى بيتى فى الاسكندرية ، وكان معنا الملحق العسكرى الأمريكى . وجرى مناقشة من اسرائيل وتأييد أمريكا لاسرائيل ، وتصورها انها القوة العسكرية التى يمكن أن تحمى مصالح الغرب فى المنطقة .

واذا بالملحق العسكرى الأمريكى يقول لنا بصراحة ان المعلومات الرسمية التى لديهم تؤكد ان الجيش الاسرائيلى قادر على هزيمة الجيش المصرى ، وأنه اقوى تدريباً على مختلف الاسلحة من الجيش المصرى . وان نسبة مستوى تدريب الطيران الاسرائيلى ٦٨٪ بينما نسبة الطيران المصرى ٣٤٪ وأن نسبة مستوى تدريب المدفعية الاسرائيلية ٥٧٪ بينما نسبة المدفعية المصرية ٤٦٪ . وأن نسبة تدريب الدبابات الاسرائيلية ٦٨٪ ونسبة مستوى تدريب الدبابات المصرية ٤١٪ ومضى يذكر مستوى النسب لبقاى الاسلحة ويدلل على تفوق التدريب الاسرائيلى على التدريب المصرى .

وبعد خروج الملحق العسكري الأمريكى اتفقت مع محمد فهمى السيد على أن هذه معلومات خطيرة جدا ويجب أن أبلغها للرئيس الجمهورية فوراً . وتحسن المستشار القانونى لهذا . واتصلنا بالرئيس تليفونيا بعد منتصف الليل ، وطلبت مقابلته لأمر هام ، فحدد لى الموعد فى الساعة الأولى بعد ظهر اليوم التالى . وذهبت الى الرئيس فى منشية البكرى وأبلغته نص ماسمعناه فقلل الرئيس: غريبة ! أن عندى تقارير من الخبراء الروس بعكس هذا . أنهم يؤكدون أن الجيش المصرى أصبح أقوى جيوش الشرق الاوسط تحديدا وسلاحا . والخبراء اليوغوسلافيون يقولون نفس الشيء .

وقلت للرئيس : قد يكون الملحق الأمريكى قصد تهويشنا ، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة .. فلماذا لا نحقق فيها . فإذا تأكدنا أنها معلومات صحيحة نعالج ما لدينا من أخطاء ، وإذا كانت كلاما فارغا فمهمنا أن أمريكا تريد أرهاقنا وخداعنا بتصوير قوة غير حقيقية لاسرائيل .

وقال الرئيس : سوف استدعى عبد الحكيم ..

وقام الى التليفون وطلب احد كبار القواد فى القيادة العامة ، وبعد نصف ساعة تقريبا وصل القائد الكبير ، وطلب منى الرئيس أن أروى للقائد ما سمعته .

ورويت للقائد ما حدث ..

وقال لى القائد فى هدوء : هل أنت وطنى ؟

قلت : نعم .

قال : إذن اذهب فوراً من هنا الى السفارة الأمريكية ، وقابل الملحق العسكري الأمريكى ، وقل له (.....) كلمة نابية !

قلت : لا أستطيع أن أقول له هذا .

قال القائد : قل له أن فلانا يقول لك (.....) .

قلت : ولا أستطيع أن أقول له هذا باسمك ؟

قال : لماذا ؟

قلت : أولا هو لم يطلب منى أن أنفل اليك هذه المعلومات حتى أذهب اليه وأقول له هذه الكلمة . ثانيا لا يوجد في اللغة الانجليزية هذه الشتيمة ! انهم يقولونها في أمريكا اللاتينية ولكن لا يقولونها في أمريكا . وهم في لبنان يشتمون الأخت ولا يشتمون الأم .

قال القائد المصرى : أنت خائف .

قلت : أنا لست خائفا .. أنا أرى أن نبحث هذه المعلومات ونتحقق هل هى حقيقة أم كذب .

قال القائد المصرى : تعال غدا احضر المناورة العسكرية وسأرى بنفسك .

قلت : أنا لا أفهم شيئا في الشئون العسكرية ، ولا أستطيع أن أحكم على تدريب الطيران أو المدفعية أو الدبابات .. ان هذا من اختصاص الخبراء العسكريين .

قال القائد المصرى : الخبراء العسكريون الروس واليوغوسلافيون والمصريون يؤكدون أن الجيش المصرى أقوى جيش في المنطقة وقادر على أن يضرب إسرائيل بسهولة . والملحق العسكرية الحبار يقول غير هذا فهل نكذب جميع الخبراء ونصدق الحبار !

وأحسست يومها بأن الرئيس عبد الناصر مقتنع كل الاقتناع بقوة الجيش المصرى ، وبأن تقارير الخبراء صحيحة .

ترى أى التقارير هى الصحيحة وأيها هى الكاذبة !

أرجو أن أكون مخطئا في تقديري ، وهو أننا لم نخصص الجيش المصرى للحرب وانما خصصناه للدفاع عن النظام ..

قبل الحرب بأيام نشرت الصحف أن اتحاد كرة القدم عقد اجتماعا لمدة ١٠ ساعات برئاسة المشير عامر رئيس الاتحاد والقائد العام

للقوات المسلحة وبحضرة الفريق عبد المحسن مرتجى رئيس
النادى الاهلى وقائد الجيش والفريق سليمان عزت رئيس النادى
الأولمبى وقائد البحرية والفريق صدقى محمود رئيس نادى
الطيران وقائد الطيران لبحث هل ينقل لاعب الكرة لمعى من نادى
المنصورة الى النادى الاهلى ..

نصور قائد عام الجيش وقائد الجيش وقائد البحرية وقائد
الطيران يجتمعون قبل المعركة بأيام لمدة ١٠ ساعات لا يضعوا خطة
المعركة ، وانما ليبحثوا فى نقل لاعب كرة من ناد الى ناد !

وبعد ذلك يسألوننى لماذا نتوقع هزيمة الجيش المصرى .

لقاد مع الزينة !

سجن ليمان طره

يونيو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

في اثناء الغارة الاسرائيلية مساء أمس أبلغ أحد الحراس الواقفين على السور أنه رأى وهج سيجارة ينبعث من نافذة زنزانة من الناحية الأخرى للطابق الرابع الذى أقيم فيه .

والتعليقات هنا الا تشعل سجاثر اثناء الغارات .

وأشار الحارس الى نافذة ، وكانت نافذة الجاسوس الالماني لوتزا المحكوم عليه بالمؤبد لأنه سرق أسرار المطارات العسكرية وسلمها لاسرائيل .

واستنتج مأمور العنبر أن الجاسوس الاسرائيلى يعطى اشارات بالسيجارة لطائرات الأعداء . وصعد المأمور الى الطابق الذى فيه المسجونون السياسيون وقتل أنه سيجمع جميع المسجونين السياسيين ويضربهم بالرصاص .

ومع أن الحارس اعترف بعد ذلك في التحقيق بأن ما ظنه سيجارة لم يكن الا وهج قنبلة من القنابل التي تطلقها المدافع المضادة للطائرات ، الا أن الأعصاب كانت مشدودة ، مصدر قرار بعقاب جميع المسجونين السياسيين الموجودين في الطابق الرابع ، وانزالهم جميعا الى الطابق الأرضى في العنبر الذى كان مخصصا لرضى النسل ، وبعد ذلك تحول الى ملحق لعنبر التأديب . .

وتحملت هذا العقاب برضا ، ولم اشك ، ولم احتج ، ولم أعترض
لأننى كنت أشعر بأننا فى معركة ، وأن هذا أقل ما يمكن أن نتحملة
أثناء الحرب من أجل بلادنا . ولم تهتز اعصابى لهذه المعاملة
الظالمة ..

وكانت زنزانتى الجديدة فى الطابق الأرضى مترين فى مترين . الهواء
لا يدخلها . وأشعة الشمس لا تطرق بابها . نعيش فى ظلام دامس
لان الكهرباء منعت عنا . لم اكن أستطيع أن أقرأ ولا أكتب . لم
أخرج للفسحة خارج الزنزانه . ضاعف من سوء حالى ان الزنزانه
التي وضعونى فيها مليئة بكميات هائلة من البق ، وطوابير ضخمة
من النمل والناموس والصراصير والذباب . أمضيت الوقت أحارب
الحشرات . وقد خسرت هذه الحرب . لا اكاد أقضى على طابور
منها حتى يدخل من الشقوق طابور جديد . أمام الزنزانه ردهة
ضيقة ، لا تكاد تمشى فيها خطوة حتى تسقط فوق الأتربة والمياه
القذرة وبقياء الطعام من الأتوار العليا ، والكفاسه ، والمعلبات
الفاسية . كأنها قنابل تسقط فوق رؤوسنا . كان هذا المكان أشبه
بصندوق قمامة العنبر كله تلقى فيه قمامة العنبر ، فوق رؤوسنا .
الميزة الوحيدة ان دورة المياه فى نفس الطابق ، وكنت اضطر الى
الاستحمام سبع وثلاث مرات فى اليوم بسبب شدة القذارة . بعد
كل حمام بحقيقة كنت أشعر أننى فى حاجة الى حمام جديد .

كان المسجونون متحمسين أثناء اذاعة البلاغات الحربية .
كانوا يصفقون ويهللون ويرقصون ويغرعدون عقب اذاعة كل بلاغ
حربى فى الإذاعة . أما أنا فقد كنت أشعر من لهجة البلاغات الحباسية
أنها مكتوبة فى المكاتب فى القاهرة وليس فى ميدان القتال . وكانت
المبالغة فى وصف الانتصارات توحى لى بأنها تخفى هزائم كبيرة .
ولكن المسجونين المعادين فهموا البلاغات الحربية على أننا على
أبواب تل أبيب . ولما جاء البلاغ الحربى يقول ان الجيش المصرى
انسحب الى خط الدفاع الثالث قرب القناة صاح عدد من الضباط
المحكوم عليهم فى قضايا المخدرات .. خلاص الكباشية انطبقت
على الجيش الاسرائيلى .. وكانت زنزانتى مخلقة على ، ومهتمة
من هذا البلاغ الذى هللوا له أننا فقدنا سيناء كلها وخاصة أننى
أعرف انه لا يوجد شيء اسمه خط الدفاع الثالث ! وعرفت عنحدث

أنها الهزيمة التي توقعتها ! أحسست أن مظروقة هائلة سقطت فوق رأسي . هرسنتي . حطمتني . أحسست أن قامني قصرت فجأة . أصبحت قزما ، بل تصورت أن المصريين كلهم نضالوا وسفروا وأصبحوا اقزاما . لم يعد في البلد طويل واحد . الطويل انحنى قامته . أو ركع على قدميه . أو أصبح يزحف على الأرض . الشعور بالهزيمة هو شعور بالذل ، بالضعف بالهوان ، بالسقوط ، بالضلالة ، بالضعة . شعرت أنني خجلان من نفسي . لا أريد أن أرى وجه أحد أو يراى أحد . تحدث الله على أنني في السجن حتى لا أواجه الناس . أنني خجلان من أهل وطني الذين مكثت سنوات طويلة أنقل لهم تصريحات المسئولين عن قوة مصر واستعداد مصر وجيش مصر . .

وفي الصباح لم أستطع أن أغادر زنزاني . لأول مرة منذ دخلت السجن اهتزت أعصابي . وامتلات عيناى بالدموع . أحسست بقلبي يتمزق . ماتقضيئا كل هذه السنوات في تشييده وبنائه تهاوى وأنهدم وتحطم في بضعة ساعات . الهزيمة عذبتني أكثر من تعذيب سلاح نصر وحزمة البسيوني . انزلتني . كسرت قلبي . أحسست أنني أصبحت أشلاء متفائرة . حاولت أن أجمع بعضها الى بعض فلم أستطع .

ودخل على زميلي المسجون السياسى انور زعلوك ومعه عدد من المسجونين فوجدوني أبكى بكاء حارا . فوجئوا لأنها أول مرة يروننى أبكى فيها . سالونى لماذا تبكى ؟ قلت : أبكى على بلدى . قالوا دهشين : ولكلك كنت الوحيد هنا الذى كنت تتوقع الهزيمة قبل أن تقع . قلت : ومع ذلك فوجئت بها . كنت اتبنى لو كنت مخطئا ، وكان الجميع على حق في أوهامهم . كنت اتبنى أن أكون مخدوما وحدى بدلا من أن تكون دولتى كلها مخدوعة . ثم اننى لم أتوقع أن تكون الهزيمة كبيرة الى هذا الحد ، ولا أن تكون سريعة . أن مصيبتنا كبيرة لأن العالم كله شمت فينا . كنا نبألغ في قوتنا . نخدعنا أنفسنا ولم نخدع عدونا . كذبنا على شعبنا بينما عرفت إسرائيل الحقيقة . ما حدث لنا هو واحد زائد واحد يساويان اثنين . نتيجة منطقية لتصرفاتنا . نحن كنا نحارب على الورق وننتصر على الورق . وصدقنا التقارير التى تخصصت في التلفيق

فلنفت لنا اكاذيب عن ضعف أمدائنا كما كانت تطلق التهم والمؤامرات للأبرياء ! كان من رأى دائما أن الإرهاب لا يلد أسودا . أنه لا يلد إلا الأرائب . الحرية وحدها هي التي تلد الأسود التي تحارب وتنقض ولا تجرى في الصحراء كالفران ! نحن الذين هزمنا أنفسنا قبل أن يهزمنا عدونا . قضينا على الكفريات وأبرزنا الأمعات . نسينا أن الذين يرتبون المواقب لا يصلحون لوضع خطط الحروب . قربنا الضعفاء ، وأبعدنا الأقوياء . جعلنا الذبول مكان الرؤوس ، والرؤوس في موضع الذبول ! جعلنا من أوهاينا حقائق ، ومن أعلامنا وقائع ، ومن هذياننا فلسفة . ما حدث لنا كان لا يمكن أن يحدث لو لا حكم الفرد وعبادة الفرد . لا يستطيع فرد واحد أن يحيط بكل شيء ويعرف كل شيء ويدير كل شيء . لو أن البلد فيه حكومة حقيقية من وزراء حقيقيين . لو أن الحكومة فيها برلمان يستطيع أن يعارض وينتقد . لو أن مصر فيها صحافة تستطيع أن تكشف عن الأخطاء والجرائم لأمكن تفادي كل ما حدث من كوارث ونكبات !

وفي بعض الأحيان كنت أصاب في جنوني بحالة غرور واتسول نفسي لو كنت خارج الأسوار لما حدث كل ما حدث . أنني أفكر كيف أفنى في عام ١٩٥٥ أبلغت الرئيس عن موعد هجوم غادر دبرته إسرائيل وعن مكانه ، وعن عدد المهاجرين قبل أن يحدث هذا الهجوم بثمان وأربعين ساعة . يومها استعد جيشنا لهذا العدوان ، وضرب قوات إسرائيل المهاجمة ، وقال لى الرئيس يومها أن ما فعلته من أجل بلادك في هذه المناسبة يساوى قرعة حربية كاملة !

وأذكر كيف أن أخى على أمين أبلغ الرئيس بالعدوان البريطانى قبل أن يحدث هذا العدوان بأسبوعين .

أن الذين وضعوني في السجن لم يكونوا يعرفون أنهم جردوا بلادنا من سلاح من أهم أسلحتها . أنني أؤمن بأن ما حدث لنا هو أننا فوجئنا بالهجوم . لم نصدق أن إسرائيل ستهاجمنا . تصورنا أنها تهوشتنا . أن الذى يقرأ الديلى تلغراف قبل المعركة بأسبوعين يجد أن المراسل الحربى المعروف ويلسون ، المشهور باطلاعه الكبير ، قال أن إسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة وتدمرها ثم تبدأ الهجوم . أى صحفى يعرف من هو ويلسون ، ومبلغ اتصاله

بالمخابرات الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية والأمريكية يستطيع أن يعرف بغير مجهود أن هذه أخبار حقيقية وليست استنتاجات !

قلت يوما لأطباء السجن وفي يدى الجريدة : لو كنت خارج السجن الآن لطلبت الرئيس فى التليفون وقلت له اننبه . ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة !

قال الأطباء ساخرين : هل معقول أن تنشر خطة عسكرية سرية فى جريدة ؟ .

قلت : ان الذى يعرف الصحفى ويسلون يعرف أنه قادر على هذا !
ويوم اغلقنا مضيق تيران قلت لزملائى ان اغلاق هذا المضيق معناه ان اسرائيل ستحارب . ان ميناء أيلات هى حياة اسرائيل ، واذا عقدت اسرائيل هذا الميناء فقدت أشياء كثيرة .

وعندما طلبنا سحب قوات الطوارئ الدولية ، توقعنا أن تستجيب الأمم المتحدة لهذا الطلب على الفور ، فاننا عندما اتفقنا على وضع هذه القوات ، ورفضت اسرائيل قبولها على أرضها ، اشتربنا فى المباحثات التى اشتركت فيها أن من حقنا ان نطلب سحب هذه القوات فى اى وقت نشاء وقبل همرشولد يومها هذا الطلب .

كنت أحيانا أقول لنفسى أن الرئيس عبد الناصر لن يفتقدنى الا اذا حدث على مصر عدوان كالذى حدث فى عام ١٩٥٦ وعندئذ سوف يسترجع فى ذاكرته كل ما فعلته لبلادى عندما اختارنى للدعاية للمعركة وللإشتراك فى المفاوضة على جلاء القوات الانجليزية والفرنسية والاسرائيلية ! وكنت أقول لنفسى أنه غير معقول أن يحدث عدوان كالذى حدث . . . وعندما كنت أشعر باقترب الكارثة كنت أقول لنفسى لعل هناك خارج السجن ، حول الرئيس ، من يستطيع أن يفعل أحسن مما فعلت وفعل أخى . وكنت أصبر نفسى بأنه لابد أن يوجد شبان مصريون غيرى ، ربما أكثر منى ومن أخى يفعلون أخيراً مما فعلنا ، ويخدمون أكثر مما خدمنا . ولكن تفاؤلى لم يكن له أى نصيب من الحقيقة . يبدو أننا فوجئنا بكل شيء . وان الأجهزة التى كانت تقول أنها تعرف كل ما يجرى بين الزوج فى مصر وزوجته فى غرفة النوم ، لم تكن تعرف تحركات القوات والمدافع والدبابات على حدود مصر !

ومع ذلك لم أياس بعد . مصر خسرت معركة ولم تخسر الحرب كلها . نحن نستطيع أن نحول التقهقر الى نصر . مما يحز في قلبي اننى فى زنزانتي لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أصلى لبسلاى !

يجب أن نجلس على الفور ونضع قائمة بأخطائنا كلها . نسجلها بشجاعة . وأن نتخلص من هذه الأخطاء فوراً .

أول هذه الأخطاء هو الحكم المطلق . يجب أن تنتهى الدكتاتورية ، ويشارك الشعب اشتراكاً فعلياً فى الحكم . يجب أن ينتهى الحكم العسكرى والحكم البوليسى . ان إسرائيل هزمتنا بحكومة ديمقراطية . ونحن انهزمتنا بحكم ديكتاتورى !

يجب أن نغير القيادة العسكرية تغييراً تاماً . نحن فى حاجة الى عسكريين محترفين لا الى عسكريين هواة . يجب أن يتولى القيادة خريجو الكليات العسكرية العليا الذين درسوا الفنون العسكرية فى الخارج لا الذين يكتبون التقارير ، ويقومون بتسليية كبار القواد . . يجب أن ينسحب العسكريون من كل المناصب المدنية ، ويتخصصوا للحرب فقط .

يجب أن نغير سياستنا الغربية : لا وحدة « بالعافية » . وانما الشعوب وحدها هى التى تقرر بملء ارادتها أى نوع من الارتباط تريده مع مصر .

نحن على استعداد لأن نقبل أى صيغة ترضاها أى دولة عربية . لا نريد أن نتحكم فى البلاد العربية ، ولا أن نحكمها ، ولا أن نضمها ، ولا أن نقودها . . نحن نريد قيادة جماعية للأمة العربية .

يجب تغيير وجوه الهزيمة . . الذين قادونا الى الهزيمة لا يصلحون لأن يقودونا الى النصر !

اننى اتوقع معارضة شديدة لآى تغيير . . المهزومون لن يمتثلوا بالهزيمة . سوف يعتبرون النصر الحقيقى هو بقاءهم فى مقاعد الحكم والسلطان !

كل مساحة سيناء لا تساوى شيئاً بالنسبة لكرسى الحكم !

المصيبة الكبرى !

سجن إيمسان طره

٢٦ يونيو سنة ١٩٦٧.

عزيزتى

نقلت مرة أخرى من الطابق السفلى الى الطابق الرابع . قيل لنا ان الحرب انتهت فلا مانع من اخراج المسجونين السياسيين من التاديب ! عدت استنشق الهواء النقي لأول مرة بعد ثلاثة أسابيع . أسوأ ما كان في زنزانتي في الطابق الارضى انها كانت بعيدة عن الراديو . بينما كنت في الماضي أتمنى لو كنت بعيدا عن سماعة الاذاعة فقد كان صوتها يكاد يخرق أذنى . أما الآن — فى أثناء الحرب — كنت أتشغل فى نائمة الزنزانة . أحاول أن اسمع صوت الاذاعة من بعيد وكأنه دبيب النمل .

كنت اتتبع الاخبار من لحظة الى لحظة . عدد من زملائي المسجونين السياسيين هربوا أجهزة راديو الى داخل الزنازين . أصبح كل واحد منهم متخصصا فى اذاعة معينة . بهذه الطريقة أنشأنا داخل السجن قسم استماع كالذى أنشأته فى أخبار اليوم .

اذاعة العالم تتحدث عن ضخامة حجم الهزيمة . لا تزال اذاعتنا تحاول أن تكذب على الناس . أطلقت الدولة عددا من الإشاعات الكاذبة لرفع الروح المعنوية . أشاعوا أن قطارا محبلا بالأسرى الاسرائيليين وصل الى محطة القاهرة ونميه ألوف الأسرى .

فوجئت بأن عدد الأسرى الاسرائيليين الحقيقى كان ١١ أسيرا اسرائيليا مقابل عشرات الألوف من الأسرى المصريين . أشاعوا أن الشائلى كان يعود لواء داخل اسرائيل وأنه استطاع أن يقتحم الجيوش الاسرائيلية فى سيناء ، ويصل الى القناة ومعه جنوده

وأسلحته ودباباته والوف الأسرى الاسرائيليين . تبينت ان هذه الاشاعة أيضا غير صحيحة . ما زلنا نكتب . لم نتعلم مما حدث لنا ان كل ما جرى هو أننا عشنا نكذب سنوات طويلة حتى صدقنا انفسنا . لا أمل الا اذا بدأنا نتعلم أن نقول الحقيقة .

كان تشرشل يخطب في أسوأ أيام هزائم بريطانيا ويواجه الشعب بالحقيقة ولهذا السبب انتصرت بريطانيا . أما الشعب الألماني فقد عاش على أكاذيب جوبلز وزير الدعاية حتى وقعت الكارثة . من العجيب أن نتعلم من المهزوم ولا نتعلم من المنتصر !

قال لى الأستاذ الهضيبى أنه لا يمكن أن تنتصر مصر وفى سجونها ألوف الأبرياء والمظلومين . وان ما حدث هو عقاب من الله للذين اشركوا بالله وعبدوا الفرد ، والذين جعلوا من الميثاق قرآنا !

سمعت الملك الحسن يقول فى الإذاعة أننا نسينا الله فنسينا الله ! لاحظت أن الهزيمة جعلت كثيرين خارج السجن يصلون . عدد كبير من المسجونين تلقوا خطابات من أولادهم الذين لم يصلوا من قبل يقولون أنهم بدأوا يؤدون فرائض الصلاة . العودة الى الإيمان ظاهرة هامة تستحق التسجيل وخاصة اذا كانت بين الشباب .

وفى كل يوم ازداد يقينا بأن الذين أصابتهم الهزيمة هم الجنود والضباط الذين سيقوا الى المذبحة بغير اعداد . هم الشعب الذى سيدفع ثمن الأسلحة التى خسرناها مرة أخرى ، بعد أن استولى الاسرائيليون على جميع أسلحتنا . هم الجيل الذى عاش فى خديعة كبرى ، وفتح عينه فجأة على هزيمة مروعة بعد أن عاش سنوات طويلة على أوهام وأكاذيب . وسوف يصاب هذا الشباب بردة ، فلا يثق بأحد ، ولا يحترم أحدا ولا يصدق أحدا . وسوف يقال له بعد ذلك الحقيقة فيشك فيها ويسخر منها ولا يصدقها ! الهزيمة التى أصبنا بها ليست هزيمة جيش فقط ، إنما هزيمة لأحلام هذا الشعب . وأنا مؤمن بأن فى استطاعة هذا الشعب أن يسترد روحه المعنوية اذا صارحناه بالحقائق ، واذا غيرنا أسلوب الحكم ، واذا فتحنا النوايا واضنا الأنوار ، واذا علمنا هذا الشعب كرجل كامل الأهلية ، لا طفل نضعه تحت الوصاية أو محجور عليه بواسطة المجلس الحسبى ، باعتبار الحكومة هى القيمة على القصر والسفهاء والمجائنين .

وحسبى الآن لم أر أى محاولة للسير فى الطريق الصحيح . الإذاعة تقول " خسرنا الأرض ولم نخسر النظام " ! بمعنى أن بقية... الحكومة الحاضرة أهم ألف مرة من ضياع سيناء وهى تلك مساحة مصر ، وضياع كل هذا الثلب . وضياع كل هذه الأسلحة ، وضياع سمعنا فى العالم .

هذه العقلية هى سبب نبتنا . وإذا استمرت فسوف " يستمر النكبة وكبر دليل على أن لا شيء تغير فى عقلية الحكم ، أن وزير الداخلية أرسل خطبا سريا الى السجن يطلب فيه : أنه ابتداء من اليوم تكون زيارة أسرته لى فى « السلك » أى لا تتم الزيارة فى غرفة الضابط ولا فى المستشفى بل فى غرفة أشبه بقصص القروء فى حديقة الحيوانات ، بحيث يفصلنى عن أولادى وأسرته «سلك مسبك !

ولم أهم سبب هذا العقاب الا اذا كان وزير الداخلية يعتبرنى مسئولا عن هزيمة ٥ يونيو ! أو أنه تقرر نقل ميدان القتال من سيناء الى سجن ليمان طره ، فتوقفت الحرب مع الاسرائيليين وبدأت الحرب على المصريين !

ان الذى اصدر هذا القرار يعرف اننى مريض بالنقرس والروماتيزم والسكر ، ولا أستطيع الوقوف على قدمى أثناء الزيارة . ومع ذلك فامرى الى الله ، وسوف أقابلكم فى السلك ، ومن رأى الا يحضر الاولاد فى زيارة السلك لان منظر السلك الذى يفصلنا سوف يحطم أعصاب الطفلة .

ومما جعل الحالة تسوء أن ضابطا جديدا جاءنا فى العنبر . وللغريبال الجديد شدة كما يقولون . ولهذا يشتد فى معاملتنا باعتبارنا أسرى من الأعداء .. ! ولعل الاشاعة التى تقول ان لدى مصر ٥ ألف أسير من الأعداء مقصود بها عدد المسجونين السياسيين والمعتقلين السياسيين . فقد بلغ عدد هؤلاء فى ٥ يونيو أكثر من خمسين ألفا ! أما الأسرى من اليهود فلم يزد عددهم على ١١ . ويظهر أننا تخصصنا فى هزيمة المصريين ونسينا كيف نهزم الاسرائيليين !

أصبحت الحياة صعبة فى عنبر المسجونين السياسيين . كل شيء

أصبح صعبا . تعليقات جديدة بالا يزيد حجم الخطاب على صفحة واحدة . تفتيش دقيق مستمر للبحث عن الورق والقلم في زنزانتي . عمليات خروج ودخول المسجونين من العنبر أصبحت غير سهلة . أن من عادتى كلما اشتد الحصار أن اتحدى هذا الحصار بهضاعة الخطابات المهرية . أحسن وقت لمخالفة القوانين هو فترة الشدة والبطش والارهاب .

لا تتصوروا أن حياتى أصبحت لا تطاق . أبدا أئننى اعتدت أن أعود نفسى على أى نوع من أنواع الحياة . الحسن والسيء . احتل كل معاملة . لا تشغل رأسى هذه المسائل الصغيرة . اننى أميش فى دوامة الأحداث والأخبار . لا تهنى الا أحوال بلادى . عندما كانت القنابل تدوى بشدة لم أشعر بخوف أثناء الغارات كنت أفكر فيكم وفى الأولاد . الذى يضايقنى أن الصحف وأجهزة الإعلام تحاول تضليل الناس ، وأنهم لم أن الجيش المصرى قادر على أن ينتقم لهذه الهزيمة بعد أيام . هذا التضليل يجب أن يتوقف . يجب أن نعد الشعب ليعرف أن المعركة طويلة . لأن الهزيمة كانت كبيرة .

سألنى مدير الليمان اليوم : كيف عرفت قبل قيام الحرب أن الجيش المصرى سيهزم ؟

قلت : لأننى أعرف أن القيادة غير صالحة ! وكنت أقول هذا صراحة لجمال عبد الناصر .

سألنى : وهل غيرك يعرف هذا ؟

قلت : طبعاً .

قال : وإذا لم يقولوا لعبد الناصر ما قلته أنت له ؟

قلت : لأنهم عرفوا ما جرى لى !

وهز مدير الليمان رأسه بأسى وقال :

— هل تعرف أنه لا يوجد جندى مصرى واحد ولا بنقية مصرية واحدة من القناة الى القاهرة !

قلت : أعرف !

قال : هذه مصيبة !

قلت : . المصيبة الأكبر أننا لا نزال نرتكب نفس الأخطاء !

بحرء الأسر في الجحيم
تنسى أنك في الجحيم

سجن ليمان طرره

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٧

أخي العزيز

وأخيراً . . . « شرف حبيب القلب بعد طول الغياب » . كما نقول
الأغنية القديمة . وصل خطابك المتأخر جداً المؤرخ في ٧ أبريل .
وصل بعد شهرين وسبعة عشر يوماً . هذا الخطاب الذي انتظرت
طوال الشهور والأسابيع والأيام الماضية ، حتى ينسب تمامها من
وصوله . ففهمت أن الخطاب اختفى ولن أتسلمه ولن أعرف مآله .
أسلمت أمرى إلى الله ، راضياً أن أفقد خطاباً واحداً كل ثماني
خطابات . وهي نسبة محترمة لآى بريد عالمى ! كنت أريد أن أعرف
ماذا فى هذا الخطاب بالذات حتى يتمثر فى الطريق . وينكسر على
وجهه . ولا يصل إلى على الإطلاق . ثم قرأت الخطاب بالطول
والعرض . ومن اليمين إلى الشمال . ومن الشمال إلى اليمين .
ومن فوق إلى تحت . ومن تحت إلى فوق ، حتى أعرف سر تأخير
الرقيب له ، فلم أجد فيه شيئاً يستحق كل هذا التأخير الطويل .
كل ما فيه أنك تفكر فى السفر إلى بيروت لتشرف على تجديد مجلة
الصيد ، وتحدث من مساوىء الطبع فى مجلة حواء ، ووفاء هدية
بركات ، واحتمال هودة جورج براون إلى الحكم ، والجزء الثانى
من مذكرات هارولد ماكملان رئيس وزراء بريطانيا السابق ،

— ٣٠٥ —

٢٠ — سنة ثانية سجن

وتفكير صديقنا رمسيس نصيف أن يتزوج للمرة الثالثة .

وليس في كل هذه الاخبار خبر يقلق الامن العام او يهدد سلامة الدولة ، ولابد أن الخطاب كان « منشوتا » في أحد الملفات !

لا تتصور سرورى بهذا الخطاب المفقود . اعلمتنت الى ان كل خطابك تصل الى بسلامة الله . ومهما تأخرت فسوف تصل الخطاب في يوم من الايام . ولا داعى لتشاؤمى كلما تأخر خطاب من السلسلة . فأضرب لخماسا في اسداس واسداسا في اخماس . وأخلق من الحبة قبة . ومن القبة حبة . واحرق اعصابى . واشغل مخى في محاولة استنتاج أسباب تأخر خطاب معين ، وما يمكن أن يحويه مثل هذا الخطاب الضائع . عذرى أن لا عمل لى في السجن الا التفكير . في الماضى « كان الفاضى يعمل قاضى » . أما الآن فهو يعمل « مفكر » يستنتج من كل كلمة ، ويستخرج من كل سطر ، واذا كان تقسيم الذرة يحدث انفجارا في الكون ، فان تقسيم للكلمة يحدث انفجارا في الدماغ !

مع نفس خطابك المأرّج ١٧ أبريل وصل خطابك المؤرخ فى ١

٢ يونيو . الفرق بين الخطابين ١٦ يوما . ومع ذلك وصل فى يوم واحد .

يوم وصل خطاب منك هو عيد عندى . فى هذا اليوم لا افكر فى شيء . انسى كل همومى ومتاعبى ولا اذكر سوى هذا الخطاب .

كنت اريد ان اكتب الى الاخ سعيد فريحة اشكو ما اصاب قصتى المسلسلة من بهللة ! اتنى اشكو لطوب الأرض فعلا . لأن أحدا هنا لا يعرف اتنى اكتب قصصا وأهربها الى بيروت ! لقد فوجئت بالقصة منشورة بشكل غريب . جزء من فصل أضيف الى فصل

آخر ! الذى أتصوره أن كل فصل من هذه القصة قائم بذاته تمامها كما يضيف سكرتير التحرير مثلا الى قصيدة من الشعر بينما من بحر مختلف ، أو من قافية أخرى أو من وزن آخر أو من قصيدة أخرى ! ربما أن من غير المعقول دخل بدون علمى فى من نوضبب الصفحات . المفروض فى كتابة القصة المسلسلة أن يكون لخاتمة كل فصل رنين . أما وضع جزء من بداية الفصل الثانى فى نهاية الفصل الأول فهو أشبه بوضع جزء من أغنية أم كلثوم « هذه ليلتى » فى نهاية أغنية « الف ليلة » ! لم انهم بعد هذا الفن السريالى القصصى . لابد أن هناك حكمة غابت عن ذهنى . لو كانت القصة اصغر من الحيز المقرر فيمكن أن يوضع فيه مثلا اعلان عن مجلة الصيد أو عن ملحق الأنوار أو عن أى شىء . اللهم الا اذا كان الفصل الثانى طويلا جدا يعجز سكرتير التحرير أن يفعل شيئا سوى تقسيمه بين مختلف الفصول . كما يحدث مثلا أن تزدحم الطائرات ، ولا يجد أحد الركاب مكانا فى الطائرة ، فتقطع شركة الطيران الراكب الى ثلاثة أجزاء ، وتضع كل جزء فى طائرة . وهذه فكرة جهنمية اقترح بيعها لأحدى شركات الطيران !

وسررت كثيرا للنبا الذى جاء فى خطابك الاخير بأن التجديد فى جريدة الأنوار ومجلة الصيد على الأبواب . بعض ابواب الصيد فى حاجة الى التجديد والى مادة حية . حتى صفحة الفن اختلفت منها الاخبار وأصبحت تنشر بحوثا عن الموسيقى لا فهم الا علماء الموسيقى . من رأى خلق باب المجتمع من جديد وتحويله الى مجتمع البلاد العربية . انه الآن عبارة من اعلانات مجانية من أشخاص لا يعرفهم أحد ، ولا يهتمون أحدا ! لا يزال من رأى التنوع والتجديد والابتكار المستمر . بعض الكتاب الذين أحبهم وأعجب بهم أصبحوا يكتبون كل أسبوع فى موضوع واحد . الكاتب الساحر الموهوب جورج جرداق يكتب كل أسبوع أن لبنان لا يساوى حذاء

تديما أو على حدّ تعبيره « مُردة صرماية قديمة » ! والكاتب
المبتدئ سعيد عقل يكتب كل أسبوع أن لبنان هو اعظم بلد في
العالم . . الا يمكن أن يكتب جورج جرداق عن مُردة حذاء أخرى ،
أو يكتب سعيد عقل عن إحدى الدول الصغرى كالاتحاد السوفيتي
أو الولايات المتحدة أو الصين مثلا !

ولا أوافق أن تنشر مقال سعيد في مجلة الصياد في نفس اليوم
في جريدة الأنوار . أن هذا يضعف الصياد . المفروض أن تتميز
الصيد بشيء نظرا لارتفاع ثمنها . يجب أن يجد القارئ في مجلة
الصيد مالا يجده في أي صحيفة أخرى . شيء مختلف . المفروض
أن مجلة الصيد تكون أخف دما من الأنوار . وأكثر جرأة ، وأوسع
في دائرة اهتماماتها .

ولكن الذي لاحظته الآن أن « الأنوار » أخف دما من الصياد
وأكثر حيوية . أن من رأيي توحيد الأسلوب في مجلة الصياد .
مدرسة سعيد فريحة الساخرة يجب أن يكون لها تلاميذ . بمصيبتنا
اليوم في الصحافة هي أننا أصبحنا بطامون الفلسفة . كل من يكتب
يريد أن يكون فيلسوفا . ومن شروط الفيلسوف في رأيهم ألا يفهم
أحد ما يقول . أن يكتب وكأنه يحاضر في الجامعة . من حق الكاتب
الصالح أن يتفلسف مرة أو مرتين في العام . من الخطأ أن تتحول
المجلة الانتقادية إلى كتاب فلسفة . القارئ لا يدفع ثمن الجريدة
ليحضر حصّة فلسفة في الجامعة . إذا كان لايد من الفلسفة
نخصصوا ملحق الأنوار مثلا للفلسفة ، بينما تشغل باقى الصحف
والمجلات بالصحافة ! أريد مجلة الصياد في كل بيت عربي . أن يجد
فيها القارئ كل أحداث البلاد العربية : سياسة . فن . اقتصاد .
رياضة . أخبار صحفية . المشروعات الجديدة . الإصلاحات .
الاتجاهات الفكرية . المخترعون والعلماء من أبناء الأمة العربية .

الحسفات المالية الكبرى التى حدثت فى كل بلد عربى . هذا يقتضى شبكة من المراسلين . القارئ يريد تحقيقات صحفية من كل بلد عربى لا بلاغات رسمية منها . يوجد فى كل بلد عربى خريجون من الجامعات يسعدهم أن يقوموا بهذه المهمة . . . كل شئ يتحرك الآن فى البلاد العربية ويجب أن يتحرك المحررون مع الأحداث ويجب أن يجد القارئ كل صفحة فى المجلة عن بلد مختلف ، ما عدا لبنان فيخصص له عدة صفحات . المهم أن يجد قارئ الكويت فى كل عدد شيئا عن الكويت ، وقارئ ليبيا شيئا عن ليبيا ، وقارئ السودان شيئا عن السودان . مغروض أن يضع مدير التحرير أمامه قائمة بأسماء البلاد العربية كلها وإمارات الخليج ، ويحرص على أن يكون فى كل عدد ولو سطر واحد من كل بلد من هذه البلاد . فإذا لم يجد خبرا عن بلد معين كلف محررا أو محررين بالحصول على أى معلومات هامة عن هذا البلد . من رأى أن يحاول الكاريكاتير أن يفعل نفس الشئ ، دون أن يجرح هذا البلد ، فبعض هذه البلاد قد لا يفهم النكتة كما نفهمها . يجب أن يشعر كل قارئ أنه موجود على الخريطة . يجب أن تهتم الصيد بكل نجوم البلاد العربية من سياسيين وكتاب وصحفيين وفنانين واقتصاديين وعلماء وأدباء وشعراء ، وأن تكتب عن الذين يصلون الى بيروت منهم . ان القارئ العربى يهمه اخبار الشاعر نزار قباني أكثر مما يهمه اخبار فلان الوزير اللبناني ونهمه اخبار أم كلثوم أهم من اخبار وزير زراعة لبنان !

نسيت أن أخبرك بأننى حتى الآن كتبت ثلاثة عشر فصلا من كتاب (من واحد الى عشرة) عن تاريخ السنوات العشر الاولى من حياتنا وفكرياتنا من ثورة ١٩١٩ . فهو تاريخ الثورة من خلال تاريخ اسرة . وكتابة التاريخ فى الوزنات مرهقة جدا . أرجو أن أنتهى من كتابة هذا الكتاب فى خلال شهر يوليو . وأبدأ فى شهر

أغسطس في كتابة قصة جديدة . وسررت أنك تقرأ الفصول الأولى من كتاب واحد الى عشرة في نفس الوقت الذي أكمل فيه هذا الكتاب . ويهمنى أن أسمع ملاحظاتك عما قرأت . اننى تعودت على التضييقات الجديدة في السجن . بعد أن نمكث أربعة أشهر في الجحيم ننسى أنه الجحيم . أحمد الله على أنه أعطانى حتى الآن قدرة عجيبة على الرضا بكل ألوان الحياة . أعود نفسى على كل شيء . كنت في الماضى لا أطيق الجبن البلدى . الآن أصبحت أحبه . أغمسه في الماء حتى يخرج منه الملح الكثير . أذوقه بعد ذلك فإذا به في طعم القشدة ! يبدو أن كل شيء اذا غمسناه في الماء يتحول الى طعم القشدة ، والماء أشبه بالزمن فهو قادر على أن يضيع طعم مرارة الملح من شفاهنا !

الناس هنا يعيشون في جو التفاؤل . كأنهم يقرأون خطاباتك المتأصلة !

كلما اقتربت أعياد ٢٣ يوليو بدأت تخرج اشاعات عن قسرب العفو عن المسجونين السياسيين ، كل سجين يزوره أهله يحملون له مع الطعام انباء سارة عن أن العفو قريب . مضى على سنوات أعيش في هذا الجو اللذيذ كلما اقبل شهر يوليو . ان أمائى المسجون اذا لم تتحقق فهو يعيش عليها بضعة أيام في عالم الأحلام .

وهذا أيضا هو موسم التنقلات بين ضباط السجن . الاشاعات تنقل ضباطا وتجيء بضباط آخرين . كل مسجون يكره ضابطا يشيع أنه سينتقل . العادة دائها هي نقل الضباط الحبوبين وإبقاء الضباط المكروهين ! وهكذا بينما يكون الناس مشغولين بمن سيكون رئيس وزراء فرنسا الجديد يكون المسجونين في عنبر واحد مشغولين باسم الضابط الذى سيعين قائدا على غيرهم !

واذا كانت المدن الكبرى تشغل نفسها بمشكلة المرور ؛ فإن
السجون مشغولة بمشكلة المرور أيضا . المرور هو زبارة أحد كبار
الموظفين أو المفتش أو الضباط للسجن . وعندما يقال لنا أن «هناك
مرور » ينشغل كل واحد منا بتنظيف زنزانيه . وإخفاء المنوعات
الموجودة فيها ، بحيث إذا جاء الزائر وجد كل واحد منا على البلاط
« تنفيذاً للتعليمات » ! فيطمئن أن كل شيء على ما يرام . وعندما
يعلن نيا المرور يصاب كل إنسان في السجن بمغص . وكلما شربت
شخصية المسئول كبر المغص . ويحىء المرور أحيانا -وأحيانا
لا يحىء . بمعنى أن المفتش يدخل السجن ويجلس في غرفة المدير
ويشرب قهوة وليمون ويأخذ اثنين كيلو صابون ويوقع على رقعة أنه
زار جميع الزنانات وجميع المرافق ووجد كل شيء تمام ! وهكذا
يظهر أنه مرور كاذب ، كالحبل الكاذب ، فتظهر كل أعراض المرور
ما عدا المرور نفسه !

واحتفالا بالزائر الكريم ، تغلق أبواب الزنانات على المساجين ،
ولا تفتح لهم الا بعد أن ينتهى المرور ويخرج المفتش من باب الليمان ،
وقد يحدث أن يستمر المرور أربع ساعات فتضيع منا فرصة
الفسحة ، وتغلق الزنانة ٢٤ ساعة في اليوم . يحدث كل هذا
لأن مفتشا جاء لمراجع دفتر الصادر والوارد في أحد المكاتب .

وعندما يخرج الزائر نتنفس الصعداء ، وتفتح أبواب الزناتين ،
وترى عددا كبيرا من المسجونين يعدون ويتدافعون الى دورات
المياه .

وفي الختام أضحك الى صدرى وأقبلك والى اللقاء القريب
بإذن الله .

اليد التي تعبر على أعتاقنا

مسجون ليமான طره

٢٨ يونيو ١٩٦٧

عزيزتى

اننى لم اصدق ان هذه الهزيمة قد حدثت . كنت استيقظ من النوم فى الصباح واتصور ان ما حدث هو كابوس مخيف وقع النساء نومي . وعند الصباح اكتشف انه الحقيقة ولم يكن كابوسا . تكرر لى هذا الشعور عدة ايام . الشيء الذى يجعلنى اكاد انقد عقلى انه كان فى امكاننا ان نتفادى كل هذا . حماقتنا هى التى ادت الى هزيمتنا . البطش الداخلى اعمانا فمسقطنا فى الفخ الخارجى . المعلقون الاجانب فضحونا . قرأت فى بعض الصحف الفرنسية بحثا يقترح كاتبه ان يعرض الشعب العربى على طبيب نفسانى . الذى يمزقنى اننى ارى السمات فى عيون العالم . هددنا وتوعدنا ثم تحطمتنا فى ساعات . تظاهرننا باننا عمالقة واثبتنا اننا اقزام . بالغنا فى ثوتنا لتبالغ المعركة فى هزيمتنا . الطريق الوحيد للنجاة ان نعترف باخطائنا ، ولكننى الاحظ فى كل ما تكتبه صحفنا اننا نتهم كل انسان الا المتهم الاول : وهو الديكتاتورية فى رأى . هو الطغيان . هو حكم الفرد . هو انتهاك القانون . هو اعطاء العدالة اجازة . هو القضاء على الحريات . هو الرقابة على الصحافة . هو

الحراسة الغاشمة . هو السجون والمعتقلات . هو أجهزة الإرهاب .
هو الكذب على الشعب وتضليله . هو الشعارات الملفقة . هو
الجملة الكبيرة التي تحمل معاني صغيرة ، هو الجهل . هو الغرور .
هو تقديس الفرد . هذا في رأيي هو المتهم الأول في الهزيمة ، ومن
المظلوم تجاهل هذا المتهم والبحث عن متهمين صغار !

ان المحاولة تبذل الآن لنسيان ٥ يونيو وتمجيد ٩ و ١٠ يونيو .
مطلوب ان يضيع اثنين الشعب من الهزيمة المنكرة في ضوضاء
الزغاريد بعدول الرئيس عن تنحيه . الذي يقرأ صحفنا ويسمع
اذاعائنا يتصور اننا خضنا في يومى ٦ و ١٠ يونيو معركة حربية
جديدة ، واسترددنا سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية .
وأعدنا عشرات ألوف الشهداء الى قيد الحياة ، ومسحنا الهزيمة .
ان الذى اخشاه هو انهم يحاولون ان يجعلوا من الكفن علما . ومن
العار شرفا . ومن الماتم ميذا . ان لهجة الاعلام هى ان بقاء الحكم
في أيدي الحكام هو المنى والرجاء ، وأن ضياع الأرض هو مسألة
تافهة لا قيمة لها .

ان النكت التي خرجت من أفواه الشعب ، وملأت كل مكان كأنها
الغازات الخائقة ، هى رد الشعب على هذه المحاولات . اننى امتقد
ان الرئيس عبد الناصر في حاجة الى من يقولون له الحقيقة اكثر من
أى وقت مضى . ولكن كيف تصل الحقيقة والكل خائف .

اننى فوجئت ببعض الناس يحمدون الله على اننا هزمنا . يقولون
انه لو اننا انتصرنا لطغى حكامنا اكثر مما طغوا ، وبغوا أكثر مما
بغوا ، وجعلوا هذا الشعب يضاع على وجهه « الطرح » وهو يمشى
في الشوارع وهو شعور مخز حقبة . ولكنه يدل على اثر البطش
والطغيان في نفوس الناس . ومن رأيي أن طاقة النجاة هى
الديموقراطية وهى الحرية . يجب أن يغير عبد الناصر طريقة

حكمه . يبعد على الفور الطغاة الصغار والفراعنة الصغار الذين
أذاقوا الشعب عذاب الهون . يجب أن يفتح أبواب المعتقلات
والسجون . يجب أن يوقف الحراسة ومصادرة أموال الناس . يجب
أن يعود القضاء العادى وينتهى القضاء العسكرى . يجب أن نطلق
حرية الصحافة . يجب أن تجرى انتخابات حرة لبرلمان جديد يكون
من حق النواب أن يتكلموا ويناقشوا ويعارضوا . أنا أؤمن بأن
الأغلال والأصفاد والسلاسل التى قيدوا بها الشعب هى السبب فى
الهزيمة .

الكلمة التى وضعت على كل فم حتى لا يتكلم . العصاة السوداء
التي وضعت فوق كل عين حتى لا ترى الأخطاء . الأصابع التى
وضعت فى كل أذن حتى لا تسمع الحقائق . السلاسل التى قيدت
بها حركتنا . كل هذا كان لحساب إسرائيل لا لحساب مصر . إسرائيل
استفادت من قيودنا ، وانتصرت بسبب قيودنا ! كيف يمكن أن ينتصر
شعب فى معركة حربية ، وكل فرد فيه فقد النطق وفقد الرؤية وفقد
السمع وفقد الحركة . لا أحد آمن على نفسه ولا على أسرته
ولا على عمله . . . لكى نقضى على الهزيمة يجب أن نقضى على
أسباب الهزيمة ، والا فسوف تصبح هذه الهزيمة أبدية ! الذين
يقولون أننا سنحارب بعد شهر أو شهرين يضحكون على الشعب
ويضحكون على أنفسهم . لن نستطيع الحرب قبل أن نقضى على
الارهاب فى بلدنا ، يجب أن نتحرر 'ولا فى بلادنا لنستطيع أن نحرر
كل شبر من أرض بلادنا .

الخائفون لا يحاربون . الأيدى المقيدة بالأغلال مشغولة بقيودها
لا تستطيع حمل البنادق والمدافع . المربوطون بفلسلاسل
لا يستطيعون أن يتقدموا فى ميدان القتال ! طريق الحرية الوحيد

هو طريق النصر . لقد جربنا طريق الاستبداد فوصلنا الى الهزيمة .
فلنجرب طريق الحرية !

فى سنة ١٩٥٦ استطعنا بجهود جبارة أن نحول الهزيمة الى نصر
والتقهر الى انطلاق . كسبنا المعركة بالدعاية التى قمنا بها فى جميع
أنحاء العالم . بالجهود الدبلوماسية المضنية .

الموقف الآن يختلف . هزيمتنا أمام بريطانيا وفرنسا — وهما
دولتان من الدول الكبرى — كانت شرما . وهزيمتنا أمام إسرائيل
أصغر دول العالم عار . فى ١٩٥٦ لم تكن قد وقعت كل المظالم التى
وقعت اليوم . فى ١٩٥٦ دخلنا المعركة كدولة صغيرة تقاوم عدوان
دولتين كبيرتين ، وفى هذه المرة دخلنا الحرب كعلاق يتحدى قزما .
وهذا جعلنا نفقد عواطف العالم . اننى لم أياس أبدا . اننى فى هذه
الساعات العالكة السواد أرى شعاعا من النور . الله لن يتخلى
عن مصر اذا لم تتخل مصر عن الله . الايمان بالله يصنع المعجزات .
المهم أن نضئ الأتوار لنرى طريقنا . أن نفتح عيوننا لنرى أخطاءنا .
كان الحكام فى الماضى يعتبرون الكلام جريمة . . أنا أرى اليوم أن
الصمت جريمة . يجب أن يقول الشعب رأيه . ويجب أن ينزل الحكام
على رأى الشعب .

لم أكتب فى هذه المدة لأخى ولا لأولادى ولا لأصدقائى . أنت
تعرفين أن الكتابة اليكم تسعدنى تخفف عنى عذاب السجن
ووحشته . طوال مدة الحرب لم أستطع أن أكتب خطابا شخصيا .
كنت مشغولا منكم . مشغولا بمصر كلها . كان كل جدى يموت
هو ابنى وأخى وصديقى . كل قنبلة تسقط كأنها سقطت فوق رأسى
كأنها هدمت بيتى ودمرت حياتى . خبرتى جعلتنى للأسف أشعر
بالكارثة قبل أن تقع . عندما بدأت المعركة كنت أخفى قلقى عن

الناس جميعا . أتركهم في حشيش تفاؤلهم وأنبيون أوامهم حتى
لا انفسد عليهم احلامهم الجبيلة .

لم يكنهم ما نحن فيه من هم وحزن ونجاعة . الأوامر تتوالى
من وزير الداخلية بتشديد المعاملة على المسجونين السياسيين .
« احنا في ايه وأنتم في ايه » !!

الخطابات تتأخر . الطعام الصحى يمنع من جديد . الخروج
والدخول في العنبر يصبحان أصعب من الدخول الى الجنة ومن
الخروج من النار . وأتني أتصور أن هذه الفترة مؤقتة . وأنه بكت
« الهزيمة » عند المسؤولين . فشلوا في هزيمة العدو ... فبدأوا
يحاولون هزيمة المصريين ... المسجونين !

شعرت بسعادة بأن أضى قام بجهود في لندن من أجل شرح قضية
مصر في أثناء الأزمة . مهما حدث لنا فإن حياتنا وجهودنا وخبرتنا
هى ملك لبلادنا . نضع كل ما نملك في خدمتها في كل المحن والخطوب
والأزمات .

الحياة في الزنزانة ليست راحة . أتنى لا أبقى فيها بفكرى سوى
لحظات قليلة كل يوم . أفكرى دائما خارج الزنزانة . أتتبع أخبار
الإذاعة وتعليقاتها حرفا بحرف . أعيش مع مصر في كل خطوة
تخطوها . كنت أمضى الساعات في مكتبى أبحت من عنوانات
للمصفحة الأولى . الآن أسمع مائشيتات كل دقيقة . الأحداث تمشى
بسرية رهيبه . وأنا أجرى والهث خلفها حتى أستطيع أن ألقى بها
وأحلقها وأدرسها . كم أشعر بأسى وأنا أتتبع خبرا هابا ، ونجاة
تقطع إذاعة السجن في نصف الخير لتطلب من الشاويشية الحضور
الى المطبخ لاستلام غداء المساجين !

أَمْضَى الْوَقْتُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَقُولُ
لِتَلَامِيذِي فِي قِسْمِ الصَّحَافَةِ بِكَلِيَّةِ الْأَدَابِ أَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ أَعْظَمُ مَا وَصَلَ
إِلَيْهِ الْفَنُّ الصَّحْفِيُّ الْحَدِيثُ . فِي امْكَاتِكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
وَكَاتِكَ تَقْرَأَ أَعْظَمَ جَرِيدَةٍ يَوْمِيَّةٍ فِي الْعَالَمِ . فِيهِ حِكْمَةُ الْيَوْمِ . وَخَبْرُ
الْيَوْمِ وَخَبْرُ الْغَدِ . فِيهِ أَنْبَاءُ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ . فِيهِ جِدَّةٌ
وَفِيهِ اثَّارَةٌ . فِيهِ الْغَايَةُ وَحُلُولُ الْمَشْأَلِ . فِيهِ حَوَادِثُ وَقَضَايَا .
فِيهِ أَنْبَاءٌ خَارِجِيَّةٌ وَدَاخِلِيَّةٌ !

أَنْتَنِي أَهْرَبُ مِنْ حَزْنِي عَلَى بِلَادِي إِلَى الْقُرْآنِ . النَّاسُ يَعِيشُونَ
فِي جَوْ مِنْ الْكَاتِبَةِ وَخِيَّةِ الْأَمَلِ وَالْيَاسِ . كَانَهُمْ يَشِيعُونَ جَنَازَةً
لَا تَنْتَهِي . سَيَمُرُ وَقْتُ طَوِيلٍ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ لِلنَّاسِ ابْتِسَامَاتُهَا
وَضَحْكَاةُهَا . هُمُومُ بِلَادِي تُثْغَلْنِي . كَانَنِي أَحْمَلُ عَلَى رَأْسِي وَحْدِي
هَمَهَا . كَانَنِي أَنَا الَّذِي سَادَفَ وَحْدِي فَاتُورَةُ آلِمَهَا وَخَبَائِثُهَا .
حَاولْتُ كَثِيرًا أَنْ أَقْنَعُ نَفْسِي بِأَنْ وَجُودِي فِي السَّجْنِ يَعْنِينِي مِنْ
مَسْئُولِيَّةِ حَمْلِ هُمُومِهَا . لَمْ أَسْتَطِعْ . أَشْعُرُ بِأَنَّنِي جُزْءٌ مِنْ بِلَادِي .
بَلْ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْهَا . أَحْيَانًا أَقُولُ لِنَفْسِي أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ حِكْمَةِ الْهَيْئَةِ مِنْ
وَجُودِي فِي السَّجْنِ . رُبَّمَا لَوْ كُنْتُ الْآنَ خَارِجَ السَّجْنِ لِمَا نَقُتُ
سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّوْمِ . وَلِمَا عَرِغْتُ الرَّاحَةَ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَاصَبْتُ
بِالذَّبْحَةِ الصَّدْرِيَّةِ . كَانَ اللَّهُ عَرَفَ كُلَّ مَا كَانَ سَيَصِينُنِي مِنْ غَارَاتِ
الْأَحْدَاثِ وَقَنَابِلِهَا فَوَضَعَنِي فِي هَذَا الْمَخْبَأِ ، كُنْتُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَتَصَوَّرُ
أَنَّ اللَّهَ أَخْلَفَنِي السَّجْنَ لِأَرَى بِعَيْنِي الْمَظَالِمَ وَالظُّلْمَ وَالتَّعْظِيمَ ، الَّذِي
لَمْ أَكُنْ لَأَصْدَقَهُ لَوْ سَمِعْتُهُ ، لَوْ لَا أَنَّنِي رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي ، وَذُقْتُهُ بِجَسَدِي
— وَالْآنَ أَتَصَوَّرُ أَنَّ حِكْمَةَ دُخُولِ السَّجْنِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّنِي
طَالَمَا أَتَنَزَّهْتُ وَحَفَرْتُ مِمَّا سَيَحْدُثُ . وَأَنَّ أَحَدًا لَنْ يَصْدُقَ أَنَّنِي أَتَنَزَّهْتُ
وَحَفَرْتُ وَنَصَحْتُ ، وَكُنْتُ سَاتَحْمَلُ مَسْئُولِيَّةَ الْهَزِيمَةِ ، وَأَدْفَعُ ثَمَنَ
جَرِيمَةٍ لَمْ أَرْتَكِبْهَا . بَلْ قَاوَمْتُهَا وَحَارَيْتُهَا . أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي وَأَخِي أَصْبَنَا
مَعَ بَهْرَاضِ السَّكْرِ عَقِبَ الْجَهْدِ الَّذِي بَذَلْنَاهُ فِي مَعْرَكَةِ الْعَدَوَانِ

عام ١٩٥٦ . ماذا كان يصيننا لو كنا في مكاننا في هذه الأيام . اننى
أحمد الله على كل شيء . وقد كنت أقول انه لابد من حكمة الهية
وضعتنى في السجن ؟ !

لا تزال حريتى بعيدة . خصوم الحرية أقوياء . أنصار الحرية
ضعفاء . شعورى أن حزب الظلام سوف ينتصر على حزب النور
في هذه الفترة . وسوف يستمر الاستبداد بل سوف يشتد . وهذا
بخلاف جميع الآراء التى حولى التى تعتقد أن الاتجاه هو الى الحرية
والديموقراطية . الأستاذ الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين
من هذا الرأى أيضا . وهو أن الأيام القادمة ستكون أشد سوادا !
مع كل هذا لم أفقد الأمل في الحرية . أرى أن الفجر سيجيء بعد
الظلام . سوف تقترب ببطء من أحلامنا ، من ابتساماتنا ، من
ضحكاتنا . أؤمن بأن الله معنا . كل شيء وقع لى يزيدينى إيمانا
بالله وثقة به . سررت أن رفض التنازل عن الشقة جعلهم يضطرون
الى تسليمنا الشقة ، بعد أن أفلطوها منذ القبض على الى الآن .
أشعر باننى سأعود إليها في يوم من الأيام ونستأنف أحلامنا . الله
أراد بما أصابنا أن يزيدينى إيمانا . أن يعرفنى بصورة واضحة قيمة
الحرية . اننى أتصور أن متاعبى قد تزداد في الأيام المقبلة . هذا
ليس علامة سيئة . بل علامة طيبة . اشتداد الظلام معناه اقتراب
الفجر . أنا لست متفائلا جدا مثل أخى على . أنا واقعى أكثر منه .
أعرف أن الظلام سيطول . وبرغم كل ما حولى من أسباب التشاؤم
والياس والقنوط فإن قلبى يملؤه التفاؤل والثقة بالمستقبل بآذن الله .
لقد وصلنا الى الحضيض . لا يمكن أن نهبط الى أكثر مما وصلنا
اليه . كل حركة بعد ذلك ستكون الى فوق . لا تتضايقى اذا اشتدت
الضغوط والقيود . اذا كانت مقابلتنا القادمة في السلك . اذا وجدت
متاعب في إرسال طعام السكر اذا وجدت عقبات في الحصول
على الزيارة الخاصة : اذا تأخرت الخطابات اذا انقطعت الأخبار .

كل هذه متاعب مؤقتة . المسجون هنا طبقا للائحة السجون
لا يقيم وحده . يقيم القلق معه . يتولى حراسه . ومع ذلك فأننى
أشعر بأن اليد التى تقبض على عنقى بشدة لابد أن تتعب من
الضغط عليه ، مع الأيام ستتراخى . اننى أشعر بأن إيمانى معى
فى زنائتى ، يضاعف قوتى وصمودى وصبرى .

وصلت الكهرباء الى زنائتى بعد أن عشت عدة أسابيع فى ظلام
دامس . عادوا يهربون لى الثلج . أشرب الآن ماء مثلجا . نعمة
من الله أرجو أن تدوم ..

مجلس الوزراء في زنزين السجن الحربي

ليمان طره

يونيو ١٩٦٧.

عزيزتى

آلاف الشباب المصرى يموت على ارض اليمن . مليون جنيه
مصرى تنفقه مصر يوميا فى القتال فى حرب اليمن لتحرير الشعب
اليمنى . نحرمتفسنا من القوات الضرورى فى سبيل عملية التحرير
هذه .

ولكن انتظرى ماذا فعلنا بشعب اليمن . رسائل هربت لى من
السجن الحربى من زعماء اليمن تروى قصصا عجيبة ..

فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٦ دعى عدد من زعماء ثورة اليمن
لقائلة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد
العام للقوات المسلحة .

وجاءت سيارات مخبة ضخمة تحمل زعماء اليمن وكبار وزرائه
الى المقابلة الهامة . وانطلقت السيارات الى صحراء مدينة نصر ..
ووحد زعماء ثورة اليمن انفسهم فى زنزين السجن الحربى . فى
الزنزانة رقم واحد السيد أحمد محمد نعمان عضو المجلس الجمهورى
ورئيس وزراء اليمن السابق . فى الزنزانة رقم ٢ الفريق حسن
العبرى القائد العام للقوات المسلحة وعضو المجلس الجمهورى

ورئيس الوزراء السابق . في الزنزانة رقم ٣ حسن مكى رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الوزراء بعد ذلك . في الزنزانة رقم ٤ العقيد حسن المسورى سفير اليمن في القاهرة ورئيس هيئة اركان الحرب سابقا . في الزنزانة رقم ٥ العقيد ابراهيم الحمدي نائب القائد العام وقتئذ ورئيس مجلس القيادة فيما بعد . وفي الزنزانة رقم ٦ احمد عبده سعيد وزير الدولة . في الزنزانة رقم ٧ محمد الحجي وزير العدل في الزنزانة رقم ٨ محسن السرى رئيس مجلس ادارة البنك اليمنى . في الزنزانة رقم ٩ يحيى المتوكل وزير الداخلية . في الزنزانة رقم ١٠ درهم أبو لحوم عضو مجلس القياد . في الزنزانة رقم ١١ محمد أبو لحوم عضو مجلس الثورة . في الزنزانة رقم ١٢ أمين عبد الواسع نعمان وزير الزراعة ومحافظ صنعاء السابق .

مجلس وزراء باكله في زناتين السجن الحربى بالقاهرة ! وهؤلاء زعماء ثورة اليمن التى مات الوف من شبابنا دفاعا عنها !

ولم يكن السجن لمدة يوم أو اسبوع أو شهر (ملحوظة أفرج عنهم في يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٦٧ أى بعد عام وشهرين أى ٢٨٧ يوما) .

ومعاملة زعماء ثورة اليمن ووزرائها كمعاملة المسجونين في السجن الحربى سواء بسواء . الزنزانة تغلق عليهم طوال ٢٤ ساعة . لا تفتح الا ليذهبوا الى دورة المياه . يفتحون على ابواب الزناتين ليذهبوا الى دورات المياه . فيسخط الحارس في الوزراء ورؤساء الوزارات . ويقول لهم ان هذا لا يتم الا بعد الحصول على امر الفريق حمزة البسيونى مدير السجن الحربى !

وكان رئيس الوزراء المعجوز أحمد محمد نعمان يصرخ من وراء باب الزنزانة وهو في حالة ضيق ، وحارس السجن يشخط ميه ويقول له « لسه » !

وكان الرئيس نعمان يصرخ ويقول :

— في عهد الامام كنا نطالب بحرية « القول » ، والان نحن نطالب بحرية « البول » .

مكث الرؤساء ستة شهور لا يرون اولادهم أو زوجاتهم ! ولم يسمح لهم بقراءة الكتب ، ولا بكتاب واحد ، حتى القرآن الكريم .

وحفر الرئيس نعمان على جدران زنزانة السجن الحربي قصيدة تقول :

في ظلام السجون احيا وحيدا	بين احلام يقظة ومنام ..
بين جدران غرفة ذات باب	محكم القلق ايما احكام
لا ترى العين وجه حر كريم	او صديق او مابر للسلام
لا ارى الشمس، او احس بنفسه	من لظاها يدب في الاجسام
لا ارى الجو ، او اشم هواء	غير جو المرحاض والحمام !!

لماذا منع الرقيب حيثيات التعذيب؟

ليمان طره

عزى

لاحظت أن الرقيب منع نشر حيثيات حكم محكمة أمن الدولة من أسباب براءة الذين اعترفوا تحت التعذيب في قضية كمشيش وقد جاء في حيثيات :

« كان الاتدمون يرون أن الاعتراف سيد الأدلة حتى لو صدر نتيجة التعذيب أو الإكراه . وفي التشريعات الانجلو سكسونية نسل الدعى بسؤال المتهم هل هو معترف « مذب » من عدمه ، فإن أقر بأنه مذب أصبحت أدانته مفروغا منها وما على القاضى الا تطبيق العقوبة عليه . »

وهكذا انتشر نظام التعذيب بطريقة وحشية في القرن الثامن عشر وفي القرون الوسطى . فكان المحققون يلجأون للتعذيب لحبل' المتهم على الاعتراف ، اذ كان الاعتراف هو الشغل الشاغل للمحققين . بل أن المتهم ، وبعد الحكم عليه بالإعدام وقبل تنفيذ الحكم ، كانوا يعذبونه للحصول على أدلة جديدة . وحيث أنه سرعان ما اتضح أن معظم الاعترافات لم تكن لتمثل الا الكذب ارضاء للمحققين ، سواء أبديت بالرضا أو بالإكراه ، كالاعترافات الهستيرية أو الكاذبة التى أخفت بالتنويم المغناطيسى ، أو نتيجة

اعطاء اقراص مخدرة ، أو باستعمال وسائل خداعية أو احتيالية .

ولقد هاجم الفلاسفة والكتاب استعمال هذه الوسائل الوحشية من التعذيب في التحقيق . نادى بلك مونتسكيو وبيكاريا ، وقالوا أن التعذيب يؤدي دائما الى اعترافات يترتب عليها ادانة الابرياء

اعدام البريء استنادا الى اعترافه !

« وضربوا الأمثلة بقصة (كامبو) التي تدل على مدى التمسك بالاعتراف ، من أن القاضي رأى بعيبه جريمة قتل وأن الجاني فر هاربا ، ثم جاء خباز فوجد جراب الخنجر ملقى على الأرض ، فآخذه ، فضبطة البوليس معه ، فانهموه بالقتل مع أنه برىء ، وبواسطة التعذيب اعترف بقتل لم يرتكبه ، ثم جرى به أمام القاضي كامبو الذي شاهد الجريمة من نافذته ، ورأى الجاني الحقيقي ، وشاهد الخباز يلتقط الجراب ، ويعرف أنه لم يقتل ، ولكنه قضى باعدامه أخذا بالاعتراف نتيجة التعذيب !

« لهذا وبعد تطور الزمن اشترطت التشريعات الحديثة في مهميتها ومعها احكام الفقه والقضاء ، سواء المصرى أو المقارن ، على أنه يشترط للاخذ بالاعتراف أن يكون واضحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، وأن يصدر من متهم متمتع بالتمييز فصلا ، فلا يعتد باعتراف مجنون أو مسكران أو مخدر أو منوم -مغناطيسيا ، أو تحت تأثير تحليل نفساني ، أو نتيجة عقاقير ، أو نتيجة أجهزة لكشف الاختيار، فيجب أن يكون الاعتراف حرا طليقا . أما الاعتراف الذي يجرى نتيجة اكراه مادي أو أدبي فإنه يبطل تماما ، وبطل كافة الأدلة التي اكتنته والتي أحاطت به بطلانا مطلقا ، ويستوجب براءة كل من لحاط به هذا الاكراه .

أنواع من الإكراه الذى يبطل الاعتراف

« والإكراه المسمى يتنزل فى التعذيب ، أو الضرب ، أو هجوم الكلب البوليسى على المتهم ليمزق ملابسه . ومن طريف ما قضى به فى فرنسا أن استمرار استجواب المتهم أربعين ساعة فيه حرمان له من النوم والراحة ، وهو نوع من الإكراه والتعذيب . وفى قضية أخرى استبعد اعتراف المتهم بعد أن ثبت أنه جاء بعد حرمانها من الطعام . والإكراه الأدبى ينزل فى التهديد بالإيذاء ، أو بالوعد ، أو بالوعيد ، أو بإفشاء أسرار عائلية ، أو بالاعتداء على قريب . ففى جميع تلك الحالات وأمثالها يبطل الاعتراف ، لأنه لم يصدر عن ملوع واختيار ، وإنما بالقوة والإكراه والإجبار .

التعذيب جنائية عقوبتها الأسفلان الثلاثة

ولذلك اعتبر تعذيب المتهم لحمله على الاعتراف جريمة استنكرتها معظم التشريعات ، ويعاقب مرتكبها بأشد العقوبات ، وهى فى تشريعنا العقابى جنائية يعاقب عليها بالمادة ١٢٦ بالأسفلان الثلاثة أو السجن حتى عشر سنوات ، أما إذا مات المجرى عليه فالمعقوبة هى عقوبة القتل .

آثار الاعتراف الباطلة فى نظر القانون الدولى

لذلك فقد انتهت الآراء فى القانون المقارن الى وجوب استبعاد الاعتراف من عداد الأدلة ، فجاء فى قرارات المؤتمر الدولى السادس لقانون العقوبات فى روما عام ١٩٥٣ أن الاعتراف لا يعد من الأدلة القانونية . وجاء فى قرار المؤتمر الدولى للعلوم الجنائية فى سان

بتسبج ان التعذيب يجب معاقبة مرتكبه ، وان الاعتراف وحده لا يكفى فى تسبب الحكم بالادانة . وهذا سار فى القانون الفرنسى ، وانتهوا الى ان الاعتراف يجوز العدول عنه دائما .

وقد اوصت لجنة حقوق الانسان بهيئة الامم المتحدة على انه لا يجوز ان يخضع اى شخص مقبوض عليه او محبوس لى اكراه مادى او معنوى ، او لغش اوحيلة او لتنويم مغناطيسى او لمحاليل مخدرة او اى مواد تشوش حريته فى التصرف . وكل دليل يحصل بالطرق السالفة يعتبر غير مقبول ، وان اى اعتراف لا يعتد به الا اذا تم فى حضور محامين او امام القاضى .

وجوب استدعاء محامى المتهم وقت الاستجواب

وانه ازاء تلك الحملات الشديدة من الفتاء واحكام القضاء ، فانه يجب اخذ الاعتراف بالحيلة والحذر — حرصت التشريعات على وضع ضمانات لاستجواب المتهمين ، فاعجب تشريعا الجنائى فى المادة ١٢٤ على انه لا يجوز استجواب المتهم فى الجنايات الا بحضور محام اذا تمسك المتهم بحضوره ، وذلك لضمان عدم التأثير على المتهم عند استجوابه ، او عدم ايقاعه فى الخطأ . اما اذا حصل اى اكراه عليه فان اعترافه يبطل بطلانا مطلقا .

ومن النظام العام مهما كان قدر هذا الاكراه من الضلالة . ومن ثم فيجب استبعاد الاعتراف ، وما اكتنف به من اذلة اخرى . والا كان الحكم باطلا . على ان بطلان الاعتراف يستتبع كنتيجة ختمية ، طبقا للمادة ٣٣٦ اجراءات جنائية ، بطلان سائر الادلة المستمدة منه او المترتبة عليه ، كالارشاد من السلاح ، او الارشاد عن منهجين آخرين .

تلكم هي أحكام القانون التي تعصم حريات الناس ولا تستبيحها،
وتعاقب بالشدة كل من سولت له نفسه العبث بها ، أو الاستهانة
بأمرها. ومؤداها أن أى اكراه تستشفه المحكمة باديا في اعتراف احد
المتهمين فانها تسارع باستبعاد هذا الاعتراف وما ارتبط به من ائلة
اخرى ، بل ترى أن هذا الاكراه جنائية يعاقب عليها القانون ،
وتنزل حكمها في الدعوى ، وعقوبتها هي الاشغال الشاقة او
السجن من ثلاث سنوات الى عشر سنوات ، او عقوبة القتل ، إن
مات المتهم نتيجة التعذيب . بل ويجوز طلب اعادة النظر اذا صدر
حكم نهائى على المتهم في الدعوى نتيجة هذا التعذيب ، واستنادا
الى شهادة من قاموا بتعذيبه ، او اذا ظهر بعد الحكم أن اعترافه
المتهم كان وليد الاكراه أو كان وهو معترف فاقد الشعور .

وحيث أنه بانزال تلك المبادئ على الدعوى الحالية وما ثبت
فيها من وقائع تعذيب الى اعتراف متهمين بارتكاب الحادث ،
واستلامهم أسلحة من المدمى عليهم ، وبالتحريض ، حالة كون أحدهم
كان معتقلا في الطور ، ويستحيل مقارنته هذا الحادث فان المحكمة
تستبعد بلا أدنى شك أو تردد كافة الاعترافات كدليل في الدعوى ،
سواء ما لحق المتهمين أو الشهود ، مكتنية بما انتهت اليه تحقيقاتها
في الجلسة .

هذا هو نص حيثيات محكمة أمن الدولة العليا في قضية
" كمشيش .. فلماذا منع الرقيب نشرها في الصحف ؟

السبب أنه لو طبقت هذه القاعدة القانونية ، لخرج جميع المسجونين
السياسيين من السجون !

ما من واحد منهم سمحوا له بأن يجيء بمحام يحضر التحقيق ! كل واحد منهم تعرض للاكراه المادى والمعنوى . وكل واحد منهم ضرب أو عذب أو هجم عليه الكلب البوليسى ، ومزق ملابسه ، أو نهش لحمه ، كل واحد منا منع من النوم ومن الراحة والطعام والماء عدة أيام . كل واحد منا هددوه واعتدوا على أقاربه . بعضنا احضروا زوجاتهم وخلعوا ملابسهن وطلبوا من الحراس أن يغتصبوهن أمام أزواجهن ! عشرات منا قتلوا مثل محمد الفيومى الذى قتلوه فى السجن الحربى ودفنوه فى صحراء مدينة نصر . احدها عذبوه فى السجن الحربى حتى اغمى عليه ، وقلنوا انه مات ، وحملوه مع أربع جثث لمتهمين سياسيين آخرين دفنوه فى صحراء مدينة نصر ، وفى الصباح استيقظ السجين السياسى من اغمائه ، وتغض عنه الرمال وأزاح الجثثتين المدفونتين فوقه ، وخرج الى النور يبحث عن الحياة ، فما كاد الحارس يراه حتى غرز وراح يعدو وهو يصرخ « عفريت ! عفريت ! عفريت ! »

احدها ضربوه حتى فقد النطق . وظنوا انه ميت . فأبلغوا نيابة أمن الدولة بأنه مات بالكوليرا . فأمرت النيابة كتابة بحرق جثته خوفا من العدوى . ثم ظهر أنه لا يزال حيا فأرسلوه الى المعتقل ، ولكنه بقى ميتا رسميا ، فحرموه من معاش والده لأنه مات ، وغصبلوه من كلية الطب لأنه مات ، وبقى معتقلا فى المعتقل وميتا فى الأوراق الرسمية فى وقت واحد !

روى لى جارى فى الليهان أنور زعلوك صاحب جريدة الحقائق كيف أن زبانية صلاح نصر ضربوه بالأيدي والعصى ، وداسوا عليه بالأنعام ، وجردوه من ملابسه حتى أصبح عاريا تماما كما وندته أمه ، وعلقوه فى كلبش من الحديد من القمبين كالنبيحة ، وتركوه

بلا أكل ولا شرب ، وأدخلوا آلة حادة في شرجه ، ويدأوا ينفخون بطنه ، وهو يتلوى من الألم والعذاب ، وأغمى عليه ، وأفاق فوجد نفسه في بركة من الدماء ، ثم قاموا بخلع أظافر أصابعه ، وهددوه باحضار زوجته وأخواته وبناته .

وروى لى زميلى المسجون السياسى عادل سليمان المحزون بالجمهورية انهم شددوه من جهازه التناسلى بعد ربطه بخيط نايلون ، ووضعوا على رأسه آنية من معدن سلطوا عليها الكهرباء واحس في داخله بالآف الاهتزازات وهو يصرخ كالجنون ، وأنهم أنهالوا عليه بالضرب والصفع والركل وحرموه من شرب الماء وأطلقوا السجائر المشتعلة في جسمه وأطلقوا عليه الكلاب البوليسية المتوحشة وعلقوه من ذراعيه وساقبه ووضع الحارس حذائه في فمه وعندما أغمى عليه غمسوا رأسه في قصرية تواليت أفرنجى وكووا جسده بالنار والمسامر الملتهبة والأسياخ .

وروى لى عدلى إبادير الموظف بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والمحكوم عليه بالسجن ١٠ سنوات في قضية سياسية ملفقة انهم خلعوا ملابسه ، وتولوا كى ظهره بأسياخ من الحديد في أماكن متفرقة ، ثم صبوا ماء باردا على أماكن الكى ، وأنهالوا عليه ضربا بالكرابيج ، وكسروا سنتين في فمه .

وقال لى المسجون السياسى محمد عبد الغنى النشترى انهم جردوه من ملابسه وضربوه بالسياط والأسياخ والعصى ، وعلقوه من ساقبه الى أهلى وكووا التضبيب والخصيتين بالنار بواسطة جسم ملتهب ، ثم غرسوا دبائيس ملتهبة في ظهره ثم خلعوا أظافره .

ونكر لى المسجون السياسى شفيق اندراوس وكيل بنك اسكندرية فرع الموسكى انهم جردوه من ملابسه ، ووضعوا سلكا كهربائيا

على جسمه ومرروا عليه تيارا كهربائيا فكان يصرخ ويقفز الى أعلى ،
فينهالون عليه بالضرب والركل ، واخضروا جهازا أشبه بالخرطوم
وادخلوه فم فتحة الشرج ، ونفخوا بطنه بالهواء ، وشعر بالام
مظليعة ، وأحس أن مصارينه تنمزق ، وانتفخ بطنه ، ووقف احدى
الحراس على بطنه المنتفخ وأمروه أن يضع حذاءه في فيه ، ثم حرقوا
ظهره بالنار بقضيب من الحديد الملتهب .

هل سينجى يوم يعاقب فيه بالقانون الذين داسوا بأقدامهم على
القانون ، الذين أهدروا كرامة الانسان المصرى ، الذين استباحوا
حريات الناس ، الذين عبثوا بالعدالة ، واستهانوا بكرامة الرجال ؟
ان منع الرقيب نشر حيثيات المحكمة عن التعذيب فى قضية
كمشيش معناه ان التعذيب لا يزال اساس الملك وليس العدل هو
اساس الملك !

من يعلم . . ان الله قادر على كل شيء ! قد نتبادل الامكنة ويجلس
فى الاتفاص التى يحبسوننا فيها الذين ظلمونا والذين عذبونا ،
والذين تصوروا انهم الالهة الذين فى ايديهم حق الحياة او الموت !
ان الله اكبر من كل الظالمين !

القلل بغير حكمة !

إيمان طره

عزيزتى

تذكرين اننى فى خطابى الى الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى كتبته له من سجن الاستئناف فى اول ديسمبر سنة ١٩٦٥ اننى قلت له بالحرف الواحد « وهددوني بأن صلاح نصر سيقتلنى بالسم » وقالوا ان لديه سماً لا يمكن أن يكتشفه أى طبيب شرعى فى العالم » .

وجاءت تحقيقات النيابة فى حادث مصرع عبد الحكيم عامر بالسم تؤيد بعد سنتين كل ما قلته فى خطابى للرئيس عن السم الذى يستعمله صلاح نصر والذى قتل به الملك فاروق !

ان احد تلاميذى اطلع على تحقيق النائب العام محمد عبد السلام فى حادث السم ، وارسل نص مذكرة وضعها النائب العام عن هذا الحادث ، وهى مذكرة مكتوب عليها « سرى للغاية » وقد استطعنا الحصول عليها .

« لمناسبة قيام الصلة بين سم الاكويثين الذى انتحر به المشير ، هامر وادارة المخابرات العامة ، تطرق التحقيق الى بحث مصدر حصول هذه الادارة على السموم ، ومقدار كمياتها ، واولجه استعمالها » .

وقد توليت بنفسى تحقيق هذا الجانب ، وتبين من الاطلاع على سجلات الادارة انه فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٢ استوردت الادارة من خارج البلاد ، دون تحديد مصدر معين ، خمسة جرامات من مادة ديغيتوكسين Digitoxine وخمسة جرامات من مادة اكونيتين Aconitine وكتاهما مادة سامة ، وتتميز الثانية بانها سريعة الذوبان فى الماء ، وفيها مرارة بسيطة لا يشعر بها الانسان ، اذا تناولها مع المأكولات ، او المشروبات ، وبخاصة انواع العصير ، وان بضعة مليجرامات منها تكفى غالبا لاحداث الموت .

ونظرا لاحتمال تطاير بعضها ، او التصاقه بالورق ، فان ٢٥ مليجراما تكون قدرا مضمونا لاحداث الوفاة .

واثبت فى السجلات انه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ سلم ٦٠٠ مليجرام من كل من المادتين الى « وجيه » ، والمتصود بهذا الاسم السيد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب السيد صلاح نصر ، وقد قسم هذا القدر الى ستة اجزاء ، كل جزء ١٠٠ مليجرام ، وضعت فى العبوات المعدة لتثبيت الريتالين فى الورق المفضض . وقد سبق القول بان واحدة من هذه الورقات المفضضة ، تبين انها تكمل تماما الورقة التى وجدت على جسد المشر ، ووضح فى الصور الشمسية التى اخذها الطبيب الشرعى ان اجزاء الحروف المكتوبة فى كل من الورقتين يكمل بعضها بعضا تماما .

وتبين من التحقيق انه يوجد بادارة المخابرات العامة قسم للسموم ، يرأسه الكيمىلى مختار احمد نكرى ، وان هذا القسم يتبع ادارة البحوث التى يرأسها السيد محمد حلمى القاضى .

وانه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ اتصل وجيه عبد الله مدير مكتب صلاح نصر بمحمد حلمى القاضى رئيس ادارة البحوث ،

وكلفه أن يرسل الى صلاح نصر ، بناء على امره ، جاتبا مما لديه من سموم . فأبلغ هذا الأمر الى مختار احمد ذكرى ، فوضع في الفجوات الخاصة بحبات الريتالين ٦٠٠ مليجرام من كل من مادتي الديجتوكسين والاكونيتين ، مقسمة الى مقادير متساوية ، قدر كل منها ١٠٠ مليجرام ، وسلمها مختار ذكرى في اليوم التالي ، الى وجيه عبد الله ، ومعها ورقة بالتعليقات المتضمنة خواصها وكيفية استعمالها ، على النحو السابق ، وسلمها وجيه بدوره الى مدير ادارة المخابرات (صلاح نصر) .

وقد قرر السيد صلاح محمد نصر في التحقيق انه طلب حقيقة، ولكن في تاريخ لا يذكره ، مادة سيانور او سيانيد البوتاسيوم ، وأنه تسلم بالفعل مادة سامة ، وكان يظن انها احدى هاتين المادتين ، وأنه وضعها في مكتبه ، وظلت فيه بحالتها ، الى أن مرض يوم ١٣ من يوليو سنة ١٩٦٧ ، وانتقل من مكتبه في ٢٣ منه ، الى احدى الاستراحات ، ولم يعد الى مكتبه الى أن أعفى من منصبه في ٢٦ من أغسطس .

ومن المحقق في هذا الصدد الإشارة الى أن الاكونيتين الذي وجده على جسد المشير يزيد على ١٥٠ مليجراما ، ولا يعرف مصير باقى الـ ٦٠٠ مليجرام التي سلمت الى صلاح نصر .

ولكن لماذا تحتفظ ادارة المخابرات العامة بهذه السموم . ولماذا يوجد بها قسم خاص بالسموم بالذات . وفي أى غرض كانت تستعمل هذه السموم ؟

ان أقوال رجال المخابرات العامة لا تدع مجالا لأى شك في أن هذه السموم أعدت واستعملت بالفعل للقتل .

فقد قرر مختار أحمد فكري رئيس قسم السموم أنه كان يعمل في هذا القسم منذ سنة ١٩٥٩ ، وأن سمي الديجيتوكسين والاكونيتين استحضرا في سنة ١٩٦٣ من الخارج . وغالبا من ألمانيا أو سويسرا ، وانهما « لا يستخدمان إلا كسم قاتل » . أما التحاليل وغيرها من البحوث العلمية فإن إدارة المخابرات كانت تستعمل فيها سموما من أنواع أخرى . وقال في موضع آخر « احنا محضرين السموم دي لا لأغراض علمية ، وانما لهدف القتل لمصلحة الدولة » وعاد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب صلاح نصر فقرر « ان هذه السموم تستعمل في أغراض لمصلحة الدولة ، وبأوامر دائما من مستويات الدولة » ، « ان السموم هذه وسيلة ضمن وسائل أخرى ، مما يمكن استعماله للتخلص ممن تقتضى مصلحة الدولة التخلص منه » .

وقرر محمد حلمي القاضي مدير إدارة البحوث أن وجيه عبد الله طلب منه بناء على أمر المدير (صلاح نصر) « سما سريع المفعول » وأن هذه السموم تستخدم لأغراض المخابرات ، وقد تسلم لأي مندوب للقيام بعملية لمصلحة أمن الدولة ، وقد تستخدم ضد العملاء في الداخل أو في الخارج .

« أما السيد صلاح محمد نصر فقد وردت عبارته في هذا الخصوص بالصيغ الآتية :

« اننى لا يمكننى ان أدلى الآن بأسماء السموم ، وأين استعملت » واعترف بأنه أنشأ قسما للسموم منذ سنين طويلة ، والفرض منه عمل تحارب على أنواع السموم التي قد تستخدم ضد الخونة من أعداء البلاد ، وان ذكر أى أسرار أو أسماء الذين استعملت ضدهم

هذه السموم قد يضر المصلحة العليا للدولة أو يمس كثيراً من
المسنولين » .

واعترف « اننى طلبت سموما كثيرة للاغراض التى ذكرتها » .

واعترف بالحرف الواحد فى التحقيق « اننى طلبت سموما كثيرة »
للاغراض التى ذكرتها . وطلبت كمينه من سيانور البوتاسيوم او
سيانيد البوتاسيوم لاعمال لا يستطيع ان افصح عنها .

وقال صلاح نصر بالحرف الواحد انه كان يعد هذه السموم ،
ويسمىها نفسه لبعض العمليات ، وكان يسلمها بنفسه للذين يقومون
بسم الدين تقرر قتلهم .

ولما سئل صلاح نصر عن السبب فى انه لم يسلم المادة السامة
التى ضبطت فى مكتبه قال : « العيب كان مسافر سويسرا وكنت
غير مطمئن اليه » .

وقال : ان ذكر تفاصيل هذه العمليات قد يكشف عن اسرار
خطيرة !

وهكذا يهربون لى داخل السجن وفاق تثبت اجرام الذين ظلموني!
لو كنت خارج السجن لما استطعت ان احصل على مثل هذه
الوثيقة !

ولكن الله يفعل من أجل المظلومين ما لا يخطر على بالهم !

وهنا تذكرت واننا اقرا هذه الاعترافات كيف دسوا السم للدكتور
انور المفتى الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر .

* * *

— ٢٢٧ —

هل سيجيء يوم يؤلف فيه مجلس الامة لجنة برلمانية للتحقيق
وتسال صلاح نصر من هم الذين قتلهم .. وكيف يجوز قتل انسان
بغير محكمة وبغير حكم ، ان الله وحده هو الذى يحيى ويميت .
فمن الذى اعطى الفرد سلطة الاله !

اننى مؤمن بانه سيجيء يوم يكشف الله فيه عن كل هذه
الجرائم مهما احييت بالسرية والكتمان !

* * *

تہذیب و صواب و محرمات داخل الذمہ

البيان طرق

٢١ يوليو سنة ١٩٦٦

فیزیکی

اننى لعب الان مع السلطة لعبة القط والفار ! انا الفار طبعاً !
انهم يحاصروننى بالعيون والارصاد . يتبعون خطواتى . قال
الرئيس للمشير « انا اعرف مصطفى جيداً . انه لا يمكن ان يسكت
امداً . . لابد ان يفعل شيئاً ! » .

ويظهر أن هذا الرأي قاله الرئيس أمام وزير الداخلية ، لأن الرقابة اشتمكت على ، وهم يتصورون أن معنى كلمة « أنه لابد أن يفعل شيئاً » أن معنى ذلك أنني سأحاول الهرب ! وهكذا يحاولون حصار جسمي ! وهذا من حسن حظي ، فإنا لا أريد أن أهرب ، كل ما أحاوله هو أن أهرب أفكارى وآرائى ! ما قيمة أن أكون في السجن أو خارج السجن إذا كانت أفكارى محبوسة !

ولهذا فقد استفدت من اشاعة استعدادى للهرب . انها الحخان
الابيض الذى يخفى خلفه تحركات افكارى ورسائلى وتصمى
ومقالاتى وكتبى !

وذاث مساء فف جرس التيفون فف غرفة نوم العبد عبد الله
عمارة مدير منطقة سجن ليمان طره . وكاتت الساعة الثانية عشرة
بعد منتصف الليل .

وهب مدير السجن مذكورا من نومه . .

وصاح مدير مصلحة السجن فف هلع : أين مصطفى أمين ؟
واجاب مدير السجن فف دهشة : انه موجود فف زنزانته بالسجن .

قال مدير المصلحة فف حزم : لا . . انه غير موجود فف السجن .
لقد وصل الى وزير الداخلية الآن تقرير خطف موثق به يؤكد ان
مصطفى أمين شوهد من دقائق فف شارع ٢٦ يوليو . . قم من فراشك
وافتح السجن واذهب وتاكد بنفسك .

وقفز مدير الليمان من فراشه فف رعب ، وارتنى ملابسه
العسكرية فف ثوان ، وانطلق الى ليمان طرة الذى يبعد عن بته
بحوالى عشرة امار ، هى عرض الشارع فقط . وكان باب السجن
الذى يبعد ٣٠٠ متر مغلقة ومختوما بالشمع الأحمر ، فنفذ المدير
الختم ، ودخل السجن ، ووصل الى العنبر رقم واحد ، وهو عنبر
المسجونين السياسيين ومعهم عدد من المسجونين العاديين ، وصعد
الى الطابق الرابع ، واتجه الى الزنزاة رقم ٩٨ ، ونظر المدير من
نظارة الزنزاة فرائى نائما فف فراشى اعط فف النوم .

ولم يرد المدير ان يوقظنى حتى لا تعرف فضيحة التقارير الكاذبة
اللى تصل الى وزير الداخلية !

وعاد مدير الليمان الى بته وطلب مدير مصلحة السجن تليفونيا
وقال له :

— اننى نظرت من نظارة الزنزانه ، ووجدت مصطفى امين نائبا
مغطى ببطانية .

وساله مدير المصلحة فرعا : هل كلمته ؟
قال مدير الليمان : لا .

وعاد مدير مصلحة المسجون يساله في ذعر : ولم تكشف وجهه ؟
قال مدير الليمان : لا .

قال مدير المصلحة فرعا : وهل دخلت الزنزانه ؟

واجاب مدير الليمان : لم افتح الزنزانه ، وانما انصفت بالنظر
داخل الزنزانه ، ووجدته مغطى بالبطانية .

فقال مدير المصلحة غاضبا : اذن الخير الذى عند سيادة وزير
الداخلية صحيح .

ان مصطفى امين خدعكم . الذى رأيته ليس مصطفى امين هو
عدد من الوسادات مغطى بالبطانية ففد شوهد فعلا في شارع
٢٦ يوليو .

اجاب مدير الليمان في دهشة : مستحيل ! اننى رايت البطانية
ترتفع وتنخفض ، وهذا يدل على ان هناك انفاسا تتحرك لا
وسادات !

قال المدير الذكي : لابد انه اتفق مع مسجون آخر ليحل مكانه .
او انه خدر أحد الحراس ووضعه تحت البطانية .. هل اُحصيت
عدد المسجونين ؟ هل اُحصيت عدد الحراس ولم نجد واحدا منهم

قد نقص ؟ اذهب مرة أخرى ، وافتح السجن ، وارفع البطانية ،
وتأكد أن الذى تحتها هو مصطفى أمين بلحمه وعظامه . ان وزير
الداخلية يؤكد أن مصطفى أمين قد هرب واننا ناثمون !

وعاد العميد عبد الله عمارة مدير الليمان مرة أخرى الى السجن،
وفتح غنبر واحد ، وصعد الى الطابق الرابع ، وفتح باب الزنزانة
رقم ٩٨ ورفع البطانية ، ورأى ناثما ، أكل أرزا مع الملائكة !

وعاد مدير السجن الى بيته ، واتصل تليفونيا بمدير مصلحة
السجون وأبلغه بشرى العثور على تحت البطانية .

وأبلغ مدير المصلحة البشرى الى وزير الداخلية .

ونام وزير الداخلية ، ونام نائب وزير الداخلية ، ونام كبار
موظفى الداخلية ونام مدير مصلحة السجون !

وتصورت أن وزير الداخلية لن يصدق بعد ذلك التقارير السرية
التي تصل اليه . ولكن بعد ذلك بشهور دق جرس التليفون فى غرفة
نوم العميد عبد الله عمارة . وكانت الساعة الرابعة صباحا .

وصاح مدير السجون فى صوت مرتجف : اصح من نومك ! ان
مصطفى أمين يستعد الآن للهرب . وصلتنا معلومات مؤكدة بأنه
قام بنشر قضبان زنزائنه ، وأنه يستعد للهرب . وزير الداخلية
علم أن طائرة مستهبط فى حوش الليمان ، وأنها أعدت خصيصا
للهرب به الى خارج مصر ..

قال العميد عبد الله عمارة : هذا كلام حشاشين .

قال مدير مصلحة السجون غاضبا : هذا كلام وزير الداخلية ..

أن معلوماته مؤكدة ووصلت اليه من داخل السجن . ومطلوب منك
أن تمسك مصطفى أمين وهو يهرب !

واسرع المريد عبد الله عمارة الى زنزانتى ، وايقظنى من النوم ،
وراح يشد فى قضبان الزنزانة ، ويمتحن بابها ، ويبحث فى كل مكان
من المنتشار الذى هربته لأتشر به القضبان الحديدية !

ووجد مدير السجن أن القضبان الحديدية مثبته بالأسمنت
المسلح .. وأنه لا يوجد فى الزنزانة أو فى الزنازين المجاورة أسلحة
ولا منتشر !

وعاد مدير السجن الى قرائه بعد أن طمأن مدير مصلحة
السجون ، الذى طمان وزير الداخلية الذى طمان وزير الحربية حتى
يلغى الأمر الذى أصدره بأن تهب الطائرات لمطاردة الطائرة التى
أخطفتنى !

وذاث يوم جاء لوزير الداخلية تقرير سرى بأثنى أخفى فى زنزانتى
جهازا سريا متصلا بالخارج .

وقامت قوة من مباحث مصلحة السجون وهاجمت زنزانتى فلم
تجد الجهاز المزعوم ! وكان العقيد زكى وهبه مأبور العنبر قد أكد
لهم أن هذا كلام فارغ فأكدوا أنها معلومات موثوق بها جدا !

وفى ظل هذا الرعب والفرع والانباء الكاذبة استطعت أن أكتب
الوف الخطابات ، وبعض القصص ، وبعض الكتب ، وأن ألقى
يوميا عددا من الخطابات فيها كل ما يهمنى أن أعرفه وما لا ينشر
فى الصحف وما يشطبه الرقيب !

وخطر ببالي خاطر غريب . . ان جميع الاستحکامات والاحتياطات
وضعت لمقاومة هروبي من داخل السجن الى خارج الاسوار .

لماذا لا افعل العكس ، واهرب رجلا من خارج السجن الى داخل
زنازتي !

اننى استطعت ان اكون من زملاى المسجونين نظاما يشبه نظام
اخبار اليوم ، نظاما يفعل المستحيلات ، فلماذا لا استعين بهذا
الجهاز فى تهريب انسان الى داخل السجن !

واستعدت نكرياتى . . تفكرت ان الانجليز اقاموا فى عام ١٩٤٢
معتقلا فى ضاحية الزيتون ، ولحاطوه بحراسة شديدة ، ووضعوا
فى هذا المعتقل عددا من السياسيين من خصوم الانجليز وخصوم
الوزارة القائمة فى تلك الايام .

وكان بين المسجونين السياسيين فى هذا المعتقل اثنان السادات
والشيخ الباتورى وجمال الحامصى ومحمد صبيح وموسى صبرى .
وخطر ببالي ان اهرب نفسى الى داخل المعتقل . واشتركت مع
جمال الحامصى فى وضع خطة الهروب .

وذاث ليلة ، وفى اثناء عملية تغيير الحرس ، استطعت ان ادخل
مرا الى المعتقل ، وامضى وقتا طويلا مع المعتقلين السياسيين .
وكنى فى تلك الايام رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ، ورئيسا لقسم
الاخبار فى جريدة الاهرام .

ونجحت الخطة . وكررت المحاولة للمرة الثانية ونجحت ايضا . .
فلماذا لا اكرر المحاولة فى ليمان طره .

وخطر ببالي أن أهرب إلى زنزانتى محررا من تلاميذى فى أخبار
اليوم ومحسورا من تلاميذى . اننى كتبت ألوف الخطابات أصفا
الزنزانة وحياتى فى الزنزانة . وكم من المرات قلت فى دروسى
الصحفية أن التحقيق الصحفى يبقى ناقصا اذا خلا من الصور .
فلماذا لا تلتقط صور لزنزانتى ولى فى ملابس السجن .

واخترت تلميذى رائت بطرس المحرر بأخبار اليوم ، واخترت
أحمد عبد العزيز المصور بأخبار اليوم .

وتم وضع ترتيب مرورهما خلال كدونات متعددة من الحراس
تبدأ من باب الليمان إلى أن تصل إلى زنزانتى فى الطابق الرابع من
عنبر واحد !

وتم التقاط عشرات من الصور . .

وانصرف المحرر والمصور دون أن يشعر بهما أحد .

ثم بدأ يلعب فى عبي الفار ! انهما حصلتا على نصر صحفى عالى ،
ماذا يحدث لو استقبلت بهما شهوة النصر الصحفى فنشرا هذه
الصور فى الصحف خارج مصر ! أن أحمد عبد العزيز قال انه لو
نشر هذه الصور فى صحف العالم لباعها بعشرة آلاف جنيه .

لو حدث ذلك لامتضج الجهاز السرى الذى يعمل داخل السجن
وخارجة ، والذى استطاع أن يهرب ألوف الخطابات وعددا من
القصص وبعض الكتب السياسية . واتفقت مع صديقين غير
معروفين ، من خارج السجن ، وتنكرا فى زى ضباط المباحث العامة ،
وذهبا إلى دار أخبار اليوم وقابلا المصور أحمد عبد العزيز وانتزعا
منه الأفلام ، واثارا الفزع فى قسم التصوير وقالوا : لو أن أحدا فتح

فمه وذكر ما حدث فسوف يجد نفسه مسجوناً مع مصطفى أمين
في زنزانة واحدة .

وصدق مسطور اخبار اليوم هذا التهديد واطبق فمه ولم يقل كلمة
واحدة عما حدث .

ثم وقعت في مشكلة .. أين أخفى هذا الفيلم الخطير ! ؟ وقررت
أن أخفيه داخل السجن .. انه المكان الامين الوحيد الذى لا تصل
اليه حملات التنقيش ! !

ودفناه في مكان مجهول في حديقة العنبر .. وسوف يبقى مدفوناً
هنا ، الى ان يخرج معى الى الحرية !

في يوم من الايام لابد ان تشرق الحرية .. ولابد ان تخرج اشياء
كثيرة مدفونة تحت للتراب .. احد هذه الاشياء هذا الفيلم ..
والشئ الثانى المدفون هو الحقيقة .. والشئ الثالث هو .. انا !!

كلنا سنخرج من القبور !

بأمر الله !

في هذا الكتاب

صفحة

هذه الرسائل المقدمة بالأغلال	٥
رسالة من كمال الدين حسين الى جمال عبد الناصر	٩
رسالة من كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر	١٣
لن يقول احد لا	٢٣
هل هذه الرسالة بقلم عبد الناصر	٢٩
اسرار الاستقلالات	٤٩
من القاتل	٦٥
المحاكمة	٦٧
كمال الدين حسين يتكلم !	٧٧
في عرية الحيوانات	٨١
الزنزانة الجديدة	٨٥
الحكم على الاطفال بالجوع	٩١
راقبوه ! احفروه !	٩٣
تهريب الخطابات	٩٥
بلاج العمورة	٩٧
انا اسعد من غيري	١٠٣
الموتى يتكلمون	١٠٩

وصية الى اخى	١١٣
المسلم في زنزانة	١١٥
رسالة سرية !	١١٩
الحكم	١٢١
الليلة الاولى	١٢٥
معركة مع الصراصير	١٢٧
في الطريق الى المنبحة	١٣١
مذبحة طرة !	١٣٧
محاكمة القنيل . ومكافأة القاتل	١٤٥
التعليمات السرية	١٤٩
مؤامرة الذبحة الصدرية	١٥٣
دولة الظلم ساعة	١٦١
المعاملة الخاصة	١٦٥
الفراعنة الصفار !	١٧١
تحدي الظالم عبادة	١٧٧
تفرجت على تشييع جنازتي	١٨٣
الكرياج أساس الملك	١٨٩
من الذى قتل رئيس محكمة أمن الدولة	١٩٥
من الذى سرق خزانة سفارة الكويت	٢٠٣
اصابعى تاكلنى	٢٠٩
المأدبة الامبراطورية	٢١٣
التهمة الخطيرة !	٢٢١

٢٢٧	خطبة للهروب من السجن
٢٣٢	معتقل سياسى عمره ١٤ سنة !
٢٣٦	لخشى على بلدى من الهزيمة !
٢٤٧	الرواية لم تتم فصلا
٢٥١	رسالة سرية من أم كلثوم !
٢٥٧	حارس الجنة فى الليمان !
٢٦٣	الهضبة فى السجن
٢٦٦	اسم رائحة « شياطين » !
٢٧٢	منع الحقيقة من الدخول !!
٢٧٦	ميدان القتال .. فى شقة !
٢٨٣	اعتقد المأمور اننى فقدت عقلى !
٢٨٧	طبول النصر يوم ٥ يونيو
٢٩٥	لقاء مع الهزيمة !
٣٠١	المصيبة الاكبر
٣٠٥	بعد ٤ اشهر فى الجحيم تنسى انك فى الجحيم
٣١٣	اليدين التى تقبض على اعناقنا !
٣٢١	مجلس الوزراء فى زنازين السجن الحربى !
٣٢٥	لماذا منع الرقيب حثيات التعذيب
٣٣٣	القتل .. بغير محكمة !
٣٣٦	تهريب مصور ومحرم الى داخل الزنزانة !

كتب المؤلف

أمريكا الضاحكة — حياة طالب مصري مفلس في أمريكا .
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ . الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ (نفذت) .

خاطمه

مثلتها بالسينما أم كلثوم وأنور وجدى سنة ١٩٤٧ .
مخالقة واقتزام
ساسة مصر وسياسة مصر قبل الثورة سنة ١٩٥١ نفذت .
ليالى فاروق (جزآن) سنة ١٩٥٤ (نفذت) .
قصة حياة الملك السابق

معبودة الجماهير سنة ١٩٦١ (نفذت) .
مثلها بالسينما عبد الحليم حافظ وشادية
صاحبة الجلالة في الزنزانة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٤ — الطبعة الثالثة ١٩٧٥
الصراع بين الصحافة والطغيان .

سنة أولى سجن

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ .
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥
الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥
الكتيب الممنوع (جزآن) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٥ أسرار ثورة ١٩١٩

يناير ١٩٧٥ .
قحت الطبع
قحت الطبع
قحت الطبع

سنة أولى حب
لا
ست الحسن
من واحد الى عشرة

مطابع الأهرام التجارية

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٧٥ / ٤٣١٦

الذين وضعوا مصطفى أمين في السجن ، وأغلقوا عليه باب الزنزانة ، تصوروا أنهم لوئوه وقيدوه وكمموه وأخرسوه الى الأبد ، تصوروا أنهم دفنوه حيا في قبر محكم ، وهالوا عليه التراب . والموتى لا يتكلمون ! ..

ولكن أصدقاء مصطفى أمين وتلاميذه خارج السجن ، وزملاؤه المسجونون السياسيون استطاعوا أن يجعلوه داخل الزنزانة أكثر اطلاعا عما يجرى في البلد مما كان وهو رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ! كانوا يهربون له الأنباء والأسرار والوثائق عما يجرى في الدولة . وهكذا كان يتابع يوميا الجرائم التي ترتكب والحقوق التي تفتصب والحريات التي نداس بالاقدام . كان هناك تنظيما تمت الأرض يهرب الى مصطفى كل يوم الرسائل المنوعة والأنباء المنوعة . وكان مصطفى يهرب لهم كل يوم رسائل عما يجرى في داخل القبر الذي يعيش فيه .

وفي خطابات مصطفى أمين السرية كل ما كان يجرى فوق الأرض وتحت الأرض . الصراع على السلطة . الخلافات بين القادة . قصص الإرهاب والطفيان . دموع المسجونين وضحكاتهم . المذابح التي كانت تجرى وراء الأسوار . كانت مهمته أن يهرب الى خارج السجن قصة كل مظلوم داخل الأسوار . كان يعتقد أن كل مظلوم هو مصطفى أمين ، وأن مصطفى أمين هو كل مظلوم .

إنها ليست قصة رجل واحد ، بل قصة كل مظلوم في مصر . ماذا يحدث عندما يكون القانون في إجازة . عندما تطفئ الأنوار ويسود الظلام . عندما توضع الحقيقة في الزنزانة ويحكم عليها بالسجن المؤبد . الرجال والنساء الذين كانوا يقومون بعمليات التهريب متحدين حراسة مشددة ورقابة رهيبية وعيون متلصصة وجو من الخوف والرعب ، كانوا يعرضون حياتهم وحرياتهم للخطر ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية فدائية هي اخراج الحقيقة من الظلام الى النور ، من السجن الى الحرية ...

كتاب سنة أولى سجن طبع خمس مرات في عام واحد .
سبتمبر ١٩٧٤ الطبعة الثانية في ديسمبر ١٩٧٤ الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة في فبراير ١٩٧٥ الطبعة الخامسة في مايو ١٩٧٥
انه سجل أكبر رقم قياسي في توزيع الكتاب السياسي في الشرق
وهذا هو سنة ثانية سجن ..

وبعد كتاب « سنة ثانية سجن » سيصدر كتاب سنة ثالثة سجن !

Bibliotheca Alexandrina



0491429



اصدقني